

مرافق التحقيق

في سوابق يوسف الصديق (ع)

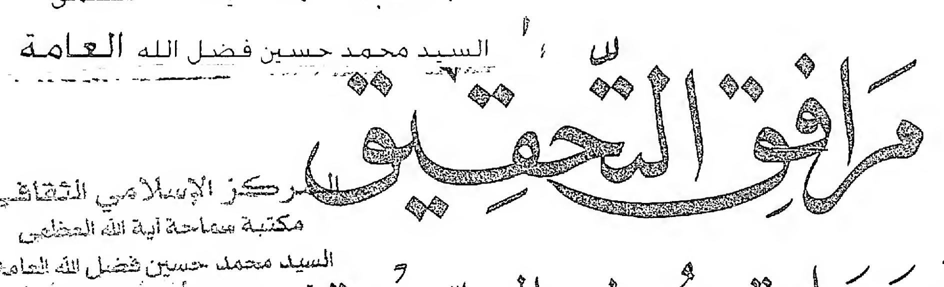
تأليف

العلامة الخطيب السيد محمد صالح ابن الحجة
السيد عدنان الموسوي البحراني

منشورات

المكتبة العدنانية
المنامة - البحرين

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان



مرافق التحقيق

في سوابق يوسف الصديق «ع»

تأليف

العلامة الخطيب السيد محمد صالح بن الحجة
السيد عدنان الموسوي البحراني

كتاب علمي، فلسفي، أدبي، تاريخي
يعرض فيه حالات النبي يوسف "ع" مع
إخوته وأسرته من ميلاده إلى آخر أيام حياته

منشورات

المكتبة العدنانية
المنامة - البحرين

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان

الطبعة الثانية

١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات:

بيروت ـ شارع المطار ـ قرب كلية الهندسة ـ ملك الاعلمي ـ ص.ب: ٧١٢٠

سر يـا كتـابي في الاقطـار ملتمعاً　　نـورا لتـدرسـك الكتّـاب والعلما
فما بضمنـك حـرص يـرتشي نعما　　ولا بطيـك نقـص يختشي نقما

(داعي التحرير)

بسم الله ولله الحمد وبه نستعين والصلاة والسلام على سيد المرسلين واهل بيته المصطفين الابرار وصحبته الاكرمين الاخيار.

وبعد فكثيرا ما كان الناس يشتاقون في ليالي شهر رمضان المبارك ان يستمعوا في مجالسنا العزائية ومحاضراتنا المنبرية الى احاديث نبي الله يوسف الصديق (ع) وقصته مع اخوته واسرته التي قصها الله في كتابه المجيد على نبيه محمد (ص) وما يتعلق بها من دروس دينية وعظات فكرية وحوادث تاريخية ومباحث علمية وروائع ادبية الامر الذي حتم علي ان انظر القصة من كل اطرافها واحصها من جميع جوانبها وما يصح ان يعرض منها وما لا يصح ان يلحق بها فاجتمع لدي من ذلك عدة مباحث مهمة ومعالم دافقة ودروس نافعه رأيت ان اجمعها واسبكها لتؤلف كتابا جليلا نافعا يخدم الدين والادب ويهدي الى الحق والرشاد ويدفع عن انبياء الله ورسله ما لا يليق بشأنهم ولا يجوز ان يلم بساحتهم وحسبي الله الذي يوفق الى الحق وهو يهدي السبيل ونعم الوكيل.

المؤلف



صورة المرأ في المثال الانيق لمعة من سنا حجاه العميق
ليس تبدي الا المحيا واما الفكر فانظره في البيان الدقيق
فبنفث اليراع يبدو جليا ما احتواه الفتى من التوفيق
وترى مستواه في العلم مما خطه في الكتاب من تنميق

• • •

وابن عدنان ينجلي ضمن ما قد ساقه في (مرافق التحقيق)
سترى من (سوابق) الفضل فيه خيل مجد (ليوسف الصدّيق)
ويراع الفتى يجدد علياه بشرح البيان والتعليق
كم كتاب اهدى ابن عدنان فيه نور علم وشق رحب طريق

المؤلف

(المرفق الـ (١) (بيئة النبي يوسف (ع)

والحديث عنها يقتضي عرض سوابق

(سابقة (١) (ذكر النبي يعقوب)

النبي يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم بن تارخ بن ناحور بن ساروغ بن ارغوا بن فالغ بن عابر بن شالخ بن قينان بن ارفخشد بن سام بن نوح.

وامه السيدة رفقاء بنت بتويل ولد مع اخيه عيص توأمين في وقت واحد وسمى يعقوب لانه تعقب اخاه فهو اكبر من اخيه لان المتأخر في ولادة التوائم هو الاكبر سنا عند الفقهاء.

وقد دعا لهما ابوهما اسحاق (ع) فكانت دعوته ليعقوب ان يجعل الله في ذريته الانبياء والملوك ودعوته لعيص ان تكون ذريته عدد الرمال ولا يملكهم احد غيرهم.

ويسمى ايضا (اسرائيل) لانه كان اول من سرى بالليل وقيل انها كلمة عبرانية ومعناه عبد الله او صفي الله. وفي البحار ١٨٢/٥ عن الصدوق في العلل بسنده عن ابن عمارة عن ابيه عن الصادق (ع) قال: كان يعقوب وعيص توأمين فولد عيص ثم ولد يعقوب فسمي يعقوب لانه خرج عقب اخيه عيص. ويعقوب هو اسرائيل ومعنى اسرائيل عبد الله لان (اسرا) هو عبد و (ايل) هو الله... وروى في حديث اخر ان الاسرا هو القوة وايل هو الله عز وجل فمعنى اسرائيل (قوة الله).

وفي العلل بسنده عن كعب الاحبار - في حديث طويل انما سمي يعقوب اسرائيل لانه كان يتولى سدانة بيت المقدس يسرج القناديل ويفتح الابواب ويغلقها وكان اول من يدخل وآخر من يخرج وكان يدعها مشعلة طوال الليل فلا يأتي الفجر الا وقد اطفئت فتعجب من ذلك فبات ليله في المسجد ليتعرف من يطفيء القناديل قبل الفجر وفي منتصف الليل رآها تطفأ واحد بعد الاخر فهب من مضجعه واذا يرى جنيا يطفئها فاحتوى عليه يعقوب

واسره وشده الى سارية المسجد وبقي الى الصباح حتى اتى الناس فرأوه فسألوه عن اسمه قال (ايل) فسمى يعقوب آسرايل حتى خففت الى (اسرائيل).

(سابقة (٢)) (اسرة النبي يعقوب)

قال الطبرسي في مجمع البيان ٢١٢/٣: ان نبي الله يعقوب بن اسحاق (ع) تزوج (اولا) لعيا بنت ليان بن ناحور بن لاحج بن ساروغ بن ارغوا - ولاحج هو جد سارة زوجة ابراهيم وملكا زوجة اخيه ناحور لامهما رقية - ولعيا هي بنت خالة يعقوب فولدت له (١) روبيل وهو اكبر اولاده و (٢) شمعون و (٣) لاوى و (٤) يهودا و (٥) ديالون و (٦) يشجر.

ثم توفيت فتزوج اختها راحيل بنت ليان فولد له (٧) نبي الله يوسف و (٨) بنيامين نفست به وماتت.

فتزوج اختها الثالثة حقوين وهي التي اتهمت يوسف بالسرقة لمنطقة اسحاق تريد ان تحكم عليه بالمبيت عندها وهي احد الابوين في قوله تعالى: (ودفع ابويه على العرش...) يعني بهما اباه يعقوب وامه حقوين لانها التي كفلته بعد ان ماتت امه قوله (.. وآوى اليه ابويه..) كما ذكره في البيان ٢٦٤/٣ ولم يذكر انها ولدت ليعقوب شيئا.

ثم ولد له من جاريتين تسراهما احداهما تسمى سُلمة والاخرى زلفة اربعة بنين (١) دان و (٢) نفتالى و (٣) حاد و (٤) آشي.

وبذلك كانت عدة بني يعقوب (١٢) ولدا وكلهم في الحسن والجمال كالبدور والاقمار ولكن يوسف اذا جلس بينهم كان كالقمر بين النجوم وكان منزلهم بكنعان بالقرب من ارض فلسطين وكانو اهل بادية ومواشي.

(سابقه (٣)) (وفاة يعقوب)

وذكر المفسرون في قوله تعالى (ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين...) قال وهب انهم دخلوا مصر وهم (٧٣) انسانا وخرجوا مع موسى الكليم (ع) وهم ستمائة الف و (575) رجلا.

(المرفق الـ (١) (بيئة النبي يوسف (ع)

والحديث عنها يقتضي عرض سوابق

(سابقة (١) (ذكر النبي يعقوب)

النبي يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم بن تارخ بن ناحور بن ساروغ بن ارغوا بن فالغ بن عابر بن شالخ بن قينان بن ارفخشد بن سام بن نوح.

وامه السيدة رفقاء بنت بتويل ولد مع اخيه عيص توأمين في وقت واحد وسمى يعقوب لانه تعقب اخاه فهو اكبر من اخيه لان المتأخر في ولادة التوائم هو الاكبر سنا عند الفقهاء.

وقد دعا لهما ابوهما اسحاق (ع) فكانت دعوته ليعقوب ان يجعل الله في ذريته الانبياء والملوك ودعوته لعيص ان تكون ذريته عدد الرمال ولا يملكهم احد غيرهم.

ويسمى ايضا (اسرائيل) لانه كان اول من سرى بالليل وقيل انها كلمة عبرانية ومعناه عبد الله او صفي الله. وفي البحار ١٨٢/٥ عن الصدوق في العلل بسنده عن ابن عمارة عن ابيه عن الصادق (ع) قال: كان يعقوب وعيص توأمين فولد عيص ثم ولد يعقوب فسمي يعقوب لانه خرج عقب اخيه عيص. ويعقوب هو اسرائيل ومعنى اسرائيل عبد الله لان (اسرا) هو عبد و (ايل) هو الله... وروى في حديث اخر ان الاسرا هو القوة وايل هو الله عز وجل فمعنى اسرائيل (قوة الله).

وفي العلل بسنده عن كعب الاحبار - في حديث طويل انما سمي يعقوب اسرائيل لانه كان يتولى سدانة بيت المقدس يسرج القناديل ويفتح الابواب ويغلقها وكان اول من يدخل وآخر من يخرج وكان يدعها مشعلة طوال الليل فلا يأتي الفجر الا وقد اطفئت فتعجب من ذلك فبات ليله في المسجد ليتعرف من يطفيء القناديل قبل الفجر وفي منتصف الليل رآها تطفأ واحد بعد الاخر فهب من مضجعه واذا يرى جنيّا يطفئها فاحتوى عليه يعقوب

واسره وشده الى سارية المسجد وبقي الى الصباح حتى اتى الناس فرأوه فسألوه عن اسمه قال (ايل) فسمى يعقوب آسرايل حتى خففت الى (اسرائيل).

(سابقة (٢) (اسرة النبي يعقوب)

قال الطبرسي في مجمع البيان ٢١٢/٣: ان نبي الله يعقوب بن اسحاق (ع) تزوج (اولا) لعيا بنت ليان بن ناحور بن لاحج بن ساروغ بن ارغوا - ولاحج هو جد سارة زوجة ابراهيم وملكا زوجة اخيه ناحور لامها رقية - ولعيا هي بنت خالة يعقوب فولدت له (١ً) روبيل وهو اكبر اولاده و (٢ً) شمعون و (٣ً) لاوى و (٤ً) يهودا و (٥ً) ديالون و (٦ً) يشجر.

ثم توفيت فتزوج اختها راحيل بنت ليان فولد له (٧ً) نبي الله يوسف و (٨ً) بنيامين نفست به وماتت.

فتزوج اختها الثالثة حقوين وهي التي اتهمت يوسف بالسرقة لمنطقة اسحاق تريد ان تحكم عليه بالمبيت عندها وهي احد الابوين في قوله تعالى: (ودفع ابويه على العرش...) يعني بهما اباه يعقوب وامه حقوين لانها التي كفلته بعد ان ماتت امه قوله (.. وآوى اليه ابويه..) كما ذكره في البيان ٢٦٤/٣ ولم يذكر انها ولدت ليعقوب شيئا.

ثم ولد له من جاريتين تسراهما احداهما تسمى سُلمة والاخرى زلفة اربعة بنين (١ً) دان و (٢ً) نفثالى و (٣ً) حاد و (٤ً) آشي.

وبذلك كانت عدة بني يعقوب (١٢) ولدا وكلهم في الحسن والجمال كالبدور والاقمار ولكن يوسف اذا جلس بينهم كان كالقمر بين النجوم وكان منزلهم بكنعان بالقرب من ارض فلسطين وكانو اهل بادية ومواشي.

(سابقه (٣) (وفاة يعقوب)

وذكر المفسرون في قوله تعالى (ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين...) قال وهب انهم دخلوا مصر وهم (٧٣) انسانا وخرجوا مع موسى الكليم (ع) وهم ستمائة الف و (575) رجلا.

وكان عمر يعقوب حين دخل مصر مهاجر الى ولده يوسف (ع) (١٣٠) سنة واقام بمصر (٢٤) سنة وتوفي وعمره (١٥٤) سنة وقيل (١٤٧) وتوفى اخوه عيص بكنعان في نفس اليوم فكان عمر كل منهما (١٥٤) سنة لانهما ولدا في يوم واحد كما ذكرنا قريبا فعظمت المصيبة على يوسف بوفاة ابيه وعمه.

ونقل يوسف (ع) اباه يعقوب في تابوت ساج الى بيت القدس فدفنه مع اخيه بقبر واحد ومن ثم نقل اليهود موتاهم للدفن في القدس وحول بيت المقدس.

(مرفق (٢) (ترجمة النبي يوسف (ع))

هو نبي الله يوسف الصديق بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم الخليل (ع). وان راحيل بنت ليان بن ناحور بن الاحج بن ساروغ بن ارغوا. ولد بعد (٨٥) سنة من وفاة جده ابراهيم الخليل وقبل ميلاد المسيح بنحو (٢١٥٠) سنة عاش مع امه راحيل خمس سنين ثم ولدت اخاه بنيامين وماتت في النفاس فكفلته عمته سارة وهي اكبر ولد اسحاق ولما طلب يعقوب ان ترده عليه عز عليها فراقه فاحتالت في بقاءه عندها فشدت وسطه بمنطقة اسحاق واتهمته بالسرقة وقيل بل ان اللتي اتهمته بالسرقه خالته حقوين لما تزوجها يعقوب فكان يبيت عندها ليلا ويذهب عند عمته نهاراً فاتهمته بالسرقة ليكون عندها ليلا ونهارا كما سنذكره عند قوله تعالى (قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل).

اخرجه اخوته معهم الى الصحراء وعمره سبع سنين وقيل (١٢) سنة عن مجاهد وبقي في العبودية ثم السجن ثم الملك ثمانين سنة بعد وعاش ذلك (٢٨) سنة عن الحسن في العرائس ص ٦٨ والبيان ٢١٥/٣ ولم يلتق باخوته وابيه الا وهو ابن (٧٥) عاما. وتولى الملك والرياسة على مصر قدر اقامته في السجن سبع سنين وقال الثعلبي عاش (١٢٠) سنة.

وروى الطبرسي في البيان ٢٦٦/٣ عن ابن خالد عن الصادق (ع) قال دخل يوسف السجن وهو ابن (١٢) سنة ومكث فيه سبع سنين وبقي بعد خروجه ثمانين سنة هـ ودفن في النيل ثم نقل الى بيت المقدس.

(محاسنه الصورية)

وكان اية من آيات الله في الحسن والجمال وقد ورث هذا الجمال من قبل جده ناحور فهو جده لامه وجده اسحاق ثانيا وجدته سارة ثالثا. وقد وصفه المؤرخون بانه كان ابيض اللون مشربا بالحمرة كلون البيض او اللؤلؤ المكنون مدور الوجه اقنى الانف احور العين سهل الخدين موردهما رقيق الشفتين احمرهما ضيق الفم ابلج الثنايا اذا ابتسم رؤى النور من ضواحكه واذا تكلم رأيت شعاع النور يشرق من ثناياه مستوى الخلق لا طويلا ذاهبا ولا قصيرا نزرا ولا ضخما بدينا ولا نحيفا هزيلا بل معتدلا مكتنز اللحم غليظ الساقين والعضدين والساعدين لين الكفين رخص الانامل كأن عنقه ابريق فضه يرى الماء في حنجرته عندما ينزل الى جوفه. رقيق المسربة صغير السرة خميص البطن هضيم الخصر عريض الماكحة خلق الكلام فصيح اللسان رخيم الصوت كأن الفاظه دقات الجرس. جعد الشعر سبطه له ذؤابتان تلقاء وجهه وذؤابة من خلفه وصدع معقرب وخال على خده الايمن وبين عينيه شامة بيضاء يتألق منها نور. وكانت محاسنه قيد الابصار ونزهة الانظار فاذا نظر احد الى جارحة منه لم يقدر ان يحولها الى جارحة اخرى.

(محاسنه في عالم الخيال)

فهو كما وصفه المؤلف في عرائس الجنان ٦٨/٢

محياك مثل البدر بل هو ازهر ... ووجهك مثل الشمس بل هو انور
وخدك ورد الروض طيبا ونضرة ... وثغرك في اللألاء در وجوهر
ومنطقك السحر الحلال شفاهه ... عقيق لماه العذب خمر وكوثر

اذا ما تبدي عقرب الصدغ اطلعت ذوائبه الحيات ما ليس يقدر
ذوائب مثل الليل طولا وظلمة احاطت على وجه به الصبح يسفر
وعينان ترمى اضلع الناس اسهما يسددها طرف به السحر يؤثر
اذا الدر يوما زان نحرا وطلية فمن نحرك الدر يزين ويفخر
وان طيب الانفاس عطر فانت قد تحول من انفاسك الطيب يعطر
يزين الذميم الحلي حسنا فكيف لو تحلى به قلب الجمال المصور
تبارك رب الكون باريك فتنة كغصن من البلور بالورد يثمر
فما بك نقص غير انك نبعة من النور في جسم من الحسن يقطر

٭ ٭ ٭

يلومونني فيك الانام ولو رأوا خيالك في طيف لذلوا واعذروا
فمر بهم في النوم طيفا ليعرفوا ـ اذا لم يموتوا منك ـ ما قبل انكروا

وما وصفه به ص 67

واعين بسيوف الهند ساحرة كم اضرمت مهجا بالوجد نيرانا
سكرى فتورا ولكن قد صحت حورا صحت فلم يشف منها السقم انسانا
والخد كالدر لما انشق عن صدف ازهى من التبر والياقوت الوانا
كأنه الوردة الحمراء كللها طل من الفجر طابت فيه ريحانا
والثغر كاللؤلؤ المنظوم صف على ياقوت ضفة نهر شهده زانا
كان الكوثر السلسال ما جمعت له ثناياه خمرا طاب عقيانا
لم يرتشفه اخو سكر فنال اذى ولا اخو الصحو الا عاد سكرانا
والشعر امسى كاشطان الحرير له سواد ليل بزهر الانجم ازدانا
شعر ترامى على الارداف طائله كان ليل صب حبه بانا

(محاسنه المعنوية)

واضاف الى هذه المحاسن الخلقيه ما وصف به من المحاسن الخُلُقية... فقد كان كما وصفه المؤرخون كريما جوادا امينا عفيفا ابيا شجاعا عالما عاملا عابدا لله

زاهدا في الدنيا قانعا بما رزقه الله عطوفاودودافصيحاخطيبا كما ان النبوة اسبغت عليه مطارف مجد وعلاء من العصمة والعلم الالهامي والكمال الروحاني. وما احقه بقول حسان بن ثابت في مدح سيد المرسلين (ص).

فما نظرت لمثلك قط عين ومثلك قط لم تلد النساء
ولدت برءا من كل عيب كأنك قد خلقت كما تشاء

قال كعب الاحبار ان الله مثل لادم ابي البشر (ع) ذريته. بمنزلة الذر فاراه الانبياء نبيا نبيا واراه في الطبقة السادسة يوسف متوجا بتاج الكرامة بيده قضيب الملك عن عينيه سبعون ملك وعن يساره مثل ذلك ومن خلفه امم الانبياء لهم زجل بالتسبيح والتهليل بين يديه شزرة السعادة تتحول من والى حيث كان فقال آدم الهي من هذا الكريم الذي ابجته بجبوحة الكرامة؟ قال: يا آدم هذا ابنك المحسود يوسف المبتلي. فهل لك ان تنحله شيئا قال نعم يا رب اني نحلته ثلثي جمال البشر من ذريتي.

وعن ابن سعيد الخدري عن النبي (ص) قال اسرى بي الى السماء رايت شخصا في السماء السابعة كانه البدر وحوله جماعة كالكواكب فقلت يا جبريل من هذا؟ قال هذا نبي الله يوسف بن يعقوب.

ولي حبيب كان الله صوره من يانع الزهر او من ذائب البرد
كأنه قالب البلور اودع في احشائه الورد محمر الطباق ندى

زقد شهد له بالحسن رسول الله (ص) مرة اخرى فقال: اعطي يوسف وامه شطر الحسن. وقال وهب: الحسن عشرة اجزاء تسعة منها في يوسف وواحد منها في سائر الناس. وشهد له ايضا الكرم الخلقي والخلقي في قوله: ان الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم.

وقد ذكر المؤرخون انه كان كريم الطبع والاخلاق وكان جوادا سخيا وكان

ابوه مأوى الاضياف والوفاد. وبلغ من كرمه انه اعاد على اهل مصر جميع ما بذلوه اليه من الاثمان في شراء اقواتهم منه ايام المجاعة من النقود والعقار والمواشي والدقيق والحلى والملابس والفراش ولم يأخذ منهم على ما اعطاهم عوضا ولا ثمنا كما قال تعالى (انما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاء ولا شكورا) الدهر / وذكروا انه لم يشبع من طعام قط ايام المجاعة لئلا ينسى الساغبين.

(مرفق (٣) (محبة الآباء للابناء)

كان يوسف (ع) احب اخوته الى ابيهم نبي الله يعقوب (ع) على الاطلاق ومحبة الاباء للابناء غريزة قد التاطت بها لحومهم ومزجت دماؤهم لايمكن لاحد ان يتخلى عنها مهما وقع بينه وبين ابنه من تقاطع او جفاء الا في ما ندر من الآباء الذين تغلب على طبائعهم نزعات وحشية.

وربما كان لبعض الاباء حب لابنائهم اكثر وابلغ من المعتاد. وذلك اما لان قلوبهم قد طبعت على حنان وعطف اكثر. او لان ابناءهم قد وهبوا مزايا ومآثر اوجبت لهم زيادة الحب من آبائهم وفي المستطرف ١٠/٢ قيل لرجل اي ولدك احب اليك؟ قال: احبهم الي الصغير حتى يكبر والمريض حتى يشفى والغائب حتى يحضر والفقير حتى يغنى اهـ فالصغر والسقم والغيبة والفقر توجب في الابناء زيادة الحب من الاباء كما ان صفات المجد والشرف والعز مما يرفع قدر الابناء عند الآباء وغيرهم وبالعكس فان صفات السوء والنقص والشر تحرم الابناء من محبة الاباء وغيرهم.

كما ان حب الرجل لزوجته قد يزيده في حب ابنائه منها باكثر مما يكون لأبنائه من غيرها ولو لم يكن لابن المحبوبة فضل على اخوته من غيرها كما يشاهد ذلك من حب هرون الرشيد العباسي لابنه محمد الامين على حبه لابنه عبد الله المأمون فان المشهود ان المأمون كان اوفى من اخيه الامين فضلا ورايا وعقلا وعلما فلم يحب الامين اكثر من غيره الا لغلبة محبته لامه زبيدة بنت عمه جعفر بن ابي جعفر.

وربما تجد بعض الاباء يمقتون ابناءهم لمقتهم امهاتهم فغالبا لا يحب الاب ابنه حبا صادقا الا اذا احب امه قال المؤلف:

فمحبة الآبا بنيهم نبعة ... عن حبهم للامهات اللاتي
لا يحمل الاب لابنه حبا اذا ... لم يرتشف من امه اللذات
لا يحسب الولد ابنه من لم تجس ... يده ترائب امه النهدات

وقال في المعنى

لايقيم الاب وزنا لابنه ... دون ان تحظى لديه امه
فاذا الام غدت ممقوتة ... لم تر الزوج ابنها يكرمه

وقال ايضا

لا يعطف الاب في شوق على الولد ... الا اذا حاز ردفى امه بيد
يخاف من امه الحسناء تمقته ... لو عقه فهو للاثنين في صفد

وقد تكون هذه المحبة مانعة للاب حتى من تاديب ولده وحمله على الاخلاق الكريمة والعادات النبيلة لانه يخشى لو ادبه او ضربه ان تهجره امه فيخسر حبها له ويحرم انسها وانسه بها قال المؤلف:

لا يعجز الاب في ابن ان يؤدبه ... ضربا اذا شد في العصيان او هجرا
الا لما يختشي من امه غضبا ... يقصيه عنها فلا يقضي بها وطرا
لو مد نحو ابنها كف الجفاء ضحى ... لن تبسطن له كف الهوى سحرا

وقد يزيد في حب الرجل لولده زيادة شبهه به في محاسنه وشمائله الصورية او المعنوية الجسمية او الروحية كزيادة حب النبي (ص) لابنته الزهراء وحب عبد المطلب بن هاشم سيد البطحاء لابنه عبد الله قمر الحرم والد النبي الكريم.

وقد تكون زيادة الحب لا لامر من هذه الامور بل لمجرد الميل النفسي والعطف القلبي والانجذاب الروحي كما هو الحال في زيادة حب قصي بن كلاب

ابن مرة لابنه عبد الدار فقد كان اخوته عبد مناف وعبد العزى وعبد قصي افضل منه نفسا واعلى قدرا واجمع فضلا وكلهم لام واحدة وهي حبى بنت خليل الخزاعية حتى اثره بمآثره كلها ليلحقه باخوته في الفضل والشرف ولم يسهم فيها معه احدا منهم.

وفي زيادة حب ابي طالب بن عبد المطلب لابنه عقيل حتى كان لايقدر على فراقه فلما تقاسم اخوته اولاده ليحملوا اثقالهم عنه قال دعوا لي عقيلا وخذوا من شئتم.

(سابقه (١) (اسرار محبة يعقوب لابنه يوسف)

مما ثبت ضروريا عند الامامية عصمة الانبياء والأئمة (ع) عن الاخطاء المحرمة والسيئات والذنوب اي ان اعمالهم واقوالهم لا بد ان تكون موافقة رضى الله ،وعلى منزلة رفيعة من الفضل والرجحان.

وحيث ان يعقوب نبي من اولياء الله المصطفين فلا بد ان تكون محبته لابنه يوسف مشروعا راجحا لانه لم يكن الا لبواعث اكيده دفعته اليه (١) الابوة فان الاب لا بد ان يحب ابنه ويعطف عليه ولو انه عقه وجفاه (٢) الالفة والانسجام بين الاب والابن فانها تبعث على الحب والادمة بينهما (٣) الصغر فان الاب يشغف بحب الصغار من ابناءه حتى يكبروا وكان يوسف اصغر اخوته عندما فارق اباه الى الصحراء (٤) انه يتيم الام فقد فقد امه وهو بعد طفل في ايام الرضاع واليتيم يحتم على اقرباءه بالتحبب اليه والعطف عليه (٥) النبوءة فانها منحت ليوسف دون اخوته فلم يكن ليعقوب في اولاده نبي غيره والنبي يجب ان يحبه كل اهل عصره لانه حجة الله عليهم وخليفته فيهم (٦) انه قد جمع الجمالين الصوري والمعنوي في الخلق والاخلاق والجمال يحتم على الناس حب صاحبه ايا كان فكيف اذا كان قريبا او ابنا صغيرا عند ابيه.

(٧) الآيات التي ظهرت له ودلت على ان له مقاما ومنزلة عند الله فمن تلك الآيات (أ) قالوا ان يعقوب كانت في داره شجرة جميلة لها ورق بالوان مختلفة

وزهور عطرية فاتحة فكلما ولد له ولد نبع فيها غصن يكبر كلما كبر الغلام ويطول كلما طال حتى آكتملت عشرة اغصان لعشرة من الاولاد وكان يوسف هو الولد الحادي عشر واتفق انه لم ينبت له غصن. فكانت اخوته تعيره و وتزدريه لحرمانه من غصن له فتسميه الناقص والمحروم والابتر فشكى ذلك لابيه فاحب ان يرفع ما في نفسه من وهن وانكسار وقال يا بني لعل الله قد اعد لك في الجنة غصنا خيرا من اغصانهم لا يجف ولا يذبل ولا يعقم اذا صبرت على قضاءه وسلمت لامره. فما كان اليوم الثاني واذا قد هبط الامين جبرئيل على يعقوب بالغصن الذي تمناه لولده بالوصف الذي وصفه فدفعه لابنه يوسف فسجد شكرا لله وشكر اباه وسر سرورا بالغا واخذ يعرضه على اخوته يعلمهم بان الله قد ساوى بينه وبينهم في العطاء ليقلعوا عن تعييره وانتقاصه.

وجاء ذلك الغصن كما تمناه يعقوب غصنا مستقلا له ورق ملون كريش الطاووس ورائحة طيبة كالند والعنبر وثمر طيب شهي لا يحتاج لارض ولا ماء اذا القاه انغرس في الارض وآب تحت ظله عن الشمس واذا احب نقله قلعه بدون اي عسر وصعوبة.

فوقع الحسد في نفوس اخوته له من ذلك الوقت واتهموا اباهم انه هو الذي دعا ربه ليؤثر يوسف بذلك الغصن عليهم. واخذ يعقوب يعتذر اليهم انه لم يدع بشيء لاحد ولكن (فضل الله يؤتيه لمن يشاء والله ذو الفضل العظيم).

وعلى اثر نزول الغصن ليوسف كبر في نفس ابيه يعقوب وازداد حباً وشوقا له فلم يكن ياكل ولا يشرب او ينام الا معه.

(٢) اتفق ان يوسف (ع) راى ليلة في المنام كانه دخل روضة فرأى اغصان اخوته مغروسة فيها وقد جفت ويبست ولكن غصنه الذهبي لا يزال مزدهرا رطبا اخضر مليئا بالازهار ذات الانفاس الارجية والروايح الذكية فوقف يتفكر اذ هبت عاصف من الريح فاكتسحت تلك الاغصان اليابسة كلها والقت بها الى اليم وبقي غصنه محتفظا باناقته ونضرته وطيبه لم يتحول ولم يجف

فلما حدث بها اباه قال يا بني اكتم ما رايت فانه يدل على مستقبل لك زاهر ترزق فيه ذرية طيبة فيها العلماء والانبياء ويبقى ذكرهم وفضلهم الى يوم القيامة

ولكن الحديث بلغ اخوته فازداد حسدهم له وتنمرهم عليه وقالوا : ما كفى ابن راحيل ان يفخر علينا بغصنه حتى اخذ يفتعل الاكاذيب ويختلق الاباطيل فيما يرفعه ويخفضنا ويعزه ويذلنا فاتاهم يعقوب وقال يا بني ان اخاكم صبي صغير ولعله يرى في نومه ما لايحسن وصفه في يقظته ولا يجيد التعبير عنه فلا يؤخذ ذلك عليه وانتم بمنزلة اباءه فماذا يحملكم عليه.

(٣) الرؤيا اللتي سجدت له فيها النيران والكواكب وكانت بدء القصة العجيبة من نوعها في الاتفاق وهي اللتي حكاها الله تعالى بقوله (اذ قال يوسف لابيه يا ابت اني رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين) قال المؤرخون كانت تلك الليلة ليلة الجمعة وليلة القدر من شهر رمضان فلما اصبح اتى اباه يعقوب وسلم عليه وقبل يده وقال يا ابت رايت البارحة في المنام كان السماء قد فتحت ابوابها وقد اشرق منها النور وازهرت النجوم واشرقت الجبال وزخرت البحار وسبحت الحيتان فهبطت طائفة من الملائكة فالبسوني حلة من الجنة من حرير وسندس مرصّعة بالدر والياقوت والمجوهرات تعدل قيمتها الدنيا وما فيها ووضعوا على رأسي تاجا من اللؤلؤ يضيء كضوء الشمس والقمر ثم نصبوا لي منبرا له عشرون مرقاة من ذهب ما بين المرقاة والاخرى ثلاثة اذرع فرقيته وجلست على ذروته فاتى ملك والقى بين يدي مفاتيح لماعة وقال هذه مفاتيح كنوز الارض خذ منها ما تشاء لك ولاهل بيتك ولاتباعك

واذ انا ارى الشمس والقمر واحد عشر كوكبا قد خرت من السماء فوقعت ساجدة امامي..

فلما سمع يعقوب (قال يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا) ويحسدوك على ما اثرك الله به (ان الشيطان للانسان عدو مبين) يحمله على الحسد والعداوة والبغضاء ولا يخلو جسد من حسد.

(مرفق (٤) (حقيقة الحسد وحكمه في الدين)

اختلف العلماء في تعريف الحسد على اقوال شتى ولعل اصح ما عرف به: ان الحسد هو انفعال الانسان وسخطه نفسيا لما قسم لاخيه من نعمة او فضيلة او منزلة لا يراه اهلا لها ويتمنى زوالها عنه ويختلف عن الغبطة بان الغابط لا يغتم من صاحب النعمة ولا يتمنى زوالها عنه بل يحب ان يرزق مثلها كما عن النبي (ص) انه قال: علىم يقتل احدكم اخاه اذا رأى احدكم من اخيه ما يعجبه فليدع له بالبركة. وهي الحسد المنسوب للانبياء وعن الغيرة بانها انفعال الانسان بمشاركة الغير له في نعمته اللتي يحب تفرده بها وحبسها عليه. وتقع الغيرة غالبا بين الشركاء كالعبد في ملكية المولى والاولاد في ابوة الاب والام والضرات في اهلية الزوج فكل واحد من هؤلاء. في كل الاصناف يحب ان ينفرد بما قسم له من نعمه دون ان يشركه فيه غيره.

اما الاثرة فانها نتيجة اما عن الحسد او الغيرة. وقد تسمى النظرة من العيان حسدا كما في قوله تعالى (ومن شر حاسد اذا حسد).

اما حكم الحسد في الاسلام فذكر المجلس في البحار ١٥/٣/١٢٧ ان الحسد قد اختلف فيه فقال الشيخ محمد بن الحسن الطوسى انه مكروه والاولى تركه وقال اخرون ان الاخبار تدل على انه ليس حراما لانه لا يخلو منه انسان حتى قيل لا يخلو جسدين حسد فقد يكون حتى في الانبياء لما رواه الصدوق في الخصال بسنده عن الاشعري عن الصادق (ع) قال: ثلاث لم يعر منها نبى فمن دونه الطيره والحسد والتفكر في الوسوسة وفي نهج الفصاحة ص ٢٦٢ عن النبي (ص) قال ثلاث لازمات لامتي سؤ الظن والحسد والطيرة فاذا ظننت فلا تحقق واذا حسدت فاستغفر الله واذا تطيرت فامض وفي ص ٣٨ قال (ص) اذا حسدتم فلا تبغوا واذا ظننتم فلا تحققوا واذا وزنتم فارجحوا وفي ص ١٣٨ ان الله تعالى تجاوز لامتي عما حدثت به انفسها ما لم تتكلم او تعمل به وذكر الطبرسي في المجمع ٢١٢/٣ قيل

للحسن (ع) ايحسد المؤمن؟ قال ما انساك حديث بني يعقوب.

فهذه الاحاديث تدل على ان الحسد وسؤ الظن والطيرة اذا لم تخرج عن نطاق القلوب والضماير لم يكن بها اثم اما اذا عمل بموجبها اللسان او الاعضاء تحولت اثاما وخطيئات فهو يقول اذا ظننت فلا تحقق اي لا تتبع العورات ولا تكشف الاستار. قال تعالى (اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم) اي الظن الذي اذعت به. واذا حسدتم فلا تبغوا اي لا تقوموا بمحاولات سوء ضد المحسود كالاعمال اللتي قام بها معاوية ضد امير المؤمنين (ع) من اختلاق الاكاذيب في ذمه وحمل الناس على سبه ولعنه والبراءة منه. واذا تطيرت فامض اي امض في وجهك الذي تقصده ولا تستسلم لداعي الخمول والعجز والحرمان. وفي الحسد المحرم يقول رسول الله (ص) الحسد يأكل الايمان او الحسنات كما تأكل النار الحطب.

وتفسير ذلك هو ان الحاسد لا يتجه انفعاله وغمه وحزنه نحو المحسود في حقيقة الامر وانما يتوجه نحو الجليل جل جلاله لان ما ناله المحسود من نعمة او فضيلة او منزلة لم يكن نالها من قبل نفسه وانما نالها من الله. قال تعالى (ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك...) النساء/٧٩ فيعود انفعاله وتأثره على الله تعالى لا من غيره وفي المستطرف ١/٢١٤ قال الله تعالى الحاسد عدو نعمتي متسخط على فعلي غير راض بقسمتي اللتي قسمت لعبادي قال الشاعر:

الاقل لمن كان لي حاسدا ... اتدري على من اسأت الادب
اسأت على الله في ملكه ... لانك لم ترض لي ما وهب
فأخزاك ربي بان زادني ... وسدّ عليك وجوه الطلب

واذا عاد انفعاله وحزنه لمقادير الله فليس معنى هذا الانفعال الا عدم الرضا بما قسم الله وعدم الرضا بما قسم الله يوجب القدح في عدله واتهامه بالظلم لعباده بانه لا يعطي كل ذي حقه حقه ولا يضع الاشياء في مواضعها وانكار العدل

الالهي خروج من ساحة الاسلام والتحاق بركب الملحدين لان الدين الاسلامي قائم على خمس دعائم وهي العقايد الخمس التوحيد والعدل والنبوة والامامة والمعاد وبسقوط دعامه منها ينهار البناء كله.

لان انكار العدل في الله لا يجعله مستحقا للشكر ولا اهلا لان يعبد فتكون عبادات الحاسد من صلوة وزكوة وصوم وحج وعمرة وامثالها موجهة الى من لا يستحقها وليس اهلا لها فلا قيمة لها واذا لم تكن لها قيمة في نفس الحاسد لانها توجه لغير اهلهافكيف تكون لها قيمة لمن توجه اليه فليس لها مقابل عند الله الا البطلان والاحباط وبذلك تكون حسنات الحاسد وعباداته كلها مردودة حابطه لا تنال قبولا ولا تستحق اجرا من الله.

(سابقة (١)) (في الحسد منافع للمحسود)

ولا تنس ان في الحسد منافع للمحسود يجنيها من محاولات الحاسد ولتغيير ارادة الله وتبديل مشيئته وقطع عطاءه فالله يريد ان يرفع او يغني او يغر المحسود والحاسد يريد ان يهبطه او يفقره او يذله والله تعالى يقول (وان يمسسك بضر فلا كاشف له الا هو وان يربك بخير فلا دال لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم، يونس /١٠٧ ويقول تعالى (وتحت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته) ويقول الامام زين العابدين (ع) في دعائه يخاطب الله عز وجل (ولا مصدر لما اوردت ولا صارف لما وجهت ولا فاتح لما اغلقت ولا مغلق لما فتحت ولا ميسر لما عسرت ولا ناصر لمن خذلت..).

واكبر شاهد وبرهان على ذلك ما قام به معاوية واتباعه من انتقاص امير المؤمنين (ع) وحمل الناس على سبه ولعنه واختلاق الاباطيل في ذمه وافتعال الاكاذيب في نقصه فقد ذكروا ان ابا هريرة وحده قد افتعل عن لسان النبي (ص) سبعة الاف حديث في ذم وسب امير المؤمنين (ع) وكان واحدا من (١٤)

كاتبا اشترى معاوية دينهم وضمائرهم بالاموال فأين هذه الاحاديث اللتي وضعوها والاباطيل اللتي نشروها (فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض كذالك يضرب الله الامثال) الرعد /١٧

نحن لا نجد فيما عندنا من الكتب والمؤلفات الا الفضائل والمناقب لامير المؤمنين (ع) قد زخرت بها كتب المسلمين وفاضت بها المكتبات في جميع انحاء العالم للعالمين (قل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا . يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره ولوكره الكافرون) التوبة /٣٢ وفي هذا يقول المؤلف في العرائس ١/٧٧

من سرّ في نفسه ما حاز من رتب — لقوله (لا تزكوا النفس) احلاما
وسرها رهطة حقنا لدمهم — وسرها الخصم انكارا وافحاما
فذاع من بين هذا كله لمع — من فضله اعيت الاقوام افهاما
فالدهر يكتب ما تملى مناقبه — والوحي يمطره الايات ارزاما
والبعض مما راينا من مآثره — في عده حير المحصين افهاما
فلو اتى البحر حبرا والسما صحفا — والناس كتابه والدوح اقلاما
لم تحص منها ـ وهل تحصى النجوم ـ ولا — عشر الذي حازه في العلم الهاما

وكانت النتيجة مما قام به معاوية واتباعه ضد امير المؤمنين (ع) ان لمع اسمه وظهر فضله حتى اقترن بالشهادتين في الاذان فكانت الشهادة الثالثة في دين الاسلام هي الشهادة لعلي (ع) بالولاية (اشهد ان عليا امير المؤمنين ولي الله) تفسيرا لقول الله (انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم راكعون) المائدة /٥٥ وقال ابو تمام حبيب بن اوس الطائي..

واذا اراد الله نشر فضيلة — طويت اتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت — ما كان يعرف طيب عرف العود
لولا محاذرة العواقب لم تزل — للحاسد النعمى على المحسود

وقال آخر

حسدوا الفتى اذ لم ينالوا سعيه ... فالكل حساد له وخصوم
كغرائر الحسناء قلن لوجهها ... حسدا وبغيا انه لذميم

(عبد الملك بن صالح وحساده)

وفي شرح النهج ١/١٢٢ قال: بينا عبد الملك بن صالح يسير يوما مع الرشيد في موكبه اذ صاح من خلفهم يا اميرطأطيءمن اشراف هذا الذي معك وقصر من عنانه واشدد من شكامه ـ وكان عبد الملك متهما عند الرشيد بالطمع في الخلافة ـ فقال الرشيد ما يقول هؤلاء ؟ فقال ابن صالح: هذا مقال حاسد ودسيس حاقد قال صدقت نقص القوم وفضلتهم وتخلفوا وسبقتهم حتى برز شأوك وقصر عنك غيرك ففي صدورهم جمرات التخلف حزازة التبلد فقال ابن صالح فاضرمها عليهم بالمزيد يا امير.

(البدوي ووزير المعتصم)

وذكر في المستطرف ١/٢١٤ ان احد الاعراب وفد مرة على الخليفة محمد المعتصم العباسي فاعجب بذكاءه وكرم اخلاقه وقربه وادناه واختاره نديما له فحسده الوزير وخشى ان يختاره المعتصم مكانه في الوزارة فعمل الحيلة في اقصاءه عن قرب المعتصم ودعاه الى طعامه يوما في داره وقد اكثر فيه من الثوم فلما اكل واراد الانصراف قال الوزير اعذرني يا اخي اليوم في هذا الطعام فقد اكثرت فيه امرأتي من الثوم فاذا حضرت مجلس الخليفة اليوم فلا تدن منه اخشى ان يتأذى برائحة الثوم من فمك. وذهب فدخل على المعتصم وقال ان هذا البدوي الذي ترفع من قدره وتدني مجلسه يقع فيك بانك أبخر الفم، هو لا يقدر على الدنو منك... فلما حضر البدوي بعد ذلك راه المعتصم متلثما مبتعدا فصدق فيه قول الوزير واشاح وجهه عنه وفي نهاية الجلسة سلمه كتابا ليذهب به للوالي على بغداد

ليعطيه جائزة له.

فلما خرج البدوي بالكتاب لقيه الوزير فسأله قال ان الخليفة امر لي بصلة وانا ذاهب الى بغداد لقبضها فطمع فيها الوزير وقال الا تسمح لي ان اريحك من السفر واذهب فآتى بها اليك فاجابه لذلك وذهب الوزير بالكتاب فلما بلغ به الى الوالي امر بقتله ولم يسمع له حجة.

وفي اليوم الثاني حضر البدوي مجلس المعتصم وقد اماط اللثام عن وجهه فعجب المعتصم من حضوره وغيبة الوزير وقال اين ما كتبت به اليك الم تذهب لقبض صلتك فقال ان الوزير سألني ان يذهب عني لقبضها فدفعته اليه قال واين اللثام الذي وضعته بالامس قال يا مولاي ان الوزير اطعمني في مائدته ثوما كثيرا وامرني ان اضع اللثام وابتعد عن قربك لئلا تتأذى بريح الثوم عن فمي... فقال المعتصم لله در الحسد ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله لقد انجاك الله من القتل لبراءتك ورد كيده في نحره لمكيدته بك

(سابقة (٢)   (وقد يقضي الحسد على الحاسد)

اما الحاسد فانه لا ينال من الحسد الا الشر والغر والحزن الدائم والغم المتصل ففي المستطرف ٢١٣/١ قال ابو الليث السمرقندي تصل الحاسد خمس عقوبات قبل ان يصل شره الى المحسود (١) غم لا ينقطع فهوَ غضبان على القدر ومغتاظ على من لا ذنب له و (٢) مصيبة لا يؤجر عليها بل يكسب الاثام منها و (٣) مذمة لا يحمد عليها كما قيل بئس الشعار الحسد و (٤) سخط الرب فانه يقول الحاسد عدو نعمتي ساخط على فعلي غير راضٍ بقسمتي و (٥) يغلق عنه باب الهناء في العيش والتوفيق في العمل فقد قيل ثلاثة لا يهنأ لهم عيش الحاقد والحاسد وسيء الخلق وفي ذلك يقول الشاعر.

يا طالب العيش في امن وفي دعة ريا بلا ظما صفوا بلا رنق
فرغ فؤادك من غل ومن حسد فالغل في الصدر مثل الغل في العنق

وفي شرح النهج عن ابن مسعود عن النبي (ص) قال لا تعادوا نعم الله فتعاديكم قيل يا رسول الله ومن الذي يعادي نعم الله قال هم الذين يحسدون الناس... وقيل لارسطو ما بال الحسود اشد غما من المكروب؟ قال: لانه ياخذ حظه من غموم الدنيا ويضيف اليها غمه بسرور الناس وانشا

تراه كأن الله يجذع أنفه واذنيه ان وافى غنياً منعما

وقال بعضهم ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من الحاسد، قال الشاعر:

قل للحسود اذا تنفس ضغنه يا ظالما وكانه مظلوم
لم تظلمنك الناس بل انت الذي دوما لنفسك بالهموم ظلوم

وقال الآخر

ان يحسدوني فاني غير لائمهم قبلي من الناس اهل الفضل قد حسدوا
فدام لي ولهم ما بي وما بهم ومات اكثرنا غيظا بما يجد

(قد يؤدي الحسد الى الانتحار)

في المستطرف ٢١٣/١) قال اعرابي: الحسد داء منصف يفعل في الحاسد اكثر من فعله في المحسود وهو مأخوذ من الحديث: قاتل الله الحسد ما اعدله بدا بصاحبه فقتله ورواه في شرح المنهج ١٢٢/١ عن امير المؤمنين (ع) وقال الشاعر

اصبر على حسد الحسود فان صبرك قاتله
كالنار تأكل بعضها ان لم تجد ما تأكله

ويؤيد ذلك ما ذكره المجلسي في البحار ١٥/٣/ ان احد الاغنياء كان الى

جنب قصره كوخ لفقير في اصفهان وكان الغني يتعهد جاره بالصدقات والمساعدات حتى استغنى فبنى له قصرا مكان الكوخ متصلا بقصر الغني. وفتح له تجارة عامة وتحسنت احواله حتى عاد ينافس جاره في شراء السلع والبضايع اللتي يرد جاره الغني عنها.

وفي ذات ليلة فقد الغني وغلامه من القصر وقام الاسرة والعايلة في الفحص والتنقيب عنهما فما وجدوهما وبعد ثلاث ليال هبت على اهل المنطقة من اعلى القصر رائحة جيفة منتنة فظنوها جيفة قط او كلب فصعدوا الطابق الاخير من قصر الجار الفقير فوجدوا الغني مقتولا منبذا حتى تعفن ونتن ورفع امره الى السلطات القائمة فاعتقلوا الفقير واتهموه بقتل جاره الغني بانهم وجدوه في اعلى قصره فأخذ يمضي لهم الايمان المغلظة على انه لا يعلم عن الحادث شيئا وليس بينه وبين جاره الا كل اخوة وصفاء فلم يسمعوا قوله واودع السجن للتحقيق في امره

واتفق ان عريف المنطقة سافر مرة الى همدان فراى غلام الفتى هناك فتعلق به وسأله عن الحادث فاخرج له وثيقة كتبها المقتول بقلمه بانه هو الذي امر الغلام بقتله والاجهاز عليه على ان لا يطالبه احد بدمه ولم يكن من قصده بالقتل على سطح قصر الجار الا لان ياخذ منه بثأره ويطالب بدمه فلما رجع العريف اطلع المحكمة على ما قد رآه وشاهده واطلق سراح الفقير بثبوت براءته

(مرفق (٥)   (العلاج والوقاية من الحسد)

وحيث ان الحسد غريزة في نفس كل حيوان وانسان فان هناك امورا تقويها وتزيد في حدتها وتوترها حتى تصبح مرضا في نفس الحاسد يبعثه على هلاك المحسود او هلاك نفسه اي الانتحار.

والامور هي المشاركة في الامومة والاتحاد في الابوه والزمالة في التعليم وان تكون المرأة ضرة لاخرى والاشتراك في وظيفة او فن او صناعة او منصب او قيادة او زعامة. في المستطرف ٢١٣/١ قيل لبعضهم ما بال فلان يبغضك قال لانه

شقيقي في النسب وجاري في البلد وشريكي في الصناعة فذكر جميع دواعي الحسد وفي ص ٢١٤ قال مالك بن دينار شهادة القراء مقبولة في كل شيء الا شهادة بعضهم على بعض فانها لا تقبل،فهم اشد تحاسدا من التيوس او السوس في الوبر ويقال ان الحسد عشرة اجزاء تسعة منها في العلماء وواحد في سائر الناس.

وكلما كان العالم اطول باعاً في العلم واغزر اطلاعاً واجمع فضلاً كان أعثر حساداً وأقل انصاراً. قال بعضهم:

انى حسدت فزاد الله في حسدي ... لا عاش ذو الفضل يوما غير محسود

وقال نصر بن سيار.

اني نشأت وحسادي ذوو عدد ... يا ذا المعارج لا تنقص لهم عددا

ان يحسدوني على ما بي لما بهم ... فمثل ما بي مما يجلب الحسدا

ومما كتبه المؤلف تحت صورته في كتابه (حصايل الفكر) ط ٢

ان يجهلوا فضلي فقد جهل الورى ... قبلي فضائل صفوة المعبود

أو يحسدوني فالذي افنى الملا ... حسد يجيش لسيد بمسود

واذا اراد الله نشر فضيلة ... طويت اتاح لها لسان حسود

وهذا هو السبب في كثرة حساد امير المؤمنين (ع) ففيه وفي اهل بيته نزل قوله تعالى (ام يحسدون الناس على ما اتاهم الله من فضله فقد اتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة واتيناهم ملكا عظيما) النسا/٥٤ وضمنه بعضهم فقال:

اني لأعذر حاسديك على الذي ... اولاك ربك ذو الجلال وفضلا

ان يحسدوك على علاك فانما ... متسافل الدرجات يحسد من علا

وحيث ان الحسد غريزة نفسية تغذيها الدواعي والدوافع المذكورة فتتحول مرضا فتاكا يفتك بصاحبه وبالمجتمع فقد وضع الشارع المقدس موانع لهذه الدواعي

ترغمها على التراجع وتبطل مفعولها فيها وقاية مما يحدث وعلاجا لما حدث.

(الدافع الأول) الغنى والثروة،فالفقراء غالبا تحسد الاغنياء فوضع الله حاجزاً للغني ان لا تصيبه اعين الناس بالحسد فقال (ص) استعينوا على حوائجكم بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود. ووضع حاجزا للفقير ان لا يحسد الاغنياء فيمتلىء غما وكذا فقال (ص) يا معشر الفقراء اقلوا الدخول على الاغنياء فانه احرى ان لاتزدروا نعم الله عليكم وقال (ص) انظروا الى من هو اسفل منكم ولا تنظروا الى من فوقكم فانه اجدر ان تقنعوا بما عندكم ولا تطمعوا بما في ايدي الناس ا هـ ويعني من فوقكم في الغنى والمال اما من كان فوقهم في المجد والفضل والشرف فيجدر بهم ان ينظروا اليه ليقتدوا به فيصلوا لما وصل اليه قال تعالى (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) التوبة /١٠٥ وضمن المؤلف هذا المعنى قوله:

من شاء ان يحتظى عيشا بلا رنق ... ولا يصيب مدى الايام اقلالا
فلينظرن الى من فوقه ادبا ... مشرفاً والى من دونه مالا

(الدافع الثاني)الاستئثار بالنفائس والطيبات فانه مما يدفع المحرومين منها الى حسد الولاة والرؤساء .ذكر في شرح النهج ١/١٢٣ عن عبد الله بن المعتز انه قال: ما ذل قوم حتى ضعفوا وما ضعفوا حتى تفرقوا وما تفرقوا حتى تحاسدوا وما تحاسدوا حتى استاثر بعضهم على بعض وقد وضع الله حاجزاً للناس عن الاستئثار وقاية لهم من التحاسد بفرض الزكاة والخمس بان يخرج من الاموال معونة للفقراء فيمثل بذلك اشتراكية مقبولة لائقه فلا الغني يظلم الفقير والا الفقير يحسد الغني كما يقول امير الشعراء:

يريد الخالق الدرق اشتراكا ... وان يك خص اقواما وحابى
فما حرم الغني حتى يديه ... ولا نسي الشقي ولا المصابا

ولـــولا البخـــل لم يهلـــك انـــاس على الاقـــدار تلقـــاهـــم غضـــابـــا

(الدافع الثالث) مما يدفع الناس على المنافسة والتحاسد اختلاق البعض مآثر وفضائل لنفسه لاحقيقة لها توجب اثارة غرائز الحسد من الناس له دون ان يكون له منها اي فائدة او انتفاع غير البذخ والشموخ والاستعلاء على الناس بدون اي مبرر. وقد يعود ذلك عليه بما لاتحمد عقباه كأن يدعي الثروة والغنى فيقع في حادثة فيقدم فيها اكثر من طاقته بسبب ادعاءه زيادة الغنى وكثرة الاموال. او يدعي المال والغنى وهو في نفس الوقت فقير فيمنع بذلك حقه من الخمس والزكاة والتبرعات. او يدعي الشجاعة والبسالة فيثير غريزة الحسد له في نفس البعض مما يحملهم على ان يعرضوا له في طريقه لنهب سلاحه وسلب ملابسه.

كما نقل ان السيد جعفر الحلي لما قال في شعره:

ولدت فقلـــن الهاشميـــات مـــرحبـــا فما حـــدثتهـــن الظنـــون ببـــاطـــل

رأين على وجهـــي شهـــامـــة ضيغـــم وجرأة مقـــدام وسطـــوة بـــاســـل

فحسده بعض منافسيه وعرض له ذات ليله في طريقه فنهب سلاحه وسلب ملابسه دون ان يقدر على الامتناع منه ولما اذله واخزاه واسره قال له اين قولك: رأين على وجهي شهامة ضيغم...

وفي االاغاني ٢/٣٠٧ بسنده عن مجالد قال كان عبد الملك بن مروان شديد الشغف بالنساء فلما اسن ضعف عن الجماع وازداد غرامه بهن.

فدخل عليه يوما ايمن بن خريم بن فاتك الاسري فقال له كيف انت؟ قال: بخير يا امير المؤمنين قال فكيف قوتك قال كما احب ولله الحمد اني لاكل الجذعة من الضان بالصناع من البر واشرب العس المملؤ وارتحل البعير الصعب واتعبه واركب المهر الادن وافترع العذراء ولا يعقدني عنها الكبر ولا يمنعني منها الحصر ولايرويني منها الغمر ولا ينقضي مني الوطر.

فغاظ عبد الملك قوله وحسده فمنعه العطاء وحجبه وقصده بماكره حتى اثر

ذلك في حاله فقالت له امراته اصدقني ويحك عن حالك هل لك جرم او اخطأت على الامير بشيء؟ قال لا والله فقالت: اي شيء دار بينك وبين الامير اخر ما لقيته فأخبرها، قالت: انا له من ههنا اتيت انا احتال لك في دفع ما جنيت على نفسك حتى ازيل ما جرى عليك فقد اثرت حفيظة الحسد منه عليك فيما وصفته به نفسك وكله كذب وزور.

فتهيأت ولبست ثيابها ودخلت على زوجة عبدالملك عاتكةوقالت اسألك ان تستعدي لي الأمير على زوجي قالت وماله؟ قالت: والله ما ادري انا مع رجل ام حائط وان له سنين ما يعرف فراشي فسليه انْ يطلقني منه فذهبت عاتكة واخبرت زوجها بما قالت زوجة ايمن فوجه اليه فلما حضر سأله بما شكت منه زوجته فاعترف فقال يا عدو الله الم اسألك عام اول عن حالك فوصفت نفسك بكيت وكيت قال يا امير ان الرجل يتجمل عند سلطانه ان لا تشمت به الاعداء اما سمعت قولي:

لقيت من الغانيات العجابا ... لو ادرك مني الغواني الشبابا
ولكن جمع النساء الحسان ... عناء شديد اذا المرأ شابا
ولو كلت بالمد للغانيات ... وضاعفت فوق الثياب الثياب
لما نلت منهن بعض الرضا ... اذا انت لم تسقهن الرضابا
اذا لم تنلهن من ذاك ذاك ... جحدنك عند الامير الكتابا
يصدن بكل عصا ذائد ... ويصبحن كل غداة صعابا
اذا لم يخالطن كل الخلاط ... اصبحن مخرنطمات غضابا [1]

* * *

علام يكحلن حور العيون ... ويحدثن بعد الخضاب الخضابا

(١) مخرنطمات: اخرنطم البعير رفع انفه ونفر

ويعركـــن بـــالمســـك اجيـادهـــن ويدنين عنـد الجمـاع العيـابـا (٢)
ويبرقـــــــن الا لما تعلمـــــــون فلا تحرمـوا الغـانيـات الضرابـا

فضحك عبدالملك وقال اولى لك يا بن خريم فقد لقيت منهن ترحا فما اصنع بينك وبين زوجتك ؟ قال تستاجلها من اجل العنين واداريها لعلي استطيع امساكها قال : قد فعلت وردها اليه وامر له بما فات من عطاءه وعاد الى بره.

فالذي حمل عبد الملك على حسد ايمن هو تبجحه عليه بما اختلقه لنفسه كذبا وبذخا.

(الدافع الرابع) تفضيل الزوج او رب البيت او الابوان بعض الزوجات او العيال او الاولاد على بعض اخرين فان ذلك مما يدفعهم الى التشاحن والتحاسد.

وقد وضع الله حاجزا للازواج عن تفضيل زوجة على اخرى بقوله (فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ان لا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم ذلك ادنى ان لا تعدلوا ...) النساء /٣ يعني انما يباح تعدد الزوجات لمن كان قادرا على القيام بحاجاتهن والعدل والمساواة بينهن ومن لم يستطع فليس له الآ واحدة او ملك يمين، اما المحبة القلبية فليس عليه ان يساوي بينهن فيها فله ان يحب واحدة اكثر من الاخرى على شرط ان لايتظاهر بذلك فيضرم بينهن نار التحاسد والشحناء قال تعالى (ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء) في المحبة والميل القلبي (ولو حرصتم فلا تميلوا) لواحدة (كل الميل) عن الاخرى (فتذروها كالمعلقة) لا انت تصلها ولا تفارقها ليصلها غيرك.

ووضع حاجزا لارباب البيوت عن تفضيل بعض العيال على بعض وقاية لهم عن التحاسد والتشاحن بقوله (ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى..) وقول النبي (ص) كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته وقوله من فضل بعض عياله عن بعض بغير حق جاء مائلا شذقه يوم القيامة وكان الامام علي بن موسى

(٢) جمع عيبة وهي محفظة المراة لحليها وزينتها

الرضا (ع) اذا وضعت مائدة الطعام احضر عليها كل عائلته من غير تمييز حتى الرقيق السود والسائس والبواب ويجلس هو بينهم وقال له احد اضيافه مرة: لو عزلت هؤلاء السودان وحدهم على خوان فقال (ع) لم اعزلهم عنكم أليس الرب واحد والاب واحد والام واحدة والدين واحد ...!!!!

(مرفق (٦) (العدل بين الاولاد)

وكما ان تفضيل بعض الزوجات وافراد العائلة على بعض اخرين يبعثهم على الحسد والبغضاء والتناحر والشحناء فكذلك تفضيل بعض الاولاد على بعض فهو مما يدفعهم الى الضغن والاحقاد والتحاسد لاسيما اذا كانوا لامهات شتى فانه قد يضغن بعض الامهات على بعض. فلم تكن غيرة السيدة سارة زوجة ابراهيم الخليل (ع) على جاريته هاجر وفرضها على ابراهيم ان يبعدها عنها وينفيها عن مكة الا لانه سابق بين ابنيه وهما اسماعيل واسحاق فسبق اسماعيل وكان اكبر سنا من اخيه اسحاق ابن سارة فطفق ابراهيم يقبله ويلثمه معجبا ببطولته فغارت سارة من ذلك وقالت يا ابراهيم تضم ابن الجارية اليك وتغمره باللثم والتقبيل وهذا ابني اسحاق امامك لا تفعل به كأخيه، اما والله لاغيرن خلق هاجر واقطعن بضعة منها ولاتساكنني في بلد قط.. وكانت النهاية ان حمل ابراهيم هاجر وابنها لجوار المسجد الحرام بمكه وتفردت سارة بالبيت الذي كان لهم في فلسطين.

فقد وضع الله حاجزا للاباء عن تفضيل بعض الأولاد على بعض وقاية لهم من التحاسد بالمنع عنه .يقول عز وجل (يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم. انما اموالكم واولادك فتنة والله عنده اجر عظيم) التغابن / ١٥ وفي نهج الفصاحة عن النبي (ص) قال: اتقوا الله واعدلوا بين اولادكم كما تحبون ان يبروكم. وقال (ص) اعدلوا بين اولادكم في النحل كما تحبون ان يعدلوا بينكم في البر والعطف.

وقد صدق القول بالفعل فذكروا ان رجلا اتاه مرة وبيده صحيفة فقال يا رسول الله اني وهبت ابني ضرارا ارضي اللتي في السنح - ناحية من المدينة -

وكتبت له بها هذا السند واحب ان تشهد فيه فقال (ص) الك ولد غير ضرار ؟ قال نعم قال اكل اولادك اعطيت مثل ضرار قال لا : قال اذن فلا تشهدني على جور.

ويقول (ص) كما في نهج الفصاحة ـ ان الله يحب ان تعدلوا بين اولادكم حتى في القبل. وصدق القول بالفعل فكان اذا حضر ابناه الحسن والحسين (ع) وهما في عهده طفلان صغيران يستقبلهما فيضع احدهما على فخذه اليمنى والاخر على اليسرى ويقبل هذا مرة وهذا اخرى كما في المنتخب الطريحي ١ / ٦٤ عن ام سلمه وفي ذات يوم استسقيا ماء فجاءت فضة بالقدح فبدأ بسقي ابنه الحسين (ع) فقالت ابنته الزهراء (ع) ارى ان الحسين احبهما اليك قال لا يا بنيّه وانما استسقى قبله وفي الفوادح ١ / ٨٨ عن الصدوق في الامالي عن الصادق (ع) ـ في حديث طويل ـ ان النبي (ص) اقبل بهما يوما الى منزل امهما فاطمة (ع) وقد ادخرت لهما تميرات فوضعتها بين ايديهما فاكلا وشبعا. فقال لهما النبي قوما الآن فاصطرعا فقاما يصطرعان وذهبت امهما لبعض شأنها فلما رجعت راتهما يصطرعان والنبي يقول ايه يا حسين شد على الحسن فاصرعه لاتهزملك بطشته فقالت واعجباه يا ابه اتشجع هذا على هذا فقال يا بنيّة هذا جبرئيل يقول شد يا حسن على الحسين فخفت ان ينكسر قلبه ان لا يرى من يشجعه.

وهكذا يملي علينا رسول الله (ص) دروساً في التسوية بين الاولاد ان لا نفضل بعضهم عن بعض حتى المجاملات ان لاتزرع في قلوبهم الحقد والعداوة والبغضاء.

ولا بد ان نبي الله يعقوب (ع) كان مساويا بين اولاده في المعاشرة ومظاهر الحب والحنان ولكن لا يبعد ان تظهر منه احيانا امارات الحب المفرط عفوا وبغير قصد فان المحب اذا التقى بحبيبه قد يُكره ويضطر الى ان يكرمه بما يزيد على المعتاد قال الشاعر:

سألته التقبيل في خده   عشرا ومازاد يكون احتساب

فمــــذ تلاقينـــــا وقبلتـــــه غلطـت في العـد وضـاع الحســـاب

وزيادة الحب لبعض الاولاد على بعض لاتحرم على الاباء لانه مُكره عليه ولا قدرة له على تحديده فهو من النوع الذي ذكره الله في قوله (ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم) يعني في المحبة القلبية فكما لا تجب التسوية فيها بين النساء الزوجات فكذلك بين الاولاد فهو داخل فيما رفع عن الامه في قوله (ص): رفع عن امتي تسعة امور الخطأ والنسيان وما لا يعلمون وما لا يستطيعون وما اكرهوا عليه.

وقد روى المؤرخون عن رسول الله (ص) انه كان يبالغ في ملاطفة ابناءه الحسن والحسين (ع) ايام طفولتها فكان يكثر تقبيلها ويمص لعابها ويضع لسانه في افواهها وقد يرتحلانه في حال السجود فيطيل السجود ان لا يعجلها بالمنزول ويحملها احيانا على ذراعيه وصدره فيقول له احد اصحابه دعني احملها عنك او احدهما فيقول جزيت خيرا دعها احملها نعم المطية مطيتها ونعم الراكبان هما، وابوهما خير منهما وقد عجب منه احد القادمين عليه لما رآه يكثر من تلطفه مع ابنه الحسين (ع) فقال اني اراكم تفعلون بصبيانكم بما لا نفعله بصبياننا وان لي ولدا قد كبر وبلغ مستواه وما قبلته قط في صغره فقال (ص) اما علمت ان الولد قطعة من الكبد وان الاب لا تطيب نفسه الا اذا فرحت اولاده ارايت ان نزع الله الرحمة من قلبك فماذا اصنع بك اما علمت ان ما لا يرحم لا يُرحم. كما انه (ص) كان يتعوذ بالله من قلب لا يخشع وعين لا تدمع وبطن لا يشبع.

ولا شك ان بني يعقوب كانوا خاطئين في حسدااخيهم يوسف (ع) على محبة ابيه له فله عدة مبررات عليها سبق ذكرها وهي (١) انه اصغرهم سنا و (٢) اكملهم حسنا و (٣) انه نبي قد زينه الله بالعصمة وكمال الخلق والاخلاق والعلم الالهامي واعده لتبليغ رسالته وليس في اولاده نبي غيره و (٤) انه يتيم الام.

وخاطئين ايضا في ملامة ابيهم على افراطه في حب يوسف وايثاره به فليس هم في مثل سنه حتى يساوي بينهم فيها و (٢) انه قد صنع بكل منهم في صغره مثل ما

صنع بهذا فكيف لا يرجعون بذكرياتهم الى الماضي القريب و (٣) كيف لم يقدروا لانفسهم مثل ما قدر لابيهم فلو كان لاحدهم غلام مثل يوسف في الجمال الحسى والمعنوي هل كان يملك نفسه ان يصنع به كما يصنع ابوهم بيوسف.

والنتيجة اللتي طلعنا بها من هذا العرض هي ان يعقوب كبقية الاباء لا يلام ولا يُخطأعلى شغفه وفرط حبه بولده الصغير وايثاره بعطفه ولطفه فهو امر طبيعي ومشروع ومثاب عليه وان بني يعقوب خاطئون في حسد اخيهم يوسف في استئثاره بحب ابيه. وفي حقدهم على ابيهم لقيامه بأمر طبيعي محبوب عند الله وعند العالمين. ولم يكن يعقوب هو وحده الذي شغف بحب يوسف فقد ذكر المؤرخون انه ما من احد نظر الى يوسف الا اخذ بلبه واشغف بحبه سيما اقاربه فقد ذكروا ان خالته حقوين لم يكفها ان يبقى عندها في النهار وهو طفل في مهده حتى احتالت عليه لان يبيت عندها في الليل فقد شدت منطقة اسحاق في وسطه عند خروجه منها واتهمته انه سرقها لتحكم عليه بالبقاء عندها ليلا ونهارا لتتمتع بالنظر الى محاسنه وتروى غلتها بالانس به كما سنذكر ذلك في ما يأتي عند تفسير قوله تعالى (قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل..).

(مرفق (٧) (ما قيل في سبب الاصابة)

واختلفت الاخبار في السبب الذي من اجله اصيب النبي يعقوب (ع) بفراق ابنه يوسف.

ففي تفسير البرهان ٢/٤٩٤ عن الصدوق القمي باسناده عن ابن حمزة ثابت بن دينار الثمالي قال: صليت مع علي بن الحسين (ع) الفجر بالمدينة يوم الجمعة فلما فرغ من صلاته وتسبيحه نهض الى منزله وانا معه فدعا مولاة له تسمى سكينة فقال لها: لا يعبر على بابي سائل الا اطعمتموه فان اليوم يوم الجمعة. فقلت: ليس كل من يسأل مستحقا قال يا ثابت اخاف ان يكون بعض من يسألنا محقا فلا نطعمه ونرده فينزل بنا اهل البيت ما نزل بيعقوب وآله.

ان يعقوب كان يذبح كل يوم كبشا فيتصدق منه ويأكل هو وعياله منه وان

سائلا مؤمنا صواما محقا غريبا له عند الله منزلة عبر على باب يعقوب عشية جمعة عند وقت افطاره يهتف على بابه: اطعموا السائل المجتاز الغريب الجايع من فضل طعامكم.. يهتف بذلك مرارا وهم يسمعونه قد جهلوا حقه ولم يسمعوا قوله فلما أيْس استرجع واستعبر وبات طاويا واصبح صائماً وبات يعقوب وآله شباعا بطانا واصبحوا وعندهم من فضل طعامهم.

فأوحى الله الى يعقوب صبيحة تلك الليلة يا يعقوب ما رحمت عبدي المجتهد (دميال) عشاء امس لما عبر ببابك اوان افطاره يهتف بكم فلم تطعموه وبات طاويا واصبح صائما وانت وولدك شباع فاستعدوا لبلواي وارضوا بقضائي واصبروا للمصائب.

وذكر الطبرسي في معنى قوله تعالى (انما اشكو بني وحزني الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون) عن النبي (ص) ان يعقوب لما قال ذلك اتاه جبرئيل فقال ان الله يقرؤك السلام ويقول لك ابسر فوعزتي وجلالي لو كان يوسف وبنيامين ميتين لاحييتهما اليك فاضع طعاما للمساكين فان احب عبادي الي المساكين. او تدري لم اذهبت بصرك وقوست ظهرك لانكم ذبحتم شاة واتاكم مسكين صائم فلم تطعموه.

وذكر الثعلبي في العرائس: ان الله اوحى اليه يقول: هل تعلم لم ابتليت بفقد الولد؟ لانك اشتريت مرة جارية صغيرة ثم فرقت بينها وبين ابويها فلم ترحمها لصغر سنها... اهـ.

واي كان من هذه الاسباب فلم يكن متعمدا ولا مقصودا لمنافاته العصمة النبوية. وانما كان صدفة ومن باب: اذا جاء القدر عمي البصر. فقد ذكر ان الامام الصادق (ع) كان يتحدث مرة عن ملك سليمان بن داود (ع) فقال انه كان يستخدم الطير في اكتشاف الماء تحت الارض فقال احد الحاضرين كيف يبصر الماء تحت طبقات الارض ولا يبصر الشبك والفخ المنصوب لاصطياده وليس فوقه الا كف من تراب؟ فقال (ع) الا تعلم انه اذا انزل القدر عمى

البصر . وان الله تعالى قادر على ابتداع الاشياء من غير شيء ولكن اقتضت مشيئة الله ان يقرن المسببات باسبابها .

قال ابو حمزة فقلت لعلي بن الحسين (ع) جعلت فداك فمتى رأى يوسف تلك الرؤيا اللتي رأى فيها احد عشر كوكبا والشمس والقمر له ساجدين ؟ قل : في تلك الليلة اللتي بات فيها يعقوب وآله شباعا وبات فيها دميال طاويا .

(لو صدق السائل هلك المسئول)

وليس من البعيد ان يكون سبب ابتلاء يعقوب بفراق يوسف رد السائل دميال بالطوى فقد تواترت الاخبار بهذا المضمون (لو صدق السائل هلك المسئول) فقد ذكروا في ذلك قصصا شاهدنا بعضها بالعيان .

فمن ذلك ان احد الاغنياء مرة كان جالسا مع زوجته على مائدة الطعام وبين ايديهما دجاجة مقلية واذا بالباب تطرق فقام وفتح الباب واذا هو بسائل فقير فسبه وانتهره واهانه ثم عاد لمائدته . وكان ذلك اخر عهده بالسعادة والهناء فما زالت احواله تتدهور وامواله تتلاشى وتذهب حتى اضطر الى بيع دار سكناه وطلاق زوجته ، وكانت فتية حسناء فتزوجت بآخر كان فقيرا ثم تدرج في الغنى حتى صار في عداد الاثرياء وبينما كان يوما على المائدة مع زوجته وبين ايديهما دجاجة مقلية اذ سمع سائلا على الباب فامر زوجته ان تحمل الطبق كله اليه ففعلت وعادت وهي تبكي ... فسألها فقالت هل سمعت بذكر ذلك التاجر الثري فلان قال نعم قالت كان زوجي فعجز عن النفقه وطلقني وها هو الان يسأل الناس قال فاين ذهبت امواله فقد كانت تكفي عشرة بطون من ذريته قالت لم اعرف سرا لذهابها الا امرا واحدا اني كنت معه على المائدة ومعنا دجاجة كما هي الان اذ سمع سائلا على الباب فوثب اليه وانتهره ورده فذهبت امواله نحو الفناء تدريجا حتى طلقني قال وهل علمت بذلك السائل قالت لا والله قال انا والله ذلك السائل .

(مرفق (٨)) (ابتداء القصة بالرؤيا)

وكان ابتدأ القصة حرمان العابد دميال من الافطار بطعامهم قال الامام علي

بن الحسين في حديثه مع ابن حمزة: وفي تلك الليلة اللتي حرم فيها دميال من طعامهم رأى يوسف تلك الرؤيا... وكانت ليلة الجمعة وليلة القدر كما حكاها الله عز وجل (اذ قال يوسف لابيه ياابتِ اني رأيت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين).

ذكر المؤرخون انه قال: رأيت ابواب السماء، قد فتحت وقد اشرق نحيها النور... فانارت النجوم واشرقت الجبال وزخرت البحار وسبحت الحيتان فهبطت طائفة من الملائكة فالبسوني حلة من الجنة من حرير وسندس فيها من كل زوج بهيج من الدر والياقوت والمجوهرات تعدل قيمتها الدنيا وما فيها ووضعوا على راسي تاجا من اللؤلؤ يضيء كضوء الشمس والقمر ثم نصبوا لي منبرا له عشرون مرقاة من ذهب ما بين المرقاة والاخرى ثلاثة اذرع فرقيته حتى استويت في اعلاه فالقوا بين يدي مفاتيح لماعة وقالوا انها مفاتيح كنوز الارض خذ منها ما تشاء واذا انا بالشمس والقمر واحد عشر كوكبا قد خرت من السماء فوقعت ساجدة امامي.

وذكر في العرائس ان يهوديا اسمه (نستار) سأل النبي (ص) عن هذه الكواكب الاحد عشر اللتي رآها يوسف (ع) ساجدة له ما اسماؤها؟ فقال له اتسلم اذا اخبرتك بها؟ قال نعم قال هي: جريان والطارق والذيال وذو الكتفين والفرع والوثاب وعمودان وقابس والمصبح والفليق والصروح قال صدقت وأسلم.

قال الطبرسي: ومعنى السجود هنا: الخضوع له انها تهوي من مواضعها وتقع بين يديه تلقاء رجليه.

وكان تاويلها بعد اربعين سنة خضوع اخوته الاحد عشر له وهم شمعون وروبيل ويهودا ولاوى وريالون ويشجر ودان ونعتالي وحادوآشر وبنيامين وهم الكواكب وقدوم ابويه يعقوب وخالته حقوين عليه في مصر وهما الشمس والقمر وكان السجود انهم وقعوا كلهم في قبضته وتحت ضيافته وسيادته.

فلما سمع الرؤيا يعقوب (قال يابني) اني ارى شيئا متشتتا ويجمعه الله لك

ولكن (لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا) حسدا وضغنا (ان الشيطان) وهي غريزة الحسد (للانسان عدو مبين) تسيطر على لبه وتتغلب على مشاعره فتجره الى مقارفة الجرائم واكتساب الآثام

وكانت امرأة ابيه حقوين تسمع حديثه مع ابيه فالتفت لها يعقوب وقال يا حقوين اكتمي على يوسف ما سمعت فانه طفل لا يفطن لما يقول ولعله لا يحسن التعبير عن ما رآه في المنام وجله اضغاث احلام

ولكن المرأة ايا كانت لا تؤمن على سر ولا اهلية لها لحفظ الاسرار وجاء في كلام الحكماء : ثلاثة لا تؤمن على ثلاثة لا تؤمن امراة على سر ولا شاب على امراة ولا قارىء على كتاب وفي هذا يقول المؤلف :

لا تأمنن على كتاب قارئا — يوما ولا رجلا على حسناء
والطفل لا تأمن عليه ضرة — والسر حاذر بثه لنساء

فسرعان ما قدم الفتيان من المرعى في المساء بمواشيهم واذا هي تستقبلهم بما سمعت من يوسف وتقصه عليهم بابلغ مما قصه الصديق فتوترت اعصابهم حنقا عليه وقالوا ان ابن راحيل يريد ان يتملك علينا ويحتكم فينا وتاولوها بانهم الكواكب الاحد عشر وان الشمس والقمر ابواه وانه يعني بسجودهم له استعبادهم واستخدامهم واضمروا له العداوة و اتفقوا على اغتياله.

واظهر الله اباهم يعقوب على ما اضمروه واتفقوا عليه فرأى في المنام تلك الليلة كان حبيبه يوسف قائم على راس جبل وقد شدت عليه عشرة ذئاب كلها تريد الفتك به وهناك ذئب آخر يذودهم عنه ويبعدهم ان يصلوا اليه ثم رأى كأن الارض انشقت ودخل يوسف في جوفها ولم يخرج منها الا بعد يوم وليلة ثم شد بحبل وطار في الهواء.

فجزع يعقوب من تلك الرؤيا وتأولها بانها كارثة تحل بيوسف من اخوته تفضي به الى الهلاك وكان هذا ابتداء الحزن والجزع به

(مرفق (٩)) (الخروج بيوسف الى الصحراء)

واشتد خوف يعقوب على ابنه يوسف وزاد ولعه به وحرصه عليه حتى طفق لا يفارقه في الليل والنهار ولا ياذن له بالابتعاد عنه ولا الخروج من الدار فلا يأكل ولا يشرب ولا ينام الا معه وفي جنبه واخذ اخوته يكتمون ما في نفوسهم من العداوة و الشحناء ويتظاهرون لاخيهم يوسف بنيامين بالحب والوئام والشوق والانسجام فما دخل احد منهم عليه الا بدا بالسلام على يعقوب وثني به عليه ولزمه وقبله

ومضت فترة من الوقت على مثل هذه الحال حتى نسي يعقوب ما كان يتوقعه منهم على يوسف ويتقن انهم على الاخلاص له والوفاء وهم يدبرون الحيلة في اختطافه من ابيه لانهم علموا بانهم لا يقدرون على الاساءة اليه وهو في كنف ابيه. واستقر رايهم على ان يخرجوه معهم الى المراعي عندما يذهبون اليها صباحا بالابل. حتى اذا خلوا به هناك صنعوا به ما ارادوه. فبدأوا يقدمون له الالعاب من الدمى والتماثيل ليستميلوا قلبه ثم جعلوا يلعبون بين يديه ويظهرون له من انواع اللعب والمراوغة والملاطفة والهزليات والمزاح ما يضحكه ويعجبه ويضحك اباه ويؤنسه حتى شغف بحبهم وتعلق قلبه بهم وطلب من ابيه ان لا يسمح لهم بالخروج عنه فقالوا انك لو رأيت ما يكون لنا في المراعي من الالعاب مع الابل والاغنام لما اعتبرت هذا شيئا فاخذ يوسف يطلب من ابيه ويلح عليه في ان يأذن له في الذهاب معهم الى الصحراء ليشاهد ما هناك من الملاعب المسلية والهزليات المفرحة فقال له يا بني انت حبيب قلبي وبهجة صدري ولا طاقة لي على بعدك عني ولكني لا اطيق مساءتك وردك عن حاجتك فدع اخوتك يطلبون ذلك مني ليكون اعز الى قدرك وارفع لشأنك.

وكانما غسل قلب يعقوب من ذكر تلك المقدمات اللتي اشعرته بما يحدث ويكون من بنيه مع اخيهم الصغير فاستسلم لمقادير السماء واتى ابناءه فقاموا امامه

صفا مطأطاين رؤوسهم متكتفين بايديهم وهي عادتهم عندما يطلبون شيئا من ابيهم، فقال ما تريدون ايها الابناء الكرام (قالوا يا ابانا مالك لا تأمنا على يوسف وانا له لناصحون ارسله معنا غدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون. قال انه ليحزنني ان تذهبوا به) لانه لا يحتمل قطع المسافات الطويلة مشيا على الاقدام. قالوا انا نحمله على اكتافنا واعناقنا قال وانه لا يحتمل حر الشمس في الصحراء قالوا انا نظله باجفاننا ونكنفه باهدابنا قال (واخاف ان يأكله الذئب وانتم عنه غافلون) لبعده عنكم او بعدكم عنه ولم يكن قال ذلك ليلقنهم الحجة او يعلمهم ما يكذبون به اذا عادوا اليه بدونه وانما قال ذلك لتلك الرؤيا اللتي لا تزال تساور فكره وتشغل باله فهو يريد ان لا يهملوه في الصحراء او يقصروا في حفظه ورعايته ولكنهم اتخذوه حجة لهم اذا رجعوا دونه واعتبره رسول الله (ص) مثلا للانتباه للانسان عندما يتكلم ان لا ينظر الى ما تحت رجليه بل عليه ان يرمي ببصره لابعاد نائية وما ياتي به المستقبل فروى الثعلبي عن نافع عن ابن عمر عنه (ص) قال لا تلقنوا اولادكم الكذب فان بني يعقوب كانوا لا يعلمون ان الذئاب تأكل لحوم الناس حتى قال لهم ابوهم يعقوب (اخاف ان يأكله الذئب) ورواه الطبرسي في مجمع البيان ٢١٧/٣

(قالوا لان اكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون) اكثر مما تخسره انت فأنت تخسر ابنا ولك دونه احد عشر خلفا عنه ولكنا اذا فقدناه فقدنا الانس والارتياح والاخ الكريم الذي نؤمل فيه ان يخلفك في النبوة ويمثلك في الايمان والتقوى والانقطاع الى الله وبه نسقي الغيث وبه نرزق النعم وتزيد في اموالنا البركات ولان فقدناه فقدنا كل سعادة وهناء وبركة ورخاء. وكيف تخشى ان يصل اليه ذئب او اذى وفينا شمعون الذي اذا صرخ اسقطت الحبالى اجنتها من الفزع وفينا روبيل الذي يصارع الاسود بقوته. ولاوي الذي ترتج الارض من وثبته...

وتعهدوا له بحفظ يوسف وسلامته والعناية به واخذ عليهم المواثيق المؤكدة والايمان المغلظة حتى اطمأن لهم واستجاب لطلبهم.

واختلفوا في سن يوسف (ع) عندما خرج به اخوته الى المرعى فقيل ان عمره يومئذ كان سبع عشرة سنة وقيل اثنتي عشرة سنة وقيل كانت سنّه تسع سنين و نسب ذلك لمجاهد وورد ذلك في حديث ابن حمزة الثمالي عن علي بن الحسين (ع)

وقيل كان عمره سبع سنين وهو الذي اخترناه سابقا في ترجمته و اختاره جماعة من المفسرين والمؤرخين واستدلوا عليه بامور

(١ً) قوله تعالى (ارسله معنا غدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون) فان الارتياح للهو واللعب لا تميل له غالبا الا نفوس الاطفال في مرحلة الطفولة وهي اللتي حدها الدين الاسلامي بسبع سنين لما رواه في شرح رسالة الحقوق ١/٥٨٦ عن النبي (ص) قال دع ولدك يلعب سبع سنين. او لاعب ابنك سبع سنين وادبه سبعا و صاحبه سبعا ومعنى ذلك ان يطلق لولده زمام الحرية لان يلهو ويلعب الى السنة السابعة من عمره فلاحق له في منعه عن ذلك ولا ان يتدخل في شيء من اموره الا على حسب التوجيه والتأديب السطحي عما فيه خطر وضرر وبعد هذه المرحلة يقوم بتأديبه وتعاليمه الدينية والدنيوية.

(٢ً) ان اللهو واللعب من الامور المرجوحة في الاسلام والاديان السماوية قال تعالى (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين. لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين) الانبياء /١٧ (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين) الدخان /٣٨ ففي نهج الفصاحة ص ٥٢ عن النبي (ص) كل شيء يلهو به الرجل باطل الا رمي الرجل بقوسه اوتأديبه فرسه او ملاعبته امراته فانه من الحق. والامور المرجوحة لا تليق بالانبياء الا في مرحلة الطفولة وحدها سبع سنين فقد ذكروا ان يحي بن زكريا لما اكمل سبع سنين كانت تأتيه الصبيان كما كانت تاتيه من قبل تقول له هلم نلهو ونلعب فيقول لهم ما للعب خلقنا وانما خلقنا للجد في امر عظيم فمدحه الله بقوله (.. واتيناه الحكم صبيا) وحيث ان هذه المرحلة مرحلة اللهو واللعب فقد جعلت للامهات فيها حق حضانة الاولاد فليس للاب ان ينتزع ولده من امه لو طلقها الا بعد اكماله سبع سنين.

(٣) قوله (اخاف ان يأكله الذئب وانتم عنه غافلون) فان الذين يخشى عليهم من افتراس الذئاب هم الاطفال الى سبع سنين اما بعد هذه المرحلة من العمر فمن الممكن ان يطرد الذئب عن نفسه بعصا او عود او يصيح بمن ينقذه من شره

ولما كان الصباح البس يعقوب ابنه يوسف حلته الجديدة وشد على وسطه منطقته واتخذ له زادا وطعاما في وعاء وماء في ركوة واكد عليهم وصيته ان يحفظوه واذا جاع ان يطعموه واذا ظمىء ان يسقوه واذا احتمى بهم ان ينصروه. ثم ضمه الى صدره وقبله وقلبه يحدثه بالبلاء وعيناه تهملان بالدموع وهم يقولون يانبي الله ما هذا البكاء فما هي الا ساعات قليلة ويعود اليك سالما ان شاءالله قال اني لا اقدر على فراقه وهذا اخوه بنيامين يبكي لخروجه معكم

(مرفق (١٠) (ما كان لاخوة يوسف معه في المرعى)

خرج الصديق يوسف (ع) مع اخوته والماشية نحو المراعي وهم يضحكون اليه و يؤنسونه بكلامهم وضحكهم فلما ابعدوا عن المنطقة تنكروا له واظهروا العداوة والبغضاء وقابلوه بالسب والشتم ثم اخذوا يصفعونه ويلطمونه وهو يستغيث بهم واحدا بعد واحد فلا يغيثه احد منهم ولا يرحمه وانتهبوا من عنده كل ما كان زوده به ابوه

ولما بلغوا به الصحراء ائتمروا بقتله (اذ قالوا ليوسف واخوه) بنيامين احب الى ابينا منا ونحن عصبة انا اذا لفي ضلال مبين) وذل ومهانة واحتقار فقال بعضهم (اقتلوا يوسف) بان يشحط شحط الشاة ويرمي جثمانه للوحوش وقال آخر بل نحفر له في الارض حفرة عميقة وندفنه وهو حي فيها ان لا ينجسنا بدمه. وقال بعضهم ابعدوا به في الصحراء (او اطرحوه ارضا) مسبعة لتفترسه السباع

واقنعوا عنه اباكم يعقوب واظهروا له الحزن والاسف عليه (يخل لكم وجه ابيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين) بالتوبة والاستغفار والاتابة الى الله

(قال قائل منهم) وهو يهودا او اخوه وابن خالته روبيل (لا تقتلوا يوسف) انكم اعطيتم اباكم عهدا ان لا تقتلوه واختلف المفسرون في الذي دافع الفتية عن قتل يوسف قال الطبرسي قال قتادة وابن اسحاق هو (روبيل) لانه ابن خالة يوسف واخوه من الاب. وقال الاصم والزجاج هو (يهودا) الذي ذهب بالقميص الاول والثاني لابيهم يعقوب وفي البحار ١٧٩/٥ ان الله جعل النبوة في ولد (لاوي) لانه الذي دافع عن قتل يوسف لما اراد اخوته قتله. وهو الذي حبس نفسه في مصر عندما احتجز يوسف شقيقه بنيامين هناك بحجة السرقة وقال (لن ابرح الارض حتى ياذن لي ابي او يحكم الله لي وهو احكم الحاكمين)

وساروا بيوسف حتى بلغوا بين طبرية والقدس فوجدوا بئرا على قارعة الطريق في واد سحيق على بعد ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب وهي بئر موحشة واسعة القعر ضيقة الفم بعيله الماء لا يسع من وقع فيها الخروج منها لعمقها وضيق فمها فقال لهم يهودا: اوثقوا يوسف (وألقوه في غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة) من القوافل والركبان اذا مروا بالبئر واستقوا ماء منها (ان كنتم) لهلاكه (فاعلين) وفي مجمع البيان عن كتاب النبوة بسنده الى الصادق (ع) ان يعقوب سال ابنه يوسف حين قدم عليه والتقى به في مصر عما صنع به اخوته لما اخرجوه معهم الى المرعى فاعتذر اليه عن البيان بانه لا يقدر على سماع ذلك فاقسم عليه فاخذ يوسف يقص على ابيه ما صنع به اخوته مما ذكرناه الى ان قال

... اقعدوني على حافة البئر وقالوا انزع قميصك قلت اسالكم بوجه ابيكم نبي الله يعقوب ان لا تكشفوا عورتي ولا تجردوني من ثيابي دعوها علي تكن لي سترا في حياتي وكفنا بعد موتي فرفع فلان علي السكين وقال انزع والا نزعنا روحك من جسدك...

وفي البحار ١٧٩/٥ عن تفسير على بن ابراهيم والطبرسي قالا كان يوسف يحدث اباه عما جرى عليه فقال.

... فنزعت القميص والقوني في الجب عريانا فصاح يعقوب واغوثاه واحر

قلباه ووقع مغشيا عليه.. اهـ ويعني بقوله عريانا من القميص اما السراويل فان المشهور بين المؤرخين انهم تركوها عليه ويؤيده ما ذكرناه في (عقيدة النبوة) ان الانبياء والاوصياء قد وقاهم الله من الصفات الناقصة حتى في ما يقع عليهم من البلاء وان النبي لا ينظر الى عورته احد الا طمس بصره.

وذكر المؤرخون انهم اوثقوا يديه ورجليه فسألهم ان يطلقوا يديه ليتلقى الارض بها ويسبح في الماء ويدفع هوام البئر بها عن نفسه فقالوا ادع الشمس والقمر والكواكب اللتي سجدت اليك لترفع عنك البلاء الذي وقعت فيه منا

وادلوه في البئر بحبل طويل فلما بلغ منتصف العمق قطعو الحبل اللتي ادلي بها ليتردى في البئر فلا ترجى له الحياة. فأوصى الله الى الملائكة الحفظة ان يتلقوه في سقوطه ان لا يقع على ما يضره من الصخور والاحجار او يرسب في الماء فيغرق او يتلوث جسده بما فيه من علق ومكروبات وجراثيم. فوقع في الماء على عجزه وجلس على صخرة

لان لكل انسان ملائكة موكلة بحفظه وكلاءته من الاخطار اذا كان له فسحة في اجله قال تعالى (له معقبات) من خلفه وملائكة تحرسه (من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله) المنزل الى غيره في اعدام او اضرار

لذلك مهدت ليوسف الصديق (ع) في هبوطه الى البئران يهبط اليها بكل استقرار واطمئنان فوقع في الماء على عجزه وكان الماء غزيرا فرسب فيه ولم يضره شيء ثم طفا على وجه الماء وجلس على صخرة ملساء مرتفعة عن الماء. واخفى صوته عن اخوته ان لا يعلموا سلامته فيحصبوه بالاحجار فكلما صاحوا به لم يجبهم واستبشروا بذلك انهم استراحوا منه وقتلوه

وقام يوسف في تلك البئر كلما جاع شرب من مائها فكفاه عن الطعام وهو اثناء ذلك يسبح الله ويقدسه ويدعوه لان يحفظه ويفرج عنه. و اخذ يمارس فك الوثاق من يديه مرة يقرضه باسنانه ومرة يحكه بالصخر حتى قطعه. وبعث الله له روح القدس ـ وقيل هو امين الوحي جبرئيل ـ فصاح بما في تلك البئر من حيات

وعقارب واهلكها . ثم تمثل ليوسف انسانا يؤنسه ويسري الروع عنه . فقد ذكروا ان الانبياء لا يزالون مؤيدين بروح القدس من لدن نعومة اظفارهم كما قال امير المؤمنين (ع) في الحديث عن رسول الله (ص) : ولقد قرن الله به من لدن ان كان فطيما اعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ومحاسن اخلاق العالم واليه الاشارة بقوله تعالى (وآتينا عيسى بن مريم البينات وايدناه بروح القدس) البقرة /٨٧ و ٢٥٣ كما يؤيد به اهل الايمان والتقوى من عباده قال تعالى (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حساد الله ورسوله ولو كانوا اباءهم او اخوانهم او عشيرتهم... اولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه

(نزول القميص السماوي على يوسف)

يظهر من خلال احاديث اهل البيت (ع) واقوال المؤرخين ان ليوسف آية بينة على ثبوت نبوته كالعصا لموسى والخاتم لسليمان وهو القميص السماوي الذي نزل به عليه جبرئيل وروح القدس من الجنة منسوجا من حريرها وقد جعل اية للنبوة لانه يحمل صفات لا توجد في اي قميص غيره فهو ضد الاحراق بالنار وافتراس السباع ومسس الهوام والحشرات وفيه شفاء من كل سقم وامن من كل خوف وانس من كل وحشة.

ولكن المؤرخين لم يتعرضوا لذكر هذا القميص الا عند قدومه من مصر الى يعقوب بكنعان عندما قال يوسف لاخوته (اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيراً وآتوني باهلكم اجمعين...).

كما ان في بعض الاحاديث ما يشير الى ان هذا القميص هو القميص الذي انزله جبرئيل على ابراهيم الخليل عندما امروا بالقاءه في النار فكانت به عليه بردا وسلاما

وهو ما رواه علي بن ابراهيم القمي في تفسيره ٢/٣٥٤ عن المفضل بن عمر

الجعفي قال: قال لي ابو عبد الله (ع): اخبرني ما كان قميص يوسف؟ قلت لا ادري قال ان ابراهيم لما اوقدت له النار اتاه جبرئيل بثوب من ثياب الجنة فالبسه اياه فلم يصبه معه حر ولا برد. فلما حضر ابراهيم الموت جعله في تميمة وعلقه على اسحاق وعلقه اسحاق على يعقوب فلما ولد يعقوب يوسف علقه عليه فكان في عنقه حتى كان من امره ما كان. فلما اخرج يوسف القميص من التميمة وجد يعقوب ريحه وهو قوله: (اني لأجد ريح يوسف لولا ان تفندون) وهو ذلك القميص الذي انزل من الجنة قلت له جعلت فداك والى من صار ذلك القميص؟ فقال الى اهله...ثم قال: كل نبي ورث علما اوغيره فقد انتهى الى محمد عليه وآله السلام وكان يعقوب بفلسطين وفصلت العير بمصر فوجد يعقوب ريحه وهو من ذلك القميص الذي اخرج من الجنة ونحن ورثته.

وقال الثعلبي في العرائس ص ٨٧ قال الضحاك كان ذلك القميص من نسج الجنة وكان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلي ولا على سقيم الا صح وعوفي وهو الذي كان لابراهيم لما القى في النار نزل به اليه جبرئيل من الجنة.

وفي ذكر القاء ابراهيم في النار قال الثعلبي في العرائس ص ٤٩ قال ابن اسحاق وغيره: وبعث اليه ملك الظل في صورة ابراهيم وهو يؤنسه فاتاه جبرئيل بقميص من حرير والبسه اياه فلم تضره النار

فاذا جمعنا هذه الاقوال مع بعضها البعض ظهر لنا جليا ان ليوسف قميصا سماويا جعله الله آية لنبوته وانه القى اليه من يوم القاءه في البئر عاريا مجردا لان هذا الوقت هو الوقت الذي كان فيه يوسف في اشد الحاجة الى لباس يستره وحرز يمنعه عما في البئر من هوام وحشرات تودي بحياة من اصابت ومن ذلك الوقت اصبح القميص في حيازة يوسف الى آخر ايامه

اما القول بانه القميص الذي انزل على ابراهيم (ع) فكانت النار عليه به بردا وسلاما فيعسر الجزم به لعدة موانع (الاول) انه اذا كان بعد ابراهيم في حيازة ابنه اسحاق ثم يعقوب فلا يعقل ان يلبسه يوسف عندما اخرج الى الصحراء وهو

اذ ذاك طفل لا يعتدل عليه في طوله ولا اهلية له في حفظه (الثاني) كيف يحل ليعقوب ان يفرط في مواريث الانبياء فيخرجها معرضة للتلف والذهاب في غير مواضعها (الثالث) ان اخوة يوسف عندما انزلوه الى البئر سلبوه ماعنده وجردوه من كل ما كان عليه فما تركوا عليه تميمة ولا قلادة وكيف يمكن ان يتحول قميص يسع جسم انسان كبير الى تميمة تجعل في العنق.

اما القميص الذي بعث به يوسف الى ابيه فاعاده بصيرا فسيأتي انه قميص الزواج الذي خلعه عليه الملك الريان وقد باعه يعقوب بعد ذلك وتصدق بثمنه على الفقراء.

(عرض افلام تاريخية على يوسف (ع))

ورايت في بعض النقليات المخطوطة ان يوسف (ع) كلما داخله الحزن والاسى فانخشع قلبه وبكى، اتاه روح القدس جبرئيل واخذ يسليه ويسري الحزن عنه ويعرض عليه صورا مما سيحدث في المستقبل على سيدنا الامام الحسين في واقعه ألطف فمرة يمثل له الحسين وقد احاطت الاعداء بمضاربه وخيامه وصورة تمثل اشتباك انصاره مع الاعداء في المعركة والقتال الذي دار بينهم وصورة تمثل له الانصار صرعى على الرمضاء بما فيهم ابناء رسول الله والعترة الطاهرة وصورة تمثل له الحسين يقاتل الاعداء وحده حتى وقع صريعا يتشحط بدمه وصورة تمثل له الحسين وهو ملقى على الارض جثة بلا راس ترضه الخيل بحوافرها وصورة تمثل له خيام الحسين وقد اضرمت فيها النيران والاعداء تسلب نساءه وأُفاله ما عليهن من مقانع وملابس وحلية وهو في عرضه هذه الصور كلما عرض عليه صورة قال له انظر يا يوسف هذا كذا وهذا كذا فينسى حزنه وكربه وما هو فيه ويبكي على مصاب الحسين واليها يشير الشيخ صالح الكواز في رثاءه الحسين بقوله

كفى بيومك حزنا بكيت ... له النبيون قدما قبل ان يقعا
بكاك آدم حزنا يوم توبته ... وكنت نورا بساق العرش قد سطعا
ويوسف اذ هوى في الجب حق له ... يبكي فعزاه عنك الرزء اذ سمعا

وهذا مما يدل على ان عرض الافلام السينمائية قد خوله الله الملائكة منذ العصور السابقة فاذا اراد الله ان يطلع نبيه او رسوله على حادثة وقعت قبل زمانه او تقع بعد عصره امر روح القدس ان يعرضها عليه في صور تنطبع على الهواء او على حايط امامه فيراها ممثلة نصب عينيه كما نراها اليوم على شاشة السينما والتلفزيون

(عرض الافلام السينمائية على رسول الله)

فمما ورد في الاحاديث من الافلام السينمائية اللتي عرضت على سيدنا رسول الله (ص) ما رواه الطبرسي في تفسيره مجمع البيان في قوله تعالى (يا ايها الذين امنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسوؤكم .) المائدة /١٠٣ قال: اختلف في نزولها فقيل سال الناس رسول الله (ص) حتى احفوه بالمسألة فقام مغضبا خطيبا فقال: سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء الا بينته لكم فقام رجل من بني سهم يقال له عبد الله بن حذافة وكان يطعن في نسبه فقال يا رسول الله من ابي قال ابوك حذافة بن قيس وقام آخر فقال يا رسول الله اين ابي فقال: في النار ،فقام عمر بن الخطاب وقبل رجل النبي وقال يا رسول الله انا حديثو عهد بجاهلية وشرك فاعف عنا عفا الله عنك فسكن غضبه وقال اما والذي نفسي بيده لقد صورت لي الجنة والنار انفا في عرض هذا الحائط فلم ار كاليوم في الخير والشر ... عن الزهري وقتاده عن انس

وذكر في تفسير قوله تعالى (سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله ..) قد وردت في قصة المعراج روايات

كثيرة وهي تنقسم الى اربعة اوجه منها ما نقطع بصحته و (٢) ما تجوزه العقول ولاتاباه الاصول و (٣) ما يكون ظاهره مخالفا لبعض الاصول الا انه يمكن تاويلها على وجه يوافق المعقول فالاولى ان ناوله على ما يوافق الحق والدليل.... وبعد كلام قال واما الثالث وهو الذي يجب تاويله على ما يوافق الحق فنحو ما روى انه راى قوما في الجنة يتنعمون فيها وقوما في النار يعذبون فيها فيحمل على انه رأى صورهم او اسماءهم

وفي السيرة المحمدية الفائدة الـ ٣٨) ورد ذكر مقابلة النبي في حديث المعراج للانبياء السابقين والحال انهم ماتوا واجسادهم في قبورهم فكيف رآهم؟ قال ويجاب عن ذلك بأن الله عرض عليه صورهم كما قال (ص) رايت الجنة والنار في عرض هذا الحائط

وقد تواتر في حديث اسراء النبي (ص) الى بيت المقدس انه لما رجع الى مكة وحدث الناس عن بيت المقدس اجتمع المشركون لتكذيبه فقالوا صفه لنا قال (ص) فرفع لي بيت المقدس ومثله الله امامي فما سألوني عن شيء فيه الا اخبرتهم.

ومما ذكرناه من هذه الاحاديث نطلع بهذه النتيجة وهي عدم استبعاد ما روي في قصة يوسف(ع)انه لما القي في الجب عرض عليه جبرئيل صورا من واقعة الطف يسليه بها عما وقع فيه فانها موجودة في علم الله قبل ان تكون كما ان صور اهل الجنة في الجنة وصور اهل النار في النار حاضرة في معلومات الله عز وجل مثلها لبنيه ليلة المعراج ومثلها اليه عندما سأله اصحابه عن اباءهم واسلافهم فنزل قول الله (لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم...)

(مرفق (١١)) (رجوع اخوة يوسف بدونه الى ابيه)

قال المؤرخون: وبعد ان القى الفتيان اخاهم يوسف في البئر واستقبله جبرئيل ووضعه على صخرة منها في ناحية صاحوا به ليعلموا انه حي او مات فلم يجبهم فانهالوا عليه يحصبونه بالحصيات والاحجار للقضاء على حياته لو كان حيا. ولما لم يسمعوا له صوتا ولا حركة تيقنوا انه فارق الحياة ففرحوا بذلك.

وذهبو بمواشيهم للمرعى كانهم لم يصنعوا شيئا. ولما كان وقت الظهيرة ذبحوا لطعامهم شاة او جديا ولطخوا قميص يوسف بدمها ليوهموا اباهم بان ذئبا افترسه ولم يخطر لهم ان يمزقوه او يخرقوه ليكون شاهد صدق على مدعاهم.

وجاءوا بحطب واضرموا نارا واخذوا يقطعون لحم الذبيحة ويشوون ويأكلون حتى اتوا عليها كلها. واخروا رجوعهم للبلاد الى الليل زائدا على المعتاد. فقد كانوا يعودون كل يوم الى ابيهم بعد العصر بساعة. وفي هذا اليوم اخروه لما بعد المغرب بساعة وذلك لامرين.

(الاول) ان يخفي الظلام دلائل الكذب اللتي ربما تظهر على وجوههم في ضوء النهار. فان الكذب لا بد ان يظهر على وجه صاحبه مهما حاول صاحبه كتمانه. وقد جاء في الحديث عن امير المؤمنين (ع) انه قال: ما كتم احد حاجة في نفسه الا ظهرت على صفحات وجهه ونفثات لسانه وقال زهير بن ابي سلمى.

ومهما تكن عند امرىء من خليقة وان خالها تخفى على الناس تعلم

و (الثاني) ليكونوا اجرأ في الكلام على الاعتذار واقدر على التزوير فقد قالوا: لا تطلب الحاجة في الليل فان الحياء في العينين ولا تعتذر من ذنب في النهار فيتعثر لسانك عن النطق فلا يتم لك الامر.

وكان يعقوب ينتظر قدومهم قائما على قارعة الطريق ولما تأخروا عن وقتهم المعتاد ساورت قلبه الظنون والاوهام وكلما طال بطؤهم عليه تناولته الهموم والاحزان قال تعالى (وجاؤا اباهم عشاء يبكون) اي لما قربوا منه ضجوا بالبكاء والنحيب واسترسلوا في العويل والشهيق قال ما بالكم تبكون اين حبيبي يوسف؟ (قالوا يا ابانا) عظم الله اجرك في حبيبك (انا ذهبنا نستبق) اي نتبارى في السباق (وتركنا يوسف عند متاعنا) وادعا في الظلال (فاكله الذئب) الذي تتخوف منه عليه (وما انت بمؤمن لنا) او مصدق لقولنا (ولو كنا صادقين) في الواقع لشدة حبك له وحذرك عليه... قال: فاين جثمانه؟ قالوا ان الذئب مزقه

وخشينا لو حملناه اليك ونظرته ان تفارق الحياة. فضرب بكلتي يديه على صدره وسقط الى الارض مغشيا عليه لا حراك به فنضحوا الماء على وجهه فافاق وهو يصيح واولده وامهجة قلباه وبكى ساعة وقال اما اتيتموني منه بما اتسلى به؟ قالوا بلى هذا قميصه نزعناه منه حين واريناه وكفناه في ثياب غيره والقوا القميص بين يديه ملطخا بالدماء كما قال تعالى (وجاؤا على قميصه بدم كذب) فلما استعرضه يعقوب (قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون).

(اتضاح كذبهم من ثلاثة وجوه)

فان الكذاب مفضوح مهما حاول تبرير كذبه واحاطه بالدجل والتمويه فلا بد ان تكون هناك ثغرة يغفل عنها فتكون كاشفة لسره ناسفة لعذره فقد اكتشف يعقوب كذب اولاده من عدة جهات.

(الاولى) ان البكاء المصطنع لا يشبه الحقيقي مهما تكلفه صاحبه فالبكاء الحقيقي ينبعث من القلب فالمفجوع والمنكوب مثلا اذا صدق الحزن التهب قلبه بحرارة تضرم نارا فيفور ويتبخر ويصعد البخار فيتحول في مجاري الصدر والرأس ماء حارا فترسله العين دموعا ويكون ذلك منفسا للقلب والا لامكن ان ينصدع فتتوقف الدورة الدموية ويموت الانسان.

اما البكاء المصطنع فمجرد صياح ونياح ليس معه اي انفعال ولا دموع ولا تغيير في الوجه والعين بل هو نوع من الصناعة اللتي تمتهن بها النساء النوائح فيستأجرن عليه كما تستأجر الماشطة لتسريح شعر العروس. والقابلة لترفيق المرأة عند الولادة، والخافضة لختان الجواري.

ومن هنا لم تعتبر العلماء البكاء دليلا على صدق دعوى المظلومية من صاحبه. روى الشعبي ان امرأة جاءت الى شريح القاضي تتظلم اليه من زوجها انه طردها من بيته بغير ذنب وضربها والمها واخذت تبكي فقال له رجل الا تنظر في دعوى هذه المرأة المظلومة فقال شريح: وما يدريك انها مظلومة فلعلها ظالمة فان اولاد يعقوب

جاؤا اباهم عشاء يبكون وهم الذين فعلوا باخيهم يوسف ما فعلوه.

(الثانية) سلامة القميص من الخرق والتمزيق فهو غير ممكن مع دعوى افتراس الذئب لمن كان عليه فان الوحش اذا شد على صبي يفترسه قلبه على الارض ومكن اظفاره في ثيابه وجلده فمزقها لذلك لما راه سليما يعقوب تيقن كذبهم وظلمهم قال الشعبي فكان لقميص يوسف من حيث النوع لا الفرد ثلاث آيات (١) شهادته بكذب الاخوه لسلامته من الانشقاق و (٢) شهادته ببراءة يوسف بانشقاقه من الدبر و (٣) اعادته بصر يعقوب حين القاه البشير عليه.

(الثالثة) ان يوسف (ع) كان مؤهلا للنبوة وحمل رسالة الله الى خلقه والانبياء لا تأكل لحومهم السباع فقد حرمها الله عليها. فقد ذكرنا في كتابنا (العقايد الاسلامية) في (عقيدة النبوة) ان للانبياء مزايا وخصايص خصهم الله بها كعلامة لهم على ثبوت النبوة فيهم وحملهم رسالة الله ومن تلك الخصائص تحريم لحومهم على السباع ان تنال منها والارض اذا استودعوا فيها ان تبليها.

وذكرنا في كتابنا (كواكب الاشراق) ٢/٤٠٦ ان اولياء الله اذا اكرهوا على مصارعة السباع استعملوا معها الطاقة اللاهوتيه واجتمعوا معها على طريق سلمية وذلك لامور (١) انها بهائم ولعل المصلحة تقتضي بقاءها وترك قتلها و (٢) ان اولياء الله يجب ان يتصفوا باللين والعطف والرحمة لمخلوقات الله و (٣) ان الله قد سخر الكائنات تنقاد لهم وتجري حسب ارادتهم كما ظهر ذلك من خضوع ركانه الموصوف بقوة المصارعة لرسول الله (ص) والمصارع الرومي للامام علي الهادي.

ومما يشهد لتحريم لحوم الانبياء على السباع اجتماع جملة منهم بالسباع دون ان تمسهم بسوء كما ذكروا ان الملك بختنصر القى النبي دانيال (ع) مع لبوة في بئر عميق فبقي معها مدة طويلة يشرب من لبنها ليس له طعام غيره وهي تطعم مما في تلك البئر من نبات وغثاء.

وذكروا ان المسيح عيسى (ع) كان يذهب ايام صباه للاراضي المسبعة فيحمل الاشبال الصغار ويأتي بها امه مريم ابنة النبي عمران (ع) ليسرها بها فتتبعه الاسود

واللبوات تطالب في اطلاق اولادها حتى تأمره امه بأن يطلق الاشبال لتعود الى الامهات .

(مرفق (١٣)   (خروج يوسف من الجب)

ومكث يوسف (ع) في جوف تلك البئر يومه وليلته وقيل ثلاثة ايام . وفي هذه الفترة استلم منصب النبوة من الله فقد ابتداه نزول الوحي عليه كما قال تعالى (فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب) هبطت ملائكه الرحمة فتلقته بايديها واقعدته سالما على الصخرة (واوحينا اليه لتنبأنهم بامرهم هذا) حين يستسلموا اليك ويمكنك الله منهم (وهم لا يشعرون) بانك صاحبهم الذي ارادوا قتلك في الجب .

اقام في البئر مؤيدا بروح القدس يضيء له الظلام ويرفع عنه الوحشه ويطعمه من الموائد والفواكه ما يحبه ويشتهيه . وقيل انه كان يتعلل بشرب الماء وكان عذبا فواتا فجعل الله له فيه غذاء يرويه من الظمأ ويشبعه من الطوى .

وفي البحاره / ١٨٧ عن تفسير علي بن ابراهيم بسنده عن الصادق (ع) قال : ان جبرئيل نزل على يوسف في الجب فقال يا غلام من طرحك ههنا قال اخوتي قال ولماذ طرحوك قال يريدون هلاكي قال ولماذا ؟ قال حسدا منهم لما رأوا من فرط محبة ابي لي قال فإن شئت الخلاص من ما وقعت فيه فقل (اللهم اني اسألك بأن لك الحمد كله لا اله الا انت المنان الحنان بديع السموات والارض ذو الجلال والاكرام صلي على محمد وآل محمد واجعل لي من امري فرجا ومخرجا وارزقني من حيث احتسب ومن حيث لا احتسب) وذكره ص ١٨٠ عن امالي الصدوق .

وفي نقل اخر قال له جبرئيل اتحب ان ترفع عنك هذه الوحشة فادع الله وقل : (يا صريخ المستصرخين يا غياث المستغيثين يا مفرج كرب المكروبين قد ترى مكاني وتعرف حالي ولا يخفى عليك شيء من امري) فذهبت وحشته .

وفي مصباح الكفعمي ص ١٦١ عن شعيب العرقوقي عن الصادق (ع) قال ان يوسف لما القى في الجب وضع خده على الصخرة وقال (اللهم ان كانت ذنوبي قد

اخلقت وجهي عندك فاني اتوجه اليك بوجوه آبائي الصالحين ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب ان تفرج عني) ففرج الله عنه فقلت يا مولاي اندعوا نحن بهذا الدعاء؟ قال: نعم ولكن قولوا (اللهم ان كانت ذنوبي قد اخلقت وجهي عندك فاني اتوجه اليك بوجه نبيك نبي الرحمة وعلي وفاطمة والحسن والحسين والائمة عليهم السلام الا فرجت عني).

اما الدعاء الذي اوله (يا صانع كل مصنوع... واخره... ان تجعل لي من امري فرجا ومخرجا وارزقني من حيث احتسب ومن حيث لا احتسب) فالاصح و الاقرب انه الدعاء الذي دعا به لما القي في السجن بامر عزيز مصر وامرأته كما سيأتي ذكره في موضعه فقد جعل الله له من السجن فرجا ومن كيد المرأة مخرجا ورزقه ملك مصر من حيث لا يحتسب.

قالوا ولما دعا يوسف بما علمه جبرئيل استجاب الله له واوحى اليه بما ذكره تعالى (لتنبأنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون).

قال تعالى (وجاءت) قافلة (سيارة) من اهل مصر قادمة من مدين عليها مالك بن ذعر من اهل مصر قد اخطأوا الطريق المسلوكة وسلكوا الطريق المهجورة بغير قصد فمروا بتلك البئر فلما رأوها نزلوا بالقرب منها ليستقوا من مائها (فارسلوا واردهم) وهو غلام رئيس الركب يستقي لهم منها (فادلى دلوه) فيها ليخرج الماء فتعلق به يوسف وجلس في وسطه فلما جذبه المولى احس منه ثقلا فوق العادة فاستعان بغيره فجروه ولما قرب من فم البئر رأوا وجها كأنه القمر ليلة كماله فبهتوا من جماله وقالوا من انت يا غلام من الانس ام من الجن ام من الملائكة؟ قال: بل انا من الانس وصاح الغلام بمولاه مالك (قال يا بشرى هذا غلام) طلع علينا من البئر قد بهرنا بجماله فاتى مالك فلما نظر الى يوسف انخلع قلبه وذهل لبه واخذ يسأله عن حاله وقد شغف بحبه وتمكن غرامه من قلبه فأخذ يوسف يقص عليهم امره وقال انكم احسنتم الي باخراجي من البئر فارحموني بشوب

البسه[1] وطعام اتقوي به على عبادة ربي، فقدم له مالك من طعامه المختص به وكساه حلة محبرة فلما اكتسى الحلة وشبع من الطعام قال يا قوم اني مظلوم معذب فاحملوني معكم قبل ان تصل الي اخوتي فانهم ان رأوني حالوا بيني وبينكم وقتلوني امامكم. قال مالك: لا تخف فانا نمنعك مما نمنع منه انفسنا ولو قاتلونا قاتلناهم دونك.

واحتملوه معهم (واسروه بضاعة) اي اسروا في انفسهم ان يجعلوه بضاعة يبيعونه وينتفعون بثمنه (والله عليم بما يعملون) له من جميل واحسان.

وذكر المجلسي في البحار ٥ / ١٨٠ عن المصباحين - مصباح المتهجد ومصباح الكفعمي - وص ١٨٣ عن المفيد عن حدائق الرياض قال: ان خروج يوسف من الجب كان يوم الثالث من شهر الحرم.

(بيع يوسف على اهل مصر)

وبينما هم يستعدون للارتحال به الى مصر واذا باخوته بني يعقوب قد اقبلوا بمواشيهم فقصدوا البئر يتحسسون فيها عن يوسف فلم يسمعوا له صوتا ولا حركة فقالوا يا اهل العير هل وجدتم في البئر غلاما قالوا نعم قالوا انه عبدنا قد فسق وسرق وابق فاردنا عذابه وانزلناه في هذه البئر فقال لهم مالك قد كفيتم امره فهل تبيعوننا اياه قالوا نعم ولكن له عيوبا قد لا تطيقون احتمالها قال مالك وما عيبه؟ قالوا انه افاك كذاب وربما قال لكم اذا سرتم به انه اخونا واحب الى ابينا منا وانا حسدناه على جماله ومنزلته من ابيه فاحتلنا في اخراجه الى الصحراء واردنا قتله فلا تصدقوه فكل ذلك كذب واختلاق. قال: قبلناه على ما تصفون.

قالوا: وانه متكبر طاغ معجب بنفسه فسيقول انه رأى في المنام الشمس والقمر والكواكب ساجدة له قال قبلناه بالذي تزعمون.

قالوا: وانه نمام فسوف يدلي لكم كل وقت بحديث ويفسر لكم الرؤيا ويغري

(١) طلبه ثوبا يلبسه لا يدل على عرية بل بقصد ان يجعله مكان القميص السماوي ليحتفظ به.

بعضكم ببعض فلا تتبعوه قلنا رضينا به على ما تقولون.

قالوا : وانه شرودابوق فاذا اشتريتموه فشدوا يديه ورجليه واوثقوه في بعير والا ابق عنكم قال انا اذا ابق منا لم نطالبكم بثمنه.

واختلف المفسرون في تحديد الثمن الذي اشترى اهل القافلة به يوسف من اخوته فالكتاب العزيز يقول ان اهل العير قبلوه (وشروه بثمن بخس دراهم معدوده) قال الطبرسي البخس هو الناقص عن القيمة السوقية والمنزوع البركه لان ثمن الحر حرام واختلفوا في تحديده فروى عن الامام على بن الحسين (ع) وابن عباس والسدى وابن مسعود انه كان عشرين درهما وكانوا عشرةانفارفاقتسموها بينهم لكل منهم درهمان لان الحادي عشر هو بنيامين كان يومئذ طفلا صغيرا بقي مع ابيه اهـ وروى ايضا عن الامام الرضا (ع) وهي قيمة كلب الصيد اذا قتل اهـ والمشهود ان العشرين درهما هي قيمة كلب الماشية واما كلب الصيد فقيمته اربعون درهما وهو الذي اختاره عكرمة في ثمن يوسف وانهم اقتسموها لكل واحد اربعة دراهم. (و) انما باعه الاخوة بهذا الثمن القليل لأنهم (كانوا فيه) اي في ثمنه (من الزاهدين).

وذكر الثعلبي ان السر في بيع يوسف من اهل مصر بهذا الثمن الرخيص هو ان ابراهيم الخليل (ع) قدم الى مصر مرة فلما خرج منها خرج لتشييعه نحو اربعمائة رجل من العلماء والعباد والصلحاء وهم حفاة مشاة على اقدامهم وهو راكب حتى قطعوا منه مسافة طويلة ولم يترجل لهم. فاوحى الله اليه يعاتبه في ذلك بما انك لم تترجل لهؤلاء المشيعين من الصلحاء وهم مشاة حفاة وقد قطعوا هذه المسافة البعيدة اكراما واجلالا لك فاني سوف اقتص منك بان يباع اجمل واعز ولد من ذريتك بيع العبيد في هذه البلاد ...) هـ.

ولكن هذا مردود وعار من الصحة لانه لا يتناسب مع مقام ابراهيم (ع) وكرم اخلاقه وما عرف به من التواضع والعطف والحنان والسجاحة والمرونه فهو أتقى وارفع من ان يتكبر على رعاع الناس فضلا عن علماءهم وكبراءهم.

ولما انقدهم مالك ثمن يوسف قال، اما انكم لو طلبتم في ثمنه العير والحمولة كلها لدفعتها اليكم ولو سمتموه باربعة آلاف دينار لما ساوت انملة من انامله ولكنكم من الاشقياء وقد انجاه الله منكم ورفعه عليكم.

من باع درا على الفحام ضيعه　　　كواضع الشمع في دار لعميان
لا يعرف الدر الا الجوهري ولا　　　يقدر الرسم الا كل فنان

قالوا: واردف مالك يوسف معه على الراحلة وارتحل الركب به نحو مصر. ولما فصل الركب به عن ذلك المنزل جعل ينظر الى اخوته من طرف خفي ويبكي فقال له مالك، مالك تبكي يا ملك القلوب ونور الابصار اتبكي على فراق هؤلاء الاشقياء الذين صنعوا بك ما صنعوا وارادوا قتلك قال اني لم ابك لفراقهم ولكن لكل مسافر وصية تؤدى الى من خلفه من اقاربه ولا ارى من يحمل وصيتي الى والدي ويبلغهما السلام عني.

(سابقة (١)　　　(حول عصمة الانبياء)

ذكر الطبرسي في مجمع البيان في معنى قوله تعالى (اذ) قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ونحن عصبة ان ابانا لفي ضلال مبين) يوسف/٩ اكثر المفسرين على ان اخوة يوسف كانوا انبياء وقال بعضهم - وهم الامامية - لم يكونوا انبياء لان الانبياء لا تقع منهم القبائح وقال السيد علي المرتضى قدس الله روحه لم تقم لنا حجة بان اخوة يوسف الذين فعلوا ما فعلوا كانوا انبياء. ولا يمتنع ان يكون الاسباط الذين كانوا انبياء هم غير هؤلاء الاخوة الذين فعلوا بيوسف ما قصه الله عنهم. وليس في ظاهر الكتاب ما يدل على ان هؤلاء هم الاسباط الذين مدحهم الله ولا على ان الاسباط كلهم انبياء اهـ. فيحتمل ان تكون اخوة يوسف ليسوا من الاسباط او انهم من الاسباط ولكن لم يكونوا انبياء لان الانبياء ليس للشيطان سبيل عليهم كما نص عليه القرآن في قوله تعالى (قال رب بما اغويتني لازينن لهم في الارض ولأغوينهم اجمعين. الا عبادك منهم المخلصين. قال هذا

صراط علي مستقيم. ان عبادي ليس عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين) الحجر /٤٢ (قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين، الا عبادك منهم المخلصين) ص /٨٣

وقد ذكرنا في كتابنا (العقائد الاسلامية) في (عقيدة النبوة) اجماع الفرقة الامامية على ثبوت ووجوب عصمة الانبياء من طريق العقل والقرآن والسنة والنقل وتاولنا تلك الايات والاحاديث التي يظهر او يتوهم منها صدور المعصية من بعض الانبياء واهمها ما حدث لادم من الاكل من الشجرة وذكرنا انها من الصغاير او المرجوحات وقد حدثت له قبل ان يسلم منصب النبوة لقوله تعالى (وعصى ادم ربه فغوى. ثم اصطفاه ربه فتاب عليه وهدى) طه /١٢٢ فالاصطفاء هنا هو النبوة والانبياء قبل استلام منصب النبوة لايجب ان يكونوا معصومين من الصغاير والمرجوحات ولكنهم مع ذلك يترفعون ويتنزهون عنها كساير الانقياء المؤمنين.

فان قيل يحتمل ان يكون اخوة يوسف قد فعلوا الذي فعلوه بيوسف قبل ان تنزل عليهم النبوة كما هو الحال في آدم في اكله من الشجرة. قلنا انما يجوز على الانبياء قبل النبوة فعل المعاصي الصغاير اما الذنوب الكباير فهم معصومون منها قبل النبوة وبعدها وليس فعلهم بيوسف كالاكل من الشجرة في الاثم والاجرام فالاكل من الشجرة ظلم فيه آدم نفسه حيث انزله به من دار البقاء والخلود الى دار الفناء ولكن فعل هؤلاء بيوسف قد ظلموا انفسهم بانقيادهم لشيطان انفسهم واستعباده لهم وانزالهم من معالي العقل والانسانية الى مهابط السفه والبهيمية. وظلموا اخاهم يوسف بقطع رحمه وتعذيبه وترويعه وعزمهم على قتله ونهبهم طعامه وشرابه ونزعهم ثيابه والقاءه في البئر لاهلاكه ورجمه بالاحجار للقضاء عليه ثم استعباده وبيعه واتهامه بالكذب والفسوق. وظلموا اباهم بخدعه والغدر به ونكث الايمان والعهود والتفريق بينه وبين حبيبه وتعريضه لمقاساة الهموم ولوعات الفراق وكربات البعاد نحو اربعين سنة ونسبته الى الضلال والظلم في قولهم (ان ابانا لفي ضلال مبين).

وليس معنى تجريدهم عن النبوة وابعادهم عن العصمة وتجريمهم بما فعلوا بيوسف الحكم عليهم بالكفر والارتداد او الضلال الذي هو على حد الكفر بالله والحكم عليهم بانهم من اهل النار بل من الممكن لهم ان يتوبـوا ويعترفوا بالخطأ والاجرام والتقصير في حق ابيهم واخيهم فاذا تابا عليهم ورضيا عنهم فان الله غفور رحيم قال الطرسي وقد روى ابو جعفر بن بابويه في كتاب النبوة باسناده عن محمد بن اسماعيل بن بزيع عن حنان بن سديد قال قلت لابي جعفر الباقر (ع): اكان اولاد يعقوب انبياء ؟ فقال: لا ولكنهم كانوا اسباط اولاد الانبياء ولم يفارقوا الدنيا الا سعداء تابوا وتذكروا ما صنعوا.

ونقل الطبرسي عن البلخي والجبائي احتمال كونهم في ذلك الوقت غير بالغي الحلم ولم يوجه اليهم التكليف وقد يقع ممن قارب البلوغ من الغلمان مثل هذه الافعال ويعاتب على ذلك ويضرب ويمكن الاستدلال عليه بقولهم لابيهم (ارسله معنا غدا يرتع ويلعب..) فان طلبهم ارساله معهم ليرتع معهم ويلعب لا يبعد ان يكون طلبا صبيانيا. لولا ان اللعب واللهو في عصرنا هذا اصبح من الهوايات التي تمارسها كبار الرجال بأكثر مما تمارسها الصبيان الصغار.

وبمثل ما حكم على اخوة يوسف (ع) فيما صنعوا به بانهم اسباط انبياء ولا بد ان تكون عاقبتهم الى خير بالتوبة والاستغفار بأن اباهم يعقوب واخاهم يوسف قد رضي عنهم وغفر لهم و (قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين). لا يبعد ان يحكم بمثل ذلك على ابناء اهل البيت (ع) الذين صدر منهم بعض الشذوذ والانحراف والاخطاء كعمر وعبيد الله ابني امير المؤمنين وزيد بن الحسن (ع) وعبد الله الافطح وابراهيم الجزار وزيد النار ابني موسى بن جعفر (ع) وجعفر التواب بن علي الهادي (ع) فان انتسابهم لرسول الله وابنته الزهراء وامير المؤمنين (ع) لا بد ان يهيء لهم التوبة والاستغفار والانابة ما يستحقون به التوبة والمغفرة والعفو من الله فيكون مصيرهم الى الجنة. ويؤيد هذا ورود بعض الاحاديث عن ابائهم المعصومين (ع) بالمنع عن القدح في عدالتهم والمس

بكرامتهم وفي بعضها يقول الامام (ع) ان اولادنا قد فرض الله تأديبهم علينا واكرامهم عليكم.

(مرفق (١٣) (سير الركب بيوسف الى مصر)

وذكر المؤرخون ان مالك بن ذعر لما اشترى يوسف (ع) من اخوته اردفه معه على الراحلة وولاه قيادة الركب والحل والعقد وامور النزول والارتحال فكلما احب النزول امر به واذا اراد الارتحال فكلهم تبع ارادته لا يعارض في شيء مما يحب من اي احد منهم. وذكر الطبرسي عن ابن حمزة الثمالي قال: لم يزل مالك بن ذعر واصحابه يتعرفون من الله الخير في سفرهم ذلك.

قال وتحرك قلب مالك ليوسف فاتاه وقال اخبرني من انت؟ فاخبره يوسف بنسبه وحسبه فالتزمه مالك وقبله وبكى على ما جرى له من اخوته.

وكان مالك رجلا عاقرا فقال ليوسف لو دعوت ربك ان يهب لي ولدا فاني اراك مجاب الدعوة وسيما الانبياء يلوح على وجهك. فدعا له يوسف فرزقه الله اثني عشر بطنا في كل بطن غلامين.

قال الثعلبي ومرت العير بفلاة فطلب يوسف منهم ان ينزلوا هناك. قال مالك يا.. انها فلاة جرداء لا ماء فيها ولا كلأ قال: ان فيها قبر امي راحيل واني احب زيارتها فنزلوا ومشى يوسف حتى بلغ الى قبرها ومرت بخياله ذكريات الامومة وما كان له منها من العطف والحنان فهاجت احزانه وبكى وهو يشكو اليها ما نزل به من البلاء وفراق الاحبة والعبودية والنوى حتى بكى اهل الركب كلهم لبكائه.

(حول زيارة القبور)

ويمكن الاستدلال بنزول نبي الله يوسف الصديق (ع) لزيارة قبر امه وتجديد العهد بها على مشروعية زيارة القبور وجواز تجديدها في الشرائع السماوية السابقة بان الانبياء لا يأتون من الاعمال الا ما فيه رجحان وقربة الى الله.

وقد احتذى بيوسف في زيارة قبر امه سيدنا رسول الله (ص) فقد نقل عنه

اهل السير كابن أسحاق وابن هشام والحلبي وغيرهم قالوا: ان رسول الله (ص) لما نزل بالابواء - والابواء: موضع بين مكة والمدينة، الى المدينة اقرب سمي بذلك لتبوأ السيول فيه - من عمرة الحديبية قال ان الله قد اذن لمحمد في زيارة امه فاتى قبرها واصلحه وبكى عنده وبكى المسلمون لبكائه فقيل له في ذلك قال: ادركتني رحمتها فبكيت. وعن ابن هريرة قال (ص) اني سألت ربي ان ازور قبر امي امنة بنت وهب الزهرية فاذن لي فزوروا القبور فانها تذكر الموت.

اما ما روي عن النبي (ص) من النهي عن زيارة القبور في ابتداء الدعوة الى الاسلام فانما يعني بها القبور التي تقدسها اهل الجاهلية وتطلب عندها الحاجات وشفاء المرضى وقضاء النذور كقبر مجاشع بن عمرو التميمي جد الفرزدق وعمرو بن لحي الذي شرع وضع الاصنام على سطح الكعبة ومثلها قبور اهل بابل في العراق فهي التي يعنيها رسول الله (ص) في وصيته لامير المؤمنين حينما سيره في احدى غزواته قال له: لا تمر في طريقك بوثن يعبد الا ازلته ولا جدث الا اعفيته ولا رسما الا محوته.

فلما انتشر الاسلام وضرب جيرانه الارض واكتسح تلك الاوثان والاصنام التي تعبد من دون الله بما فيها مقابر الكفار التي تقدسها اهل الجاهلية. وصدر الموت على بعض المؤمنين وحظي البعض منهم بالشهادة كشهداء بدر واحد اذن للمسلمين في زيارة قبورهم وقال كنت نهيتكم عن زيارة القبور واذنت اليوم لكم فيها فزوروا القبور فانها تذكر الموت، وكان هو (ص) في مقدمة من يأتي لزيارتها ولما كثر الدفن حول ابنه ابراهيم علم قبره بحصاة لان لا يضل قبره.

(مرفق (٩٤)) (بكاء يعقوب وحزنه لفقد يوسف)

اما النبي يعقوب (ع) فقد تراكمت عليه الهموم والاحزان لفراق ابنه يوسف (ع) بابلغ ما يتصور. فمن تلك العشية التي عاد اولاده فيها اليه بدون يوسف لم يقر له قرار ولم يتهن بطعام ولا شراب ولا ذاق طعم النوم ولم يفتر ساعة ليله من البكاء ولما حضر وقت ورده لم يقدر على ادائه فكلما هم ان يصلي ويعبد الله

ويدعوه خنقته العبرة وسالت من عينيه الدموع. فقطع العبادة وقال يا رب معذرة اليك ان اقوم بين يديك وقد شغلت بالحزن لفراق حبيبي يوسف.

وقد صور الله مبلغ حزنه وتألمه لفراق ابنه انه (قال) لابنائه لما زعموا ان الذئب افترس يوسف (ع) (بل سولت لكم انفسكم امرا) قبيحا منكرا اظهرته لكم بصورة الجميل والتسويل عكس التحسين فيقال سولت له نفسه اي حملته على فعل السيء (فصبر جميل) اي فالواجب الآن على ازاء هذه البلية هو الصبر الجميل على مقادير الله (والله المستعان) ان يلهمني الصبر والعزاء (على ما تصفون) وتزعمون (وتولى عنهم) اي اعرض عنهم واعتزلهم وخلا بنفسه يبكي لفراق ابنه (وقال واسفاه على يوسف) فقد ابتعد عني ولا ادري اين مقره.

وفي نقل: ان يعقوب سأل الله عز وجل ان يجمع بينه وبين ملك الموت فأتاه فقال اخبرني بربك هل قبضت اليك روح ابني يوسف؟ قال لا فتيقن حينئذ ان يوسف على قيد الحياة وقد ابتعد عن الوصول اليه والاتصال به. ومن ذلك الوقت اخذ يواصل البكاء والنحيب لا يفتر عنه ليلا ولا نهارا فكان لا يهنأ بطعام ولا شراب ولا منام فكلما وقع في حال من هذه الاحوال تذكر حضور يوسف معه على المائدة او في الدار او في الفناء وقد يرى فراشه خاليا منه عند النوم فيهوى عليه يشمه ويتلهف لفقد من كان عليه من قبل.

وقد صور القرآن مبلغ حزن يعقوب على ابنه يوسف بقوله تعالى: (.. وابيضت عيناه..) اي حدث فيهما البياض وهو المرض الذي يسبب العمى على صاحبه بذهاب السواد وامتناع الرؤية وهذا انما يحدث بعد احرارها بفرط سيلان الدموع وذكر في مجمع البيان عن مقاتل ان يعقوب عمي وبقي بالعمى ست سنين.

وقد تسبب له العمى من طول البكاء و (من الحزن فهو كظيم) اي كاظم لغيظه على ابنائه الذين تسببوا له في هذا البلاء اذ لا يقدر ان يواجههم بالسخط والحنق فيؤدي ذلك الى نفرتهم وتفرقهم عنه فيكون حملا لهم على العقوق وهو مما نهى الله عنه.

وفي البحار ٥/١٨٢ عن الصدوق قال في الخصال بسنده عن محمد بن سهل الحراني يرفقه الى ابي عبد الله (ع) قال: البكاؤون خمسة: آدم ويعقوب ويوسف وفاطمة بنت محمد وعلي بن الحسين... الى ان قال واما يعقوب فبكى على يوسف حتى ذهب بصره.. وفي نقل آخر عنه (ع) قال بكى حتى شاب رأسه واحدودب ظهره وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم...

واقبل الناس وابناؤه عليه يعذلونه على ما ينزله بنفسه من الجزع والهلع وعدم السلوان (قالوا تالله) انك لا تزال ولا (تفتؤ تذكر يوسف) فتبكي وتضطرب وتهتز لذكره (حتى تكون حرضا) اي سخيف العقل والحرض: هو الخرق والخرف والجنون (او تكون من الهالكين) فهم يسألونه النظر في صلاح امره والبقيا على نفسه (قال انما اشكو بثي) اي لوعتي وحسرتي (وحزني الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون) اني اذا شكوت له سيفرج عني ويكشف حزني.

(سابقة (١) (اقسام البكاء في حكم الشرع)

ينقسم البكاء في حكم الشرع الى اربعة اقسام راجح وجائز ومرجوح وحرام. اما (الراجح) الذي فيه الفضيلة والثواب فهو البكاء من خشية الله ففي الحديث عن النبي (ص) قال كل عين باكية يوم القيامة الا ثلاث اعين. عين بكت من خشية الله وعين غضت من محارم الله وعين باتت ساهرة في سبيل الله. ويلحق به البكاء حبا وشوقا الى الله ففي الحديث ان نبي الله شعيبا (ع) بكى من خشية الله حتى ذهب بصره ثلاث مرات في كل مرة يعيده الله عليه وبعد الثلاثة اوحى الله اليه عن سر بكائه وقال ان كنت تبكي خوفا من النار فاني قد اجرتك منها وان كنت تبكي طمعا في الجنة فاني ابحتك ان تسكن وتأخذ اي موضع فيها قال لا وحقك وانما ابكي حبا وشوقا اليك قال تعالى وعزتي وجلالي لاخدمنك اعز واحب خلقي الى موسى بن عمران.

ويلحق به البكاء على فقد الانبياء والاوصياء واولياء الله لان هؤلاء هم الذين يمثلون الله في خلقه ويبلغون رسالته الى عباده وهم خلفاؤه في ارضه فالبكاء عليهم

بكاء على رسالة الله التي انقطعت بموتهم واحكامه التي تعطلت بفقدهم. ومن هنا استحق ان تبكي السماء والارض عليهم فقد روى الشيخ فخر الدين بن طريح النجفي في المنتخب ١/١٠٤ عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى (فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين) الدخان /٢٩ قال اذا قبض الله اليه نبيا من الانبياء بكت عليه السماء والارض اربعين سنة واذا مات امام من الائمة بكت عليه اربعين شهرا واذا مات العالم العامل بعلمه بكيا عليه اربعين يوما أ هـ ويفسر العلماء هذا البكاء بأن هناك امورا كونية ضرورية في السماء والارض ربما تتوقف عن اداء وظائفها بسبب فقد الاولياء ويوجب توقفها انفعالا وتأثرا في دورة الفلك او جاذبية الارض او تبدل بعض الكواكب عن مواضعها او مسيراتها المقررة لها مما يوجب تغييرات جوية وتقلبات كونية كالزلازل والعواصف والفيضانات وزيادة الامطار او انقطاعها او زيادة البرد او الحر ومن الى ذلك.

ومن هذا النوع من البكاء على مصاب الامام الحسين (ع) فقد وردت نصوص كثيرة عن رسول الله (ص) تصرح بان الباكي عليه يستوجب اجرا كبيرا ومن طريقنا جاء عن الباقر (ع) قال من بكى على الحسين ولو بقدر جناح ذبابة من الدمع غفر الله له ذنوبه ولو كانت كزبد البحر.

واما البكاء الجائز فهو البكاء لفقد الارحام والاقرباء والاصدقاء واهل الايمان والصلاح. ولا يخلو ايضا من الرجحان اذا قصد به التأسي برسول الله (ص) فانه بكى لفقد اقربائه وارحامه كبكائه لقتل عمّه سيد الشهداء وعبد الله بن جحش ومصعب بن عمير يوم احد وبكى لفقد ولده ابراهيم وقال ان البكاء رحمة. او قصد به التنفيس عن القلب فان الحزن والاسى اذا كبت في القلب ولم ينفس بالبكاء كانت لصاحبه عقد نفسية تفضي الى ارتجاج في العقل او اضطراب في الاعصاب.

واما البكاء المرجوح فهو البكاء لفقد المال او الجاه او الرياسة او لفوات منصب او وظيفة او الفرصة لنيل درجة عالية فان فيه نوعا من اليأس من رحمة

الله او التظلم من قضاء الله او الشك في عدل الله وكلها خطيئات قد تؤدي الى احباط الاجر وتبطل الاعمال الصالحة قال الشاعر :

الا انما الدنيـــا غضـــارة ايكـــة اذا اخضر منها جانب جف جـانـب
فلا تكتحــل عينـاك يـومـا بعبرة على ذاهـب منهـا فـانـك ذاهــب

واما البكاء المحرم فهو البكاء المشتمل على اعمال الجزع والهلع كشق الثوب ونتف الشعر وخمش الوجه فانها مظاهر تذمر وتظلم من فعل الله وهو على حد الكفر بالله لان اعتقاد العدل في الله وافعاله ركن من اركان الاسلام الخمسة وانكاره يوجب الخروج من الاسلام. كما ان فيها ردا على الله سبحانه وسخطا على قضائه وقد جاء في الحديث القدسي: من لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي فليطلب له ربا غيري وليخرج عن ارضي وسمائي.

ولذلك فان الاستغفار والتوبة من هذه الخطيئة لا تكفي لغفرانها ونيل العفو عنها بل لا بد من اخراج الكفارة المقدرة في الشرع لها.

واذا كان يعقوب نبيا من انبياء الله معصوما من الاخطاء فقد وجب ان يكون بكاؤه لفراق ابنه يوسف من القسم الراجح من البكاء.

(سابقة (٣) (دوافع يعقوب على البكاء)

وبذلك وجب ان يحمل حزن يعقوب وبكائه لفقد يوسف على ثلاثة محامل.

(الاول) ندمه على تفريطه برد السائل (دميال) العابد الصائم طاويا فقد كان الاولى ان يرصد اولاده بابواب داره ان لا يمر فقير جائع الا وادخلوه الدار واطعموه قبل ان يسألهم ويستطعمهم. فان هذا الرد وان لم يكن منه مباشرة فهو مشارك فيه لابنائه.

فبكاؤه خشية ان يكون الله قد سخط عليه واسقط اسمه من ديوان الاصفياء ورجاء ان يشمله الله بمغفرته وعفوه.

(الثاني) رقة القلب والعطف والحنان التي تتحلى بها الانبياء. فمن الواجب ان تكون الانبياء ارق الناس قلوبا واملئهم رحمة وحنانا فقد كانت هذه الصفات هي اظهر صفات نبينا محمد (ص) فقد ظهرت له في عدة مواطن كعقد الاتفاق بينه وبين مشركي قريش في صلح الحديبية وعفوه عن اسرى المشركين في بدر وقبوله الفداء فيهم وتكراره الوصية بالرفق في النساء والرقيق وقوله لبلال بن رياح لما مر بنساء اليهود في خيبر على مصارع القلى ارأيت ا ن نزع الله الرحمة من قلبك فماذا اصنع بك ،من لا يرحم لا يُرحم وقوله (ص) اعوذ بالله من عين لا تدمع وقلب لا يخشع وقوله لمن لامه على فرط حبه لابنه الحسين من لم يرحم صغيرا ولم يوقر كبيرا فليس منا في شيء.

(الثالث) انه لم يبك لفراق يوسف من حيث انه ابنه وولده فقط بل هناك جملة من المبررات له على هذا البكاء.

(أ) انه بنه وولده والبنوة تصير الابن بمنزلة القلب من الصدر بل الروح من الجسد كما قيل اولادكم اكبادكم.

وانما اولادنــــا بيننـــــا اكبـــادنـــا تمشي على الارض
لــو مــرت الريــح على بعضهم لم تكتحــل عيني مــن الغمــض

وقد قال رسول الله (ص) في حق ابنته الزهراء فاطمة بضعة مني ،من احبها فقد احبني ومن سرها فقد سرني ومن اذاها فقد اذاني. وجاء في نص الزيارة لقبرها.. واشهد انك بضعة منه وروحه التي بين جنبيه.

وروى ابن طريح في المنتخب ان رسول الله (ص) كان مرة يخطب الناس في مسجده النبوي بالمدينة اذ دخل ابنه الحسن (ع) وهو اذ ذاك طفل صغير وعليه برد طويل فعثر بباب المسجد وسقط لوجهه فرآه النبي قبل الناس فقطع خطبته ونزل من المنبر يتخطى رقاب الناس حتى انتهى لابنه الحسن فاحتمله على صدره يضمه ويقبله فقال ايها الناس لا تلوموني قاتل الله الشيطان ان الولد لفتنة والله لما

سقط ابني هذا على الارض احسست بان قلبي قد هوى من صدري.

(٢) انه فارقه في حال الصغر لا يزيد عمره على سبع سنين فهو حتى لو لم يهلك فانه في حاجة لامرأة حاضنة تكفله وتقوم بحاجاته في غسله ونظافته واماطة القذى عنه ودهن رأسه وتسريح شعره وغسل وتبديل لباسه وتهيئة فراشه ودثاره واعداد طعامه وشرابه.

ولا يزال اصغر الاولاد احبهم لابيهم فقد قيل لبعضهم من احب اولادك اليك قال الصغير حتى يكبر والمريض حتى يشفى والغائب حتى يعود.

(٣) انه يتيم الام واليتيم لا يزال موضع عطف ورحمة من جميع الناس فكيف يكون موقعه من قلب ابيه وهو مفعم بحبه ومولع بذكره.

(٤) ان يوسف نبي من انبياء الله وليس في ابناء يعقوب نبي غيره لان اشتراكهم في العزم على اغتيال اخيهم يوسف قد اظهر بكل وضوح انهم ليسوا بأنبياء بل طغاة اغبياء فان الانبياء لا بد ان يتحلوا بحلية الطهارة والعصمة من الاخطاء فبكاء يعقوب لفراق يوسف لم يكن من حيث انه ابنه وولده بل من حيث انه حجة الله على الناس لانه رسول الله اليهم فهو يبكي لضيعة تلك النبوة التي يحملها يوسف لا يدري اين وقعت فبكاؤه لاجل الدين لان الدين يتكون من نبوة وامامة ومرجعية الى الناس. والنبي يمثل الامة كلها فحياتها بحياته وهلاكها بهلاكه فاذا هلك النبي هلكت الامة كلها ومن حقه ان تبكي عليه الامة كلها والبكاء على ضيعة الدين كالبكاء من خشية الله يوجب لصاحبه الاجر والثواب ومن اجل ذلك يحتل البكاء على الحسين (ع) الصدارة في الفضيلة والمنازل العالية في الاجر والثواب لان الحسين يمثل جده رسول الله واباه امير المؤمنين وامه الزهراء واخاه الحسن (ع) في الدين والرسالة التي يحملونها من الله لخلقه وعباده فالاعتداء عليه هو اعتداء عليهم جميعا.

فحياة اصحاب الكساء حياته ... وبيوم مصرعه جميعا صرعوا

الا ترى ان الاعتداء على الشرطي او المندوب او الموظف الاداري يعتبر اعتداء على الدولة لانه يمثلها اميرا وقائدا واعضاء فكما ان المنصوبين يمثلون الدولة فتجب اطاعتهم والانقياد لهم وتعتبر مخالفتهم مخالفة للدولة وهي جريمة لا تغفر فكذلك الانبياءوالاوصياء والائمة منصوبون لله عز وجل في طاعتهم طاعة الله وفي معصيتهم معصية الله والاعتداء عليهم اعتداء على الله ومحاربة له فالبكاء لفقدهم بكاء من خشية الله حيث لا يُؤمن في فقدهم ان تفقد رحمة الله وفي قتلهم ان ينزل على الناس سخط الله ونقمته قال تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم).

(سابقة (٣)   (مبلغ حزن يعقوب)

وقد ذكر المؤرخون ان نبي الله يعقوب (ع) قد بلغ به الحزن والاسى لفراق ابنه يوسف (ع) الى حد فقد فيه توازنه الصحي والطبيعي بانه شاب راسه وذهب بصره واحدودب ظهره لامتناعه من الاكل والشرب والنوم فلا يعطي نفسه من هذه الامور الحيوية كفايتها لاستسلامه لمواصلة النوح والبكاء فهو لاترتقي له عبره ولا تخمد له زفرة وذكروا ان حزنه بلغ قدر حزن سبعين ثكلى.

ولكن هذا لا يتناسب في العصمة مع مقام النبوة فان النبوة رقعة ناصعة البياض لاتحتمل حتى دبيب النمل عليها فانه يؤثر فيها. والنبي يجب ان يكون مثالا من امثلة الصبر والاحتمال ليكون قدوة للعالمين واسوة للمبتلين. وقد جاء في الحديث عن النبي (ص) قال: اعظم الناس بلاء الانبياء ثم الاوصياء ثم المؤمنون ثم الامثل فالامثل.

فقد وجب ان يحمل ما نسبوه من هذا الجزع والهلع ليعقوب (ع) على احد محامل ثلاثه.

(الاول) المبالغة في شدة الحزن والأسى الذي الم به وله نظائر من الامور اللتي قد تنسب الى اولياء الله ولا يقصد بها الا المبالغة اذ لايمكن ان تكون واقعة على وجه الحقيقة كما ذكروا في تصوير عبادة الامام السجاد (ع) ان ابنه ابا جعفر

(ع) دخل عليه يوما فرآه قد انخرم أنفه ودبرت جبهته من طول السجود وعمشت عينه من البكاء وتقوس ظهره من الركوع فبكى رحمة له وجعل يسأله البقيا على نفسه.. الخ فان دبر الجبهة وانخرام الانف مما يوجب تشويه الخلق ومقام الامامه اعلى واجل من ان يوصم بذلك وهناك احاديث صحيحة تصرح بنزاهة اولياء الله عن هذه النقائص وكل الامور اللتي توجب نفرة الناس منهم كما اثبتنا ذلك في (عقيدة النبوة) من كتابنا (العقايد الاسلامية).

ومثل ذلك ما نقل عن امير المؤمنين وعلي بن الحسين (ع) ان كلا منهما كان يصلي في اليوم والليله الف ركعة فانا اذا قسمنا لكل ركعة دقيقة من الساعة ضاق وقت (٢٤) ساعة عن اداء ذلك فاين وقت الاكل والشرب والنوم وحضور المساجد والمجتمعات الدينية. فصلوة الف ركعة في اليوم والليلة تهبطه من منصب الخلافة عن الله في ارضه الى موضع راهب في صومعة قد ترك الارجح للمرجوح. فالمقصود من الف ركعة انه (ع) كان كثير العبادة لا يمل من الصلوة.

(المحمل الثاني) ان ما حدث ليعقوب من ذهاب بصره وشيب رأسه لم يكن من تفريطه ولا استسلامه لدواعي الجزع الذي يظهر التظلم والتذمر من القضاء. وانما كان نتيجة لكونه رقيق القلب مرهف الاحساس واهن الشعور لا طاقة له باحتمال الكوارث كما هي حال الانبياء والاولياء فقد لا يحتملون ما يحتمله غيرهم من الناس. كما ذكرنا من نزول النبي (ص) من المنبر وقطعه خطبته ليحمل ولده الحسن (ع) لما عثر بالباب وهو طفل صغير فلما قال الناس له هلا آذنتنا ونكفيك امره فقال ايها الناس لاتلوموني قاتل الله الشيطان ان الولد لفتنة والله لما سقط ابني على الارض احسست ان قلبي قد وهى من صدري.

والناس يختلفون في الطاقات القلبية فبعضهم من تكون له صلابة وقسوة لاحتمال الخطوب والرزايا فلا يذل عوده ولا يلين قلبه مهما عظمت الرزية واخرون تنهار اعصابهم لأقل الرزايا فقد يمرض ولده فلا يقدر على القيام من عنده.

و (الثالث) ان الاصابة بمؤثرات الحزن والاسى قد تكون نتائج حتمية

وتأثرات نفسية لا قدرة للانسان على دفعها والتخلص منها كتوتر الاعصاب عند الغضب وانتفاخ الاوداج عند الغيظ واحمرار الوجه عند الخجل واصفراره عند الخوف وتلعثم اللسان وانقباض الرجلين وارتعاد الجسم عند شدة الفزع.

وقد يعمل الفزع والحزن المفاجيء احيانا اعمال آلات الفتك والجرح... حكى السيد نعمة الله الجزائري في زهر الربيع ص ٢٤٦ قال حكى من اثق به انه رأى رجلا في قرية من قرى اصفهان صاحب ثروة وخدم لكن ظهره مكسور فسألته عن ذلك قال كان لي ولد شاب جميل الوجه شجاع القلب فزوجته امرأة وبقي معها اياما قلائل فسافرت للتجارة واخذته معي ففي بعض المنازل مشت القافلة وبقيت انا وهو، ثم بعد ساعة ركبنا دوابنا ومشينا فراينا سحبا في الحشيش فقال اني احب ان اتتبع هذا السحب لأتعرف عليه فنهيته ولم يقبل فمضيت معه نسير وراء السحب فانتهى بنا الى مغارة في الجبل واذا هي افعى قد جرت ثورا تريد ان تدخله الى الغار وقرونه تمانع دخوله باب الغار وهي تجره. وكان ولدي قويا على رمي النشاب فاخذ سهما فرماها به فخرجت الافعى من الغار ووثبت عليه واخذته من فوق فرسه وانا انظر اليه فابتلعته الى منتصف جسمه فكسرت ظهره فلما سمعت كسر ظهره انكسر ظهري انا واخذته الافعى ودخلت به الغار. واتاني اهل القافلة وحملوني وبقيت على هذا الحال.

(مرفق (١٥)) (بيع يوسف في مصر)

قال في العرائس ص ٦٩ لما قدموا بيوسف الى مصر اخذه مالك بن ذعر الى الحمام فغسل ما عليه من وعثاء السفر وغبار الطريق حتى عاد كالفضة المجلاة والبسه حلة قشيبة وثيابا ملكيه ورجل شعره ودهن راسه وسرح ذوائبه وطيبه بأذكى انواع الطيب فقام كانه فلقة قمر كما قال الشاعر:

ولي حبيب كان الله صوره ... من يانع الورد او من ذائب البرد
كانه قالب البلور افرغ في ... احشاءه الورد محمر الطباق ندى

ثم عرضه للبيع في السوق التجارية فتدافع الاغنياء على شراءه واخذوا يغالون في ثمنه حتى بلغ في سومه الاخير ان يكون ثمنه ثلاثة اعداله في الوزن من الذهب والمسك والعنبر فلم يستطع ان يشتريه بهذا الثمن الرفيع الا رئيس دائرة المالية للحكومة المصرية ويعرف عندهم باسم (العزيز) وهو اسم لكل من شغل هذا المنصب واسم العزيز الذي اشترى يوسف قطفير بن رحيب.

اما ملك مصر تلك الايام فهو الريان بن الوليد بن تروان بن راشد بن فادان من نسل سام بن نوح وقد تحنث عندما دعاه يوسف لاعتناق دين الحنفية دين ابراهيم الخليل ومات على التحنث في حياة يوسف فقام على مصر من بعده ملكا قابوس بن مصعب بن معاوية من نسل سام بن نوح ودعاه يوسف الى الحنفية فلم يجبه حتى مات.

واتى به العزيز قطفير لامرأته زليخا واسمها راعيل بنت قيطور قال تعالى (وقال الذي اشتراه من مصر) وهو العزيز قطفير .(لامراته) راعيل (اكرمي مثواه) واحسني كفالته (عسى ان ينفعنا) بوجوده معنا بخدماته ومساعداته (او نتخذه ولدا) لنا لان قطفير كان عقيما لايولد له وقيل انه كان مصابا بالعنة والبرودة الجنسية ولكن راعيل كانت صابرة عليه لكثرة امواله وسعة غناه كما يقول المؤلف في ديوانه عرائس الجنان ٣ /

اری المال يخفي كل عيب بربه ... فاربابه حتى النواقص كمل
تعظمه حتى الكلاب اذا مشى ... وكل عسير ان اتاه يذلل
وذو الفقر حتى كامل الخلق ناقص ... وافضل ما فيه لدى الناس ارذل
تنازعه حتى الذباب بوجهه ... وينسد عنه الباب ان جاء يدخل

قالوا وعزم العزيز قطفير على تبني يوسف (ع) فعمل وليمة كبيرة دعا اليها الملك الريان والوزراء والامراء واعضاء الدولة والوجهاء والاعيان ولما اكلوا وشربوا قام فيهم خطيبا وقال ايها الاخوة الاكارم انما دعوتكم اليوم لتشهدوا اني قد تبنيت

هذا الغلام الكنعاني الذي اشتريته بالامس فاشهدكم اني قد اتخذته ولدا فله علي كل حقوق البنوة ولي عليه كل حقوق الابوة يرثني وارثه ويلحقني كل ما يلحقه فقام يوسف وقال يا مولاي ان هذا لايكون فاني لست لقيطا او مجهول النسب ان ابي هو نبي الله يعقوب بن الذبيح اسحاق بن الخليل ابراهيم ولست ابتغي ابا بدلا عن ابي ولا اما بدلا عن امي وانما اختطفني اخوتي الى الصحراء فباعوني من مالك بن ذعر وباعني مالك عليك وليس لي من الامر شيء ادفع به عن حريتي ولو عارضت في ذلك قتلت اما انت يا ايها العزيز فلك علي ان أؤدي اليك حق الكفاله والرعاية والايواء والانفاق بامتثال اوامرك وصيانة عرضك وحفظ اموالك والقيام بخدمتك ولك علي ان لا اخرج من طاعتك ما استطعت الى ذلك سبيلا.

فقبل العزيز ذلك منه وكتب بينهما عليه عقد الاتفاق وشهد اهل الاجتماع عليهما بما سمعوه وباركوا للعزيز في غلامه الذي تبناه وباركوا ليوسف في محبة العزيز له واختياره ان يكون ولدا له يرث امواله بعد وفاته حيث لا وارث له.

(سابقه (١)) (الغاء الاسلام حكم التبنّي)

وكان تبني الاولاد في تلك العصور السابقة عادة مألوفه وسنة جارية فالذي لا يولد له ولد بامكانه ان يشتري عبدا يختاره في الصفات الخلقية والخلقيه ويأتي به جمعا من الناس فيعلمهم انه تبناه اي اتخذه ابنا له وثبت له بذلك النسب والوراثه.

وتجد ذلك كثيرا في قبيلة بني اميه فاميه نفسه لم يكن ابن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بل كان غلاماً روميا تبناه. وبذلك كان انتسابهم الى قريش وعبد مناف ليس اصيلا بل دخيلا كما قال امير المؤمنين (ع) في كتابه له الى معاويه بن ابي سفيان ـ ذكره الشريف الرضي في نهج البلاغة ـ واما قولك نحن بنو عبد مناف ليس لبعضنا فضل على بعض فكذلك نحن ولكن ليس امية كهاشم ولا حرب كعبد المطلب ولا ابو سفيان كأبي طالب وليس المهاجر كالطليق ولا الصريح كاللصيق.

كما ذكروا ايضا ان ابا عمر وذكوان كان عبدا من صفورية تبناه امية فنزل له عن زوجته وزوجه بها في حياته فولدت له ابا معيط.

كما ذكروا ان رسول الله (ص) تبنى زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي قبل ان يبعث وسبب ذلك ان زيدا خرجت به امه وهو ابن ثماني سنين ذات مرة فاخذتها خيل من بني القين فباعتها في سوق عكاظ فاشترى زيدا حكيم بن حزام بن خويلد بن اسد بن عبد الفرى لعمته خديجة بنت خويلد. فلما تزوجها رسول الله (ص) استوهبه منها فوهبته له.

قال الطبرسي في معنى قوله (وما جعل ادعياءكم ابناءكم) فقدمت قومه بنو عبدود الى مكه فاتوا ابا طالب وقالوا سل ابن اخيك محمد ان يسلم الينا ابننا زيدا فاما ان يعتقه او يبيعه علينا فذهب بهم ابو طالب لرسول الله (ص) وطلبوا ذلك اليه فقال (ص): ان زيدا حر ليس لاحد عليه سلطان وليذهب حيث شاء فأبى زيد ان يفارق رسول الله فقال ابوه حارثة غاضبا يا معشر قريش اشهدوا اني قد نفيته عني انه ليس ابني فلم يجد النبي الا ان يطيب قلب زيد فقال ايها الناس اشهدوا ان زيدا ابني ومن ذلك الوقت جعل الناس يدعونه زيد بن محمد.

ولما جاء الاسلام ابطل قانون التبني والغاه فنزل الله على رسوله (ص) (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه. وما جعل ازواجكم اللائي تظاهرون منهنّ امهاتكم وما جعل ادعياءكم ابناءكم ذلكم قولكم بافواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل. ادعوهم لاباءهم هو اقسط عند الله فان لم تعلموا اباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما اخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما) الاحزاب / ٥.

وتأكيدا لابطال هذه البدعة اذن الله تعالى لنبيه محمد (ص) ان يتزوج مطلقة مولاه زيد زينب بنت جحش الاسديه قال تعالى (فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعياءهم اذا قضوا منهن وطرا...) وقال اليهود والمنافقون الا ترون محمدا كيف تزوج امراة ابنه زيد وهو

ينهي الناس عن ذلك فانزل الله ردا عليهم (ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما) الاحزاب / ٤٠.

ولم يستلحق بعد ذلك احد في الاسلام ابنا ليس من ابناءه الا معاوية بن ابي سفيان فانه استلحق زياد بن عبيد فاقام شهودا بملأ ومحضر من الناس على ان اباه ابا سفيان زنى بسمية زوجة عبيد وهو الذي احبلها بزياد وبموجب هذه الشهادة استلحقه وحكم بانه زياد بن ابي سفيان وتبعه الناس فسموه زياد بن ابي سفيان وتركوا تسميته زياد بن عبيد ولم يكن ذلك الا مراغمة لرسول الله (ص) في قوله (الولد للفراش وللعاهر الحجر) اي ان المرأة ذات البعل اذا زنت فان ولدها يحكم به لصاحب الفراش زوجها الشرعي واما العاهر الزاني فلا يلحق به ولد وليس له الا الحجر يعني الرجم بالاحجار اذا ثبت عليه الزنا وهو محصن.

وما عمله معاوية من استلحاق زياد واحضاره الشهود على زنا ابيه بام زياد لهو نهاية الخسة والنذالة فمن الذي يقبل ان تقذف امه بالزنا ويدعى الى غير ابيه ومن الذي يقبل ان يقذف ابوه بالزنا ويثبت له اخا من العهر والبغاء قال الشاعر:

الا ابلــغ معــاوية بــن هنــد ... وقــل يـا شر وغـد في اللعــان
اتسخـط ان يقــال ابــوك عــف ... وتـرضى ان يقــال ابــوك زانــي

وقد الحقها المؤلف بهذه الابيات:

وشرّ منه مــن قــذفـت بعهــر ... وعــدت امــه احــدى الزواني
ولم تــك غيرة فيــه عليهــا ... كما هـي لم تسـغ بعـض امتهـان
الا اخـزاك ربـك مــن زيــاد ... فقــد حملـت عــار بني الزمـان
اتقبـل ان تسمـى ابـن البغـايـا ... وتـانـف ان تسمى ابـن الحصـان
وتدعى ابـن الزنى بـدل ابـن طهـر ... وبعـد ابن الحصان ابـن الاقان

* * * *

ويــا ابنــا سميــة هــل رضيتم ... يشــد بــامكــم حبــل الهوان

امـــا فيكـــم على ام غيـــور ... ينزه عـرضهـا مـن كــل شـــاني

٭ ٭ ٭

ازوجـك يـا عبيـد عليـك هـانـت ... فـلـم تحفـــظ لها ستر الحســـان
اليس اذا قبلـــت بها بغيـــا ... تكـون بـــذاك مقطـــوع اللســـان
يكـــون المـرأ ديـــوثـــا عُتلا ... اذا في زوجـــه نـــاواه ثـــاني
اذا اعتلقـــت حليلتـــه بثـــان ... غـــدا اولى لـــه فســـخ القـــران

(مرفق (١٦)) (استلامه منصب النبوة)

ولم يزل يوسف (ع) في قصر قطفير العزيز مكرما محترما نحو عشر سنين وهو قائم بكل ما يوعز اليه من الوظائف والخدمات البيتية والاجتماعية والدينية فكان يسانده مولاه في كل ما يدعوه اليه في التجارة والبناء وتقسيم العطاء وحضور جميع المؤتمرات والندوات والمجتمعات الدنيويه والحضاريه.

وفرحت راعيل امراة العزيز بتبني يوسف حيث كان لزوجها ولد يرثه في امواله وممتلكاته ومناصبه ويخلفه في قومه بعد وفاته وان لم يكن هذا الولد منها.

ويقال ان اكيس الناس ثلاثة وهم (١ً) العزيز قطفير الذي تفرّس في يوسف الاستعداد والصلاحية لان يكون ولدا له مساندا في حياته وخلقا بعده اذا مات يقضي جميع عداته وديونه وتبعاته فقال كما حكى الله عنه (قال الذي اشتراه من مصر) وهو العزيز قطفير (لامراته) راعيل بنت قيطور (اكرمي مثواه) اي مثوى يوسف (عسى ان ينفعنا ونتخذه ولدا) يساندنا في الحياة ويخلفنا بعد الممات.

و (٢ً) صفورا بنت شعيب حين شاهدت موسى بن عمران قد فرق الرعاة عن البئر فسقى لهم اغنامهم دون ان يرفع بصره لواحدة من الفتاتين او يطمح في رؤيتها فلما عادتا بالاغنام الى الدار قالت لابيها ما حكاه الله عنها (يا ابت استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين) تفرست فيه القوة لازاحة الصخرة الكبيرة عن فم البئر والامانه لغضّه بصره عنهما فاصابت فراستها فيه حين اتفق مع

ابيها النبي شعيب على الزواج بها ورعي الاغنام.

و (٣) رسول الله (ص) حين قال يوم خيبر (لاعطين الراية غدا رجلا يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله كرارا غير فرار يفتح الله على يديه) فسلم الراية لامير المؤمنين (ع) الذي تفرس فيه ان يكون الفتح على يديه بفتح حصون اليهود والاستيلاء على اموالهم وممتلكاتهم فكان الامر كما قد رآه وتحراه.

واخذ العزيز يعد يوسف (ع) ليكون خلفا له من بعد موته في منصبه واموره الداخلية والخارجية فكان يعتني بشأنه ويهتم بتربيته وكفالته وادبه وتثقيفه وتعليمه فيحضره معه في المؤتمرات ويأمره ان يدلي برأيه في المجتمعات كما كان يصحبه معه اذا جلس وخلا مع الملك الريان.

ولما بلغ يوسف (ع) في بيت العزيز بمصر السنة الثامنة عشرة من عمره اختاره الله لحمل رسالته لاهل زمانه يدعوهم الى توحيد الله وعبادته وحده ونبذ كل معبود سواه واعتناق الحنفية وهي دين ابراهيم الخليل القائم على التوحيد وعبادة الخالق ومكارم الاخلاق ومحاسن الصفات واجتناب المحرمات من الجرائم والمآثم في المآكل والمشارب والمناكح والمعاملات والمواريث والقصاص والحدود.

(السن المناسبة للنبوة)

وبلوغ السنة الثامنة عشرة من العمر هي السن المناسبة لاستلام منصب النبوة لان فيها يتجاوز الانسان مرحلة الطيش والخرق وهي مرحلة بلوغ الحلم والمراهقه ويصل الى النضوج العقلي والتبلور الفكري ودور الرزانة والمرونة والابتعاد عن النقائص والتحلي بمكارم الاخلاق ومحاسن الصفات.

قال الطبرسي في معنى قوله (ولما بلغ اشده) الاشد من ثماني عشرة الى ثلاثين سنة عن ابن عباس (اتيناه حكما) وهو النبوة (وعلما) بما يحدث له في زمانه وما يسأل عنه. وهي السن اللتي اختارها الله ايضا لنبيه موسى بن عمران (ع) لاستلام منصب النبوة والرسالة قال تعالى (ولما بلغ اشده واستوى اتيناه حكما وعلما وكذلك تجزي المحسنين) القصص / ١٤ وذكرنا في كتابنا (العقايد الاسلامية) في

(عقيدة النبوة) ان هذه السن وهي الثامنة عشرة من العمر هي السن اللتي يختارها في جميع انبياءه لاستلام منصب النبوة الا نبينا سيد المرسلين (ص) فان الله انزل عليه النبوة لما بلغ (٣٧) سنه من عمره الشريف وابتعثه رسولاً للعالمين لما اكمل اربعين سنة قمرية.

أما السر في التفريق بين الانبياء السابقة ونبي الاسلام في تحديد سن استلام منصب الرسالة من ثماني عشرة الى اربعين سنة فيرجع الى اختلاف العصور والظروف فربما كانت عصور الانبياء السابقة تهيء لاهلها ان يبلغوا مراحل النبوغ الفكري والنضوج العقلي في سن الثامنة عشرة اما عصر نبي الاسلام فلم يكن اهله يصلون كمالهم الفكري الا اذا اكمل الرجل منهم اربعين سنة. وقد يكون السر في التفريق هو تهيئة الجو المناسب لظهور النبوة، فقد توفّر للانبياء السابقين مبكرا ولم يتوفّر لنبي الاسلام الا متأخرا.

اما ما ذكره الله في نبيه يحي بن زكريا (ع) انه تنبأ في ايام صباه بقوله تعالى (يا يحي خذ الكتاب بقوة واتيناه الحكم صبيا) مريم/١٣ فلا يعني النبوة بمعناها المعروف وانما يعني اعداده لها كما قال تعالى في عيسى المسيح (ع) (فأشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا. قال اني عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبيا) مريم/٣٠ اذ لا يعقل ان يأمر الله الناس ان يرجعوا في اخذ الاحكام الدينية الى طفل يحتاج الى من يميط القذى عن جسمه فمعنى قوله (جعلني) اعدني وهيأني لان اكون (نبيا) في المستقبل وانما انطقه الله في يوم ولادته ليكف السنة الناس عن المس بكرامة امه بظنونهم السيئة فيها.

وأدراك النضوج العقلي والنبوغ الفكري في سن الاربعين هو المتعارف والمتسالم عليه عند جميع الناس وعند علماء الطب والتشريح ايضا في القديم والحديث. قال تعالى (ووصينا الانسان بوالديه احسانا حملته امه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة قال رب اوزعني ان اشكر نعمتك..) الاحقاف/١٥ قال الطبرسي في معنى قوله (حتى اذا بلغ

اشده..) قيل هو اربعون سنة وذلك وقت انزال الوحي على الانبياء ولذلك فسره به فقال (..وبلغ اربعين سنة) فيكون هذا بيانا لزمان الاشد واراد بذلك ان يكمل له رايه ويجتمع عليه عقله عند الاربعين سنة.

(قيامه بأداء رسالته)

وقام يوسف صلوات الله عليه من ذلك الوقت بتبليغ رسالة الله اللتي اختاره لحملها فكان اول من بلغه رسالة الله العزيز قطفير وامرأته راعيل دعاهما الى اعتناق دين جده ابراهيم الخليل (الحنفية) القائمة على اعتقاد التوحيد والبعث وعبادة الخالق في تطبيق وامتثال اوامره واجتناب نواهيه فاستجابا اليه.

ثم عمم دعوته على الناس اجمعين فكان يدعو كل من لقيه من اهل مصر في طريق او مجتمع او نادي او مورد من موارد الماء. لان العزيز كان يأخذه معه لحضور المجتمعات والنوادي والحفلات حتى استجاب اليه خلق كثير لفصاحة لسانه وعذوبة لفظه ودعوته لهم بالحكمة والموعظة الحسنة.

اما السيدة راعيل فانها لم تعتبره الا عبدا خادما لها ولزوجها مسخرا حسب شهواتها لا يخرج عن طاعتها في اي امر تريده منه. وهذا التفكير هو الذي اوقعها في الخطأ حين راودته عن نفسه فحسبت ان هذا من جملة الامور اللتي يجب عليه ان يطيعها وينقاد لها في تحقيقها.

وما علمت ان منصب النبوة وحمل الرسالة السماوية لا يجعله الله تعالى لعبد من عباده الا بعد ان يجمع له المؤهلات لتولي هذا المنصب الرفيع وهي (١) طهارة المولد وصحة النسب و (٣) الكمال الانساني والنزاهة عن النقائص والعيوب الجسمية والروحية في الخلق والاخلاق و (٣) العصمة في الافعال والاقوال عن الاخطاء والذنوب و (٤) العلم الالهامي وان يكون اعلم اهل زمانه و (٥) القدرة على خلق المعجزات وخوارق العادات و (٦) السن المناسبة لاستلام هذا المنصب و (٧) حيازة بعض الدلائل والعلامات على صدق نبوته كالسماع حال اليقظة والنوم والرؤية من الخلف والامام وظهور اثر قدمه في الصخرة وعدم ظهوره في

الرمال.

ولا بد ان يكون يوسف قد جمع هذه المؤهلات كلها عندما بلغ الثامنة عشرة من عمره فابتداه نزول الوحي عليه.

وقد افضنا الحديث حول هذه المؤهلات مفصلا وذكرنا الادلة على ثبوتها ووجوبها في الانبياء في كتابنا (العقائد الاسلامية) في جزء (عقيدة النبوة) وليس هذا المختصر الوجيز موضعا للافاضة فيها.

كما ذكرنا هناك ادلة العقل والنقل غلى وجوب وثبوت عصمة الانبياء وعرضنا تأويل كل الآيات التي يتوهم منها صدور الخطيئة والعصية من بعضهم بما فيهم هذا النبي الكريم يوسف بن يعقوب (ع) فيما يتعلق بقوله تعالى (ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه) وسوف نشير لها هنا في موضعها ان شاء الله.

(مرفق (١٧) (وراودته اللتي هو في بيتها)

يعتبر حديث مراودة راعيل ليوسف (ع) هو من اهم احاديث هذه السيرة اليوسفية بل هو اكبر عنوان في فصولها ومن اجله ولسببه الفت الكتب الكثيرة في قصة يوسف لشدة شغف الناس بقراءتها ومحبتهم لسماعها.

ومن اجل ذلك ورد الحديث عن اهل البيت (ع) بمنع النساء عن تعلم هذه السورة الكريمة فقال (ع) لا تعلموهن سورة يوسف وعلموهن سورة النور ولا تقرأوهن اشعار عمر بن ابي ربيعة المخزومي أهـ لان في سورة يوسف واشعار ابن ابي ربيعة ثغرات فيها اثارة للغرائز الجنسية ولا سيما للشباب العزاب قد تؤدي الى انهيار العفة والتورط في الكارثة.

اما عرض هذه القصة فيستدعي ذكر سوابق

(سسابقة (١) (دوافع راعيل على الاقدام)

(السابقة الاولى) في ذكر البواعث التي دفعت السيدة راعيل على مراودة الصديق مع علمها بأن هذا امر يهبط قدرها ويضع من شأنها ويلقيها عتبة تطأها

الناس بالاقدام وتسلقها بالالسنة وتنزلها الى الحضيض فليس استسلام الحرة او السيدة الى مولاها الا نوعا من الخسة والمهانة وخلاف الشرف والعزة.

(الدافع الاول) جهلها بمقام الصديق (ع) في النبوة والعصمة من الاخطاء فهي لا تراه الا غلاما مملوكا لها تجب عليه طاعتها وامتثال امرها من اي نوع كان ذلك الامر دون ان تكون مندوحة له في الرفض او تقبل له حجة في الاعتذار. وهي فكرة صحيحة لولا انها معارضة بما دل عليه العقل والنقل ان لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

(الثاني) جمال يوسف الفتان فانه لايدع مجالا لعفة ولا موضعا لقهر الغريزة فهو اذا وعظها او زجرها قالت - من شعر المؤلف -

لسانك يدعونا الى الطهر والنقا ... وحسنك منا ينزع الدين والتقى
فعينك نحو العشق قهرا تجرنا ... ولفظك يأبى ان نحب ونعشقا
فها نحن بين الداعيين بحيرة ... بها كادت الاحشاء ان تتمزقا

(الثالث) كثرة اختلاطها به ودخوله عليها واشباع نظرها فيه فان ذلك مما يستدعي استيلاء سلطان جماله عليها وانهزام صبرها وانهيار عفتها امامه اذ لا جدال بأن لسلطان الجمال سيطرة على القلوب وهيمنة على النفوس فهذا هرون الرشيد على ما اشتهر به من الكبرياء والجبروت والقوة لم تثبت قوات عقله امام قوات الجمال وسلطان الملاحة والدلال حتى قال:

ملكن ثلاث الغانيات عناني ... وحللن من قلبي بكل مكان
عجبا تطيعني البرية كلها ... واطيعهن وهن في عصيان
ما ذاك الا ان سلطان الهوى ... وبه قوين اعز من سلطاني

واذا كان هناك مئات من النساء قد فنين في حب يوسف وهلكت بعشقه نحو ثلاثمائة بكر عذراء على اثر نظرة خاطفة او لمحة غير مقصودة فما ظنك بمن تقضي معه معظم الاوقات وتراه يخطر في منازلها والحجرات وهي تتقلب في النظر اليه في كل الحالات.

وقد اخبر القرآن الكريم ان جماعة من النساء اللائي يعذلن راعيل على هيامها بيوسف قد دعتهن الى دارها وقدمت لهن بعض الثمر يقطعن فيه ويأكلن منه اذ خطر عليهن يوسف قال عزوجل (فلما رأينه اكبرنه وقطعن ايديهن وقلن حاشى لله ما هذا بشر ان هذا الا ملك كريم) فلما رأت ما حدث على النسوة من نظرهن ليوسف نظرة خاطفة قالت - والشعر للمؤلف -:

بهرن لما رأين الشمس قد طلعت ... من وجهه والذراري لحن من فيه
فصرن يغرين في الايدي وما شعرت ... في الجرح من الم بالدم يجريه
فقلت يا نسوة العذال ذا نظر ... اودى بكن لمن بالروح افديه
فكيف حال من احتلت جوانحها ... نظراته كل حين في تثنيه
فيا صواحب راحات مقطعة ... (فذالكن الذي لمتنني فيه)

(الرابع) العزوبة، فأن زوجها العزيز حسبما ذكر المؤرخون كان مصابا بالعنة والضعف الجنسي لا ينتصب له عضو ولا تتحرك له شهوة فهي لا تجد من يطفيء سعرة شهوتها ولا من يشبع جوع جنسها ولا من يروي غلة غلمتها. وربما يكون جوع الجنس احيانا على الانسان اشد من جوعه لغذاء او طعام. وانما صبرت عليه وهو بهذا النقص لوفور امواله وكثرة غناه وثروته وربما كانت لها اعذار غير هذه لم يكشف الستار عنها.

والعزوبة هي اكبر وسيلة لانهيار العفة وغلبة الغلمة وفي الحديث عن النبي (ص) قال خيار أمتي المتأهلون وشرار امتي العزاب وفي عرائس الجنان ٢/ ٢٧٥

قال المؤلف تحت عنوان:

(العزب لا تقوى له)

لا تــأمنــنّ على فتـــاة او فتى　　عـزبـاً وان يـك سيـدا وإمــامـا
مهما تــورع فهــو اذ يخلــو بـــه　　لا بـــد فيـــه ان يـــروم مـرامــا

وتحت عنوان (العزوبة دافع جبار)

ولم ار شرا كــالعـــزوبـــة للفتى　　مــراحه منهــا تعــود محارمـــا
فكـم مـؤمـن بـالقهـر نـال مــآثما　　ولولا فراق البضع كانـت مكـارمـا
فمن ممسك صـدر الفـراش يظنـه　　ترائـب بكـر فـاحتـواهـا تضـامما
ومـــن لاثم لـــوح السجــود مقبلا　　تمثلـــه خـــد الحبيبــــة نــاعما
ومن بارز في الحرب قد حسب القنـا　　قدودا وصفحـات السيـوف مبـاسما
ومـن مقـدم نحو الجريمة مكـرهــا　　فخر صريعا واحتوى الخزي نـادمـا
ومـن بــائـــت ضيفا فأصبح طاويا　　على حدث قد ابطـل الفـرض راغما
وما يصنع الصـادي اذا نــال مـوردا　　حـرامــا ايـــروى ام يموت على ظما

وفي كل بيت من هذا الشعر اشارة الى قصة من مثالب العزاب وخطاياهم ففي البيت الثالث يعني ممارسة العادة السرية بضم الفراش او الوسادة. وفي الرابع يعني المبالغة في تقبيل اللوح المتخذ من الطين للسجود عليه. وفي الخامس يعني قول عنترة بن شداد العبسي في عشيقته عبلة.

ولقد ذكـرتـك والرمـاح نـواهـل　　مني وبيض الهنـد تقطـر مـن دمـي
فـــوددت تقبيـــل السيـــوف لانها　　لمعـــت كبـــارق ثغـــرك المتبسم

وفي الخامس يعني قصة ذات النحيين وقد وقع كثير من امثالها في زماننا هذا. وفي السادس يعني قصة حدثت لضيف مغفل احتلم ليلا ايام البرد فذهب عند الفجر الى البحر واغتسل ومات. فهو حتى لو لم يمت فان غسله باطل لا تصح الصلوة به لان فرضه التيمم اذا لم يجد الماء الساخن.

وقال تحت عنوان (اخو العزوبة غريب)

ما الاغتراب سوى العزوبة للفتى ... فاخو العزوبة في البلاد غريب
اما الذي بحذاه زوجته فذا ... متوطن ولو احتوته غبيب

وكما ان العزوبة خطر على الرجال فهي على النساء اشد خطرا واخطر اثما ففي عرائس الجنان ٢/٢٧٧ من جملة قصيدة:

فكيف حال فتاة مضها شبق ... ابطأ عليها الذي يطفيء بها شرره
لولا الحياء لالقت نفسها غرضا ... للكبش والجديَ كي يقضي بها وطره
لولا الحياء غدت شوقا لمغتلم ... يا قوم تضج طول الليل كالبقرة
لولا الحياء لجرت كل من لقيت ... من الرجال لحك البضع بالكمرة
الخود يا قوم مثل الارض ان تركت ... بغير حرث وماء ماتت الشجرة
لا ستر للخود الا زوجها وكذا ... لا ستر للزوج الا وصل مستترة
كل اذا طال عنه بعد صاحبه ... غدا فريسة من يلقى من الفجرة

وفي ص ٢٦٧ بعنوان (تعجيل زواج البنات)

عجل بتزويج البنات بمن ترى ... كفؤا لهن ففي التمهل تخسر
مهما تعففت الفتاة فانها ... لا بد يوما بالغريزة تقهر
النفس والشيطان والشهوات لا ... تدع اصطبارا للتي تتصبر

وفي قصيدة اخرى

لكن ستر البنت في تزويجها ... فالزوج للحسناء افضل صاحب
اما اذا بقيت بلا زوج غدت ... ما بين داع للفساد وجاذب
فزواجها بالنذل اهون نكبة ... من قذفها بمشيح وجه الراغب

وفي ص ٢٧٥

ارى القلب لا يسطيع صبرا اذا دنت ... له امرأة عن مسها والتناول
فلو لامست ثوبي بناعم كفها ... لحرك منه الرأس عضو التناسل

(الخامس) كثرة خلوها به وحدها في القصر فان خلو المرأة بالرجل مدعاة للوقوع في الكوارث ففي الحديث ما خلا رجل بامرأة اجنبية الا قام الشيطان - يعني دافع الغريزة - بينهما ثالثا يغري كلا بصاحبه حتى يجمع بينهما وفي المذكرات ١٥/٣٤ قال (ع) لا تكثروا الدخول على المغيبات - من غاب عنهن ازواجهن - فان الشيطان يجري من احدكم مجرى الدم وفي نقل آخر: فان الشيطان جاثم على اعتابهن ما دخل رجل عليهن الا تعلق به وذكروا ان ابليس اوصى النبي نوح بن لمك (ع) فقال اذكرني اذا خلوت بأمرأة اجنبية فما خلا رجل بامرأة الا قمت وسيطا بينهما. ومما ينسب لابي نواس انه قال:

عجبت من ابليس في كبره ... وقبح ما اضمر في نيته
تاه على آدم في سجدة ... وصار قوادا لذريته

ومما ينسب لامير المؤمنين (ع) انه قال:

لا يأمنن على النساء اخ أخاً ... ما في الرجال على النساء امين
كل الرجال وان تعفف جهده ... لا بد ان بنظرة سيخون

وفي عرائس الجنان ٢/٦٧٨ : اجتمع احد العزاب يوما بفتاة اجنبية بصالون في القطار ليس فيه غيرهما فتحيل في الاتصال بها فقال:

اني رأيتـــك في المنـــام ضجيعتي ليلا والثم ثغـــر فيـــك البـــارد
كـــل يعـــانـق خلـه وكـــأننـا نمنـــا جميعـــا في لحاف واحـــد
نمنـا وردفـــك ممســك في راحتي انزو عليـه وتحت خـدك سـاعـدي

فاستسلمت اليه وقالت :

حقـــا رأيـــت فكلما عـــاينتـــه في النــوم تحصلـه بـرغـــم الحاســد
وتبيـــت بين دمـــالجي وخلاخلي وتحل بين مـراشفـي ونـــواهـــدي
ونكـون اكـــرم عـــاشقين تلاقيـــا بعـد الفـــراق بلا مخافـــة راصـــد
لم يخلـــق الرحمن احســن منظـــرا مـن عـاشقين على فـــراش واحـــد

وذكر ابو الفرج في الاغاني ان امية بن عبد شمس زار ذات ليلة اخاه ربيعة بن عبد شمس فلم يجده في داره واستأذن امرأته نضلة بنت وائل السهمى عمة عمرو بن العاص ان يدخل الدار ينتظر خاه فأذنت له ودخل فأبطأ ربيعة وتغشى امية النعاس فألقى نفسه على الفراش والقت نضلة بنفسها في ناحية ومضى من الليل شطره ولم يقدم ربيعة فاخذ امية يتقلب على الفراش ويتظاهر بانه رأى حلما في المنام فقال:

هـل لي بـأن اصـل المسـاء بنضلـــة فتصيـــب مني مـــن اخـــى مـــا لم تـــره
فمبيتنـــا كـــل على حـــدة ضلا ل والهدى في الانس ان لا نخسره

فتظاهرت نضلة بانها نائمة وقد رأت حلما في المنام فقالت:

هل حاول المشتاق وصل قرينه   فأبى عليه فما الذي قد اخره
ان الذي تهوى لقاه بمضجع   يهوى لقاك فقم له واستخبره

فنهض امية من موضعه ووقع عليها ولم يزل معها الى الصباح.

(سابقة (٢)   (التمهيد لاستمالة قلب يوسف)

ولا بد ان هذه المراودة قد سبقتها مقدمات لاستمالة قلب يوسف (ع) كالنظر المشبع بالغرام والحس المرهف بالهيام والضم بالضم والشم وما الى ذلك ولكن يوسف (ع) كان يقاطعها عندما كانت تملي عليه بعض هذه الفصول ويوقفها بنصائحه ويزجرها بمواعظه.

اما سبب تغاضي الصديق عن راعيل واعفائه عما كانت تهم به دون ان يعلن عليها سخطه او يفر من قبضتها ويخرج من القصر بالمرة فهو انها كانت تعتبره عبدا مملوكا يحل لها اكراهه على كل ما تطلب منه ولو بطريق العنف والاغتصاب. وهو يعتبرها اماله فقد قامت له مقام الام ادخل عليها وهو في مرحلة الطفولة فكانت تقوم بكفالته وحضانته تغسل ثيابه وتعد له الحمام وتدهن رأسه وتسرح شعره وتلبسه الملابس الغالية وتهيء له الطعام الهني والفراش الوطيء فهو لا ينسى لها هذا الاحسان مهما حملها الجهل والضلال على التقصير بحقه والمس بكرامته وعفته.

اما هذه البادرة التي صدرت منها اليه فقد طلعت عليه في ادوار (الدور الاول) مكالمته بترخيم الصوت وترقيق اللفظ والتغنج والدلال وخطابه بالسحر الحلال والتصريح له بطويات الخيال.

ففي البحار ٥/١٨٤ عن دعوات الداوندي قال: مكث يوسف في منزل العزيز مع ازليخا ثمان سنين ثم احبته وراودته. فبلغنا انها مكثت سبع سنين قائمة على قدميها مقابلة له وهو مطرق الى الارض لا يرفع طرفه اليها من خشية ربه فقالت له ارفع طرفك وانظر الي قال اخشى العمى في بصري قالت ما اجمل عينيك قال:

هيا اول ساقط على خدي في قبري قالت ما اطيب ريحك قال لو شممت رائحتي بعد ثلاث من موتي لهربت مني قالت لم لا تقترب مني قال اذا اقتربت منك ابتعدت عن رحمة الله قالت فدونك فراش الحرير تنعم به قال: اخشى ان اخسر به نعيم الجنة قالت الا تخاف ان اسلمك الى المعذبين قال: لا ان معي ربي وانه لا يضيعني.

ثم جرت بينهما هذه المحاورة الشعرية وهي من نظم المؤلف:

(المحاورة الشعرية بين يوسف وراعيل)

قالت راعيل ليوسف (ع)

فقت يا يوسف الحسان الحورا — واحتويت الجمال حسنا ونورا
ما لهذا القوام يحكى قضيبا — حشي الورد قالبا بلورا
انحل الخصر فيه ردف يضاهي — قربتين امتلت شذى وعطورا

فقال يوسف:

كلما منه قد فتنت سفورا — فهو نحو الفنا يسير عبورا
كل جسم قوامه سوف يفنى — لحطام اذا غدا مقبورا
يغتدي اللحم للتراب وللدود — الحوايا وظهره مكسورا

قالت راعيل:

قد بدا وجهك المشعشع بدرا — حُوّل الشعر حوله ديجورا
كلما لاح خلت بدرا جنان — الروض صبحا قد كللته زهورا

فاجابها يوسف(ع)

ان وجهي بعد الحمام لو انسقت — اليه رايت ما فيه زورا
نزع اللحم منه فاحتال عظما — وبه احتلت الجرائم دورا

قالت راعيل:

ما الذي في الذوائب السود ابديت ... الينا اراقها ام شعورا
ام حريرا في لمسه ام طوالا ... من ليال ام من سواد ستورا

فقال يوسف:

شعر رأسي في الموت يذهب عهنا ... بعد شيب نما به كافورا
قد كساه الصديد مني خضابا ... اصفرا ريحه يقد الظهورا

قالت راعيل:

سحر عينيك قد رماني بسهم ... محرق اذ حوى كرى وفتورا
فاطف سحر الحريق عني بغنج ... فلقد عدت محرقا مسحورا

فقال يوسف:

لو رأيت يا ام عيني هاتين ... اذا نمت في الثرى مهجورا
ربما زالتا معا عن مكان ... عده الدود بيته المعمورا

قالت راعيل:

خدك الغض وردة بالندى قد ... فتحت زهرها وفاحت عطورا
او مالي تجيز انشق منها ... قبلات تهدي الحياة نشورا

فقال يوسف:

ان خدا به فتنت اديم ... ودم صاغه الشباب قشورا
وهو بعد الردى سيصبح قيحا ... نتناً منه نستعيذ نفورا

قالت راعيل:

يا حبيبي هلا تجود بان ارشف ... هذا الرضاب منك خمورا
هو خمر الحياة بل كوثر الخلد ... وشهد الصبا يفيض سرورا

فقال يوسف (ع)

ان هــذا الرحيــق بــالموت يمسي علقها اذ ينــال جسمــي دثــورا
انما طـــاب بـــالحيـــاة والا فهــو افــرازة تغــذت بثــورا

قالت راعيل:

جلّ من قـد حبـاك ثغـرا نضيدا كعقـــود الجمان نظما ونـــورا
فهـــو الدر والنجـــوم ومنـــه تحسـب اللفـظ لـؤلـؤا منثـورا

فقال يوسف

كـل حـــي بعـــد الوفـــاة سيعـي عـــن كلام ونطـقـه لـــن يحورا
حين يمسي الثغـــر الجميـــل هشيما وفصاح البيان خرســا وحــورا

قالت راعيل

اتلـع الجيـد كـالظبا قـد سبـاني مثـل ابـريـق فضـة لـن يبـورا
نحره زيـــن العقـــود وفينـــا عكسـه زانـت العقـود النحـورا

فقال يوسف:

ان جيـدا سبـاك ســوف يلاقـي في الثرى حتفـه ويــدعـو ثبـورا
ســوف في قبره يطـوق بـالصـلّ اذا ظـــل دمـــه مهـــدورا

قالت راعيل

قـد سبتني تـرائـب الصـــدراضحى حســن مــرآتها يسرّ الصـــدورا
ونهود كحقـي العـــاج تحكـــى فيـك رمـانتين وافـت بكـورا

فقال يوسف:

ان صـــدرا سبــاك فيـــه التماع سـوف ينشق في الضريح حرورا
يكسر الجوف والاضـــالـع منـــه حين يلقى الثرى عليـه صخـورا

قالت راعيل :

وذراعـــــاك مثل جمار نخل او كطلع قد شق عنه القشورا
وبه الكف والاصابع وضحا كحرير لينا وقطن وفورا

فقال لـ يوسف :

ويح كفي وساعدي حين يلقي في الثرى نكسة ويقضي دهورا
شلت اليد والمرافق بانت واحيطت دون السواعد سورا

قالت راعيل :

ويك حيرتني لما بك عيب كل عضو لديك زان ظهورا
غير اني ادعوك للانس وصلا والى الهجر انت تدعو نفورا

فقال يوسف (ع)

ليس يا ام في الجرائم انس انما الانس ان نطيع الغفورا
من اطاع الآله نال حبورا والذي قد عصاه لاقى الشرورا
وبدار البقاء نحظى سرورا وبدار الفناء نلقى غرورا

ان هذا الجمال من نعم الله علينا له نؤدي الشكورا
فاذا ما به تيسر قصدنا كان شكرا له والا كفورا
ان بالعفة الفتى يدرك الفضل ويمسى على النساء غيورا
من غض الناس عف عن عرضه عفوا ومن جار سامها ان تجورا

(سابقة (٣) (التوسل بعرض المحاسن والاموال)

(الدور الثاني) الذي توسلت به راعيل لاستمالة قلب الصديق (ع) اليها قامت تعرض عليه محاسنها وتظهر له مفاتنها تطلعت عليه في احسن زينة واجمل حلية ،فقد لبست افخر ثيابها وحليها وزينتها وسرحت شعرها و ارخت ذوائبها يلمع المسك

بمفارقها والعقود في نحرها والذهب على صدرها و الاساور على معاصمها وكشفت عن شعورها وترائبها ونهديها وقد اختضبت واكتحلت وتقرطقت وتمنطقت وتملحت

وكانت هي فتاة حسناء شابة ناعمة فاتنة ناعسة اذ لم يمر بها حمل ولا ولادة ولا رضاع وحضانة فهي غضة طرية محتفظة بنضارتها وغضارتها ورونقها وصقالها وريعان شبابها وقوة جسمها وحسن اعتدالها كما قال المؤلف

اسفرت فانجلت لنا عن محيا ... ما حسبناه غير بدر التمام
وجمال كأنه فلق الصبح ... وحسن كزهر روض الغمام
وعيون تفيض سحرا وانف ... يحرس الورد قائما كالحسام
وفم خلت ثغره لؤلؤا قد ... سك فيه العقيق مسك الختام

فلما رآها الصديق غض بصره عنها وطوى كشحه دونها فاقبلت تطوف به و تستقبله الى ان وجهه عنها وتقف امامه كلما اشاح طرفه عنها وتقول

او ما تراني مثل حبة لؤلؤ ... او غضة من يانع التفاح
هل أستطيع وقد تجاوزت المدى ... في العمر ان ابقى بغير نكاح
لا صبر للانثى اذا هي ادركت ... عن متعة تقضي لها ومراح
لا صبر عن فحل لها يقضي لها ... ما تشتهي من شهوة ولقاح

قال يا امة اما تخشين على هذه المحاسن ان تلفحها نار جهنم اذا ابرزتها لمن لا تحل له ؟ . قالت : متع بصرك بالنظر اليها وتامل في طواياها ومظاهرها قال اني اخشى على عيني ان تسمل يوم القيمة منها فما من عين اشبعت من نظر الحرام في الدنيا الا سملت بمسامير من نار يوم القيمة . انت تظهرينها لانال منها متعة ولذة وعفتي تصورها لي نارا تتلظى لا آنس فيها الا الحر والحسرة واللهيب والزفرة قال ابو فراس الحمداني

فيــا عفتي مــا لي ومــالـــك كلما		هممت بامر كـان لي منـك زاجـر
كأن الحجى والصون والعقل والتقـى		لـدي لـربـات الخدور ضرائـــر
خلـون ولكــن يعلم اللـــه وحــده		لقد كرمت نجوى وعفـت سرائـر
وبـت يظــن النــاس في ظنــونهم		وثـوبي مما يـرجـم النـاس طـاهـــر
عفــافــك غـــي انما عفـــة الفتى		اذا عـف عـن لـذاتـه وهـو قـــادر

ولما لم يمله اليها شيء من ذلك انتقلت الى الدور الثالث

(الدور الثالث) قامت تعرض عليه الاموال والذخائر اللتي عندها من عقود اللـؤلـؤ وقلادة الذهـب والاسـورة والاقـراط والحلى المصنـوعـة مـن العقبـان والمجوهرات والاحجار الكريمة من الياقوت والمرجان والزبـرجـد والزمرد الفيروزج والجوهر اللتي تقدر بملايين الجنيهات والاف الدنانير وقالت كل هذا لك اذا انت اجبتني لما طلبت اليك.

قال لها يا راعيل وما اصنع بهذه الاموال اذا سخط علي الملك الجبار وحرمني من رحمته فانتزع البركة والنمو من رزقي ان درهما واحدا من حلال خير من جبل ذهب من حرام يا راعيل ماذا اصنع بهذه الاموال في دار الفناء وما هي الا ايام قليلة وانتقل بعدها الى الثرى هل انقل هذه الاموال الى قبري او احملها الى لحدي وهل رأيت احدا من الاغنياء من فرش قبره بسجاد او مهد له فيه معاد

مـن لم يكـن يطـأ التراب بـرجلـه		يطـأ التراب بنـاعــم الخد الحســـن
ومن ارتاى بكسـا الحريـر خشـونـة		فلسـوف تنعمــه الجنــادل والحزن
ومن ارتقى عـن اكلـه مهـج الظبـا		فلسوف تأكـل منـه خضراء الدمن
وسوى النجـوم اليـه سكني مـن ابي		اغناه في جـوف الثرى عنهـا سكـن
هـذا مصيرك يـا بـــن آدم فلتعــد		نظـرا اليـه فـانـــت فيـــه مــرتهن

اين الملـوك وايـن مـن قـد عمـروا		ذهبوا وخلفهـم ستـذهـب في سنـن
لا تعلم اليـــوم الذي تـــدعـــى بـــه		فتجيب فـاجعلـه امامـك في علـن

فلرب نوم لا انتباهة بعده ولرب صبح في مساء ما اقترن
كم فارقتك من الاحبة من اخ نادمته فمضى كمن هو لم يكن
ما بين غدوته ونزعة نفسه الا كما بين المحاجر والوسن

(سابقة (٤) (عفة يوسف بين السلب والايجاب)

وحين لم تجد راعيل في هذه الادوار جدوى لبلوغ غايتها والوصول الى هدفها تحولت الى الدور الرابع دور العنف والاكراه وهو الذي ذكره القرآن في قوله ، (... وغلقت الابواب) باب القصر الداخلي والخارجي وباب الصالون وباب الديوان واهوت بنفسها عليه وامسكت منكبيه والصقت صدرها بصدره (وقالت هيت لك) اي لا مفر لك مما اردته منك (قال معاذالله) ان اجيب الى ما تدعين اليه (ان ربي) مولاي العزيز (احسن مثواي) وكفاني واكرمني وانعم علي فلن اخونه في عرضه ولا اظلمه في امراته (انه لا يفلح الظالمون) في الدنيا ولا الآخرة

(ولقد همت) ان ترمي (به) وتطرحه على الفراش ثم تلقي بنفسها عليه (وهم) ان يبطش (بها) ويستعمل الشدة والقسوة معها

هذا اذا حملنا معنى الهم على العزم على الفعل كما في قوله تعالى (اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم) وقول حناجىء البرجمي .

هممت ولم افعل وكدت وليتني تركت على عثمان تبكي حلائله

وهو الذي يحمل عليه يعني الهم المنسوب الى راعيل في قوله (ولقد همّت به ..)

اما اذا حملنا الهم على معنى خطور الشيء بالبال كما في قوله تعالى (اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا والله وليهما) وقول كعب بن زهير

فكم فيهم من فارس متوسع ومن فاعل للخير ان هم او عزم

فهو لا يمت الى خطأ او عصيان لان خطور الشيءبالبال حتى لو كان ذنبا او

اثما فهو ليس بمعصية اذ لو كان خطور الانهزام والفرار من الرحف على البال معصيته وخطيئة لما كان صاحبه ولي الله والله تعالى يقول (اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا) اي تهزما (والله وليهما) فقد ثبت بهذا ان خطور عمل العصيان على البال ليس بعصيان ولا يوجب على صاحبه اثما ولا ذنبا

اما قوله تعالى (لولا ان راى برهان ربه) فهو اما ان يكون متعلقا بكلام محذوف وتقديره: لبطش بها. كما في قوله (ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله رؤوف رحيم) تقديره (لكنتم من الهالكين) وقوله (كلا لو تعلمون علم اليقين) تقديره: (لما الهكم التكاثر وزيارة القبور عن حضور الصلوة

واما ان يحمل على تقديم وتاخير في الجملة ويكون اصلها (ولولا ان راى برهان ربه لهم بها) ويكون مفاده حينئذ انه لم يهم بشيء على الاطلاق لا على ان يبطش بها ولا على ان يفجر بها فهو مثل قولك قد كنت هلكت لولا اني تداركتك. لولا استانفنا الدعوى لحكم عليك بالاعدام فان مفاده انه لم يهلك لانك تداركته ولم يحكم باعدامه لانك استأنفت الدعوى ويكون معنى الآية انه لم يهم بها بخير ولا شر لانه راى برهان ربه

وقد اختلف المفسرون في معنى البرهان الذي رآه يوسف فمنعه ان يهم بشيء فقيل انه صنم هناك القت عليه ثوبا فقال لها لم سترت الصنم؟ قالت: حياء ان ينظر الينا قال اتستحين من صخرة صماء عمياء لا تحس ولا تشعر ولا تستحين من جبار السموات و الارض الذي هو مطلع علينا ولا تستحين من الملائكة الحفظة اللتي تكتب علينا افعالنا

وقيل انه برز اليه كف قد كتب عليها له زجر وتهديد ووعظ وتحذير عن الفحشاء والمنكر. وقيل تمثل له ابوه يعقوب (ع) عاضا على اصبعه فانتزع شهوته من اصابعه. وقيل اتاه جبرئيل فقال له يا يوسف انت مكتوب عند الله من الانبياء فكيف تعمل اعمال السفهاء وقيل غير ذلك.

وكلها بعيدة كل البعد عما تعنيه الاية فانها لا تعني بهذا البرهان الا وجود

شيء حال بينه وبين مقصوده فاصبح مكرها على العفة والامتناع واذا كان مكرها لم يكن له على امتناعه اجر او ثواب فكيف استحق المدح والثناء من الله بقوله (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين)

اذن فالصحيح في هذا البرهان الذي رآه هو انهيار اعصابه وتحول فؤاده و مشاعره فجأة من القسوة والغضب والحدة اللتي تدفعه ليبطش بها الى الميوعة والحنان والعطف واللطف بها وكأن قائلا يهمس في اذنه يقول لا تقتلها يا يوسف انها زوجتك في المستقبل وام اولادك فانشلت حركته وانقبضت يده حتى عن دفعها فلم يجد الا ان يلحق بالفرار.

وقريب من ما ذكرناه ما جاء في محاورة الامام علي الرضا (ع) مع عبد الله المأمون العباسي عندما عارضه في عصمة الانبياء بالايات اللتي يدل ظاهرها على صدور المعاصي والسيئات من بعضهم وعدّ منهم يوسف الصديق فقد قال الله في حقه (ولقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان ربه) فاذا كان معصوما كما تزعمون فكيف هم بالفاحشة ؟

فقال (ع) انه هم بضربها فان لم تنزع عن الخطيئة قتلها.. أهـلان المسلم اذا اكرهه احد على المعصية وجب عليه ان يدفع عن نفسه بكل طريق فيحل له ان يضرب المكره ويجرحه واذا لم ينزع عن غيه حل له قتله ولا اثم عليه

فقد نقل التستري في قضاء امير المؤمنين (ع) ان في عهد خلافة عمر بن الخطاب (رض) اخذ عبد قتل مولاه ليلا ليس معهما احد وادعى انه يريد ان يكرهه على ان يفعل به القبيح ودافعه عن نفسه فلم يرجع عن غيه فدفعه بيده دفعة قوية فاصطدم راسه بالجدار فاندقت عنقه ومات فاستفتى فيه امير المؤمنين (ع) فقال: يحبس العبد ثلاثة ايام ثم يكشف قبر المقتول فان وجد في قبره فالعبد كاذب ويقدم ويقتل وان فقد من قبره فالعبد صادق بانه قتله دفاعا عن نفسه فيطلق سراحه. واوقف العبد ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع كشف عن قبر المقتول فلم يجدوا الجثمان فاخبروا امير المؤمنين (ع) فقال: صدق العبد اطلقوا سراحه لقد سمعت

رسول الله (ص) يقول ما من احد مات على عمل قوم لوط الا الحق بهم بعد ثلاثة ايام من موته.

فالامام (ع) قد حكم باهدار دم المقتول لانه اراد اكراه عبده على معصية الله فوجب عليه ان يدفعه عن نفسه وكلما يقع به لا يتبع العبد به

ولكن الاقدام على القتل لا يبعد ان يكون انتقالا من خطيئة الى جريمة اكبر اثما فقد حدث للامام الصادق (ع) ان خرج مرة من العراق عائدا الى المدينة فلما كان على حدود العراق منعه الحارس ان يتجاوزها الا في النهار وكان الوقت ليلا فتوسلوا له بكل طريق ليأذن لهم فلم يأذن وكانت الفرصة مؤاتية لقتله ورميه في نهر هناك واستأذن الامام اصحابه في ذلك فلم يأذن لهم وقضى معه عامة ليله وهم يتوسلون ويتضرعون اليه حتى اذن لهم عند الفجر. فلما عبروا سألوا الامام عن سبب منعهم من قتله مع تمكنهم من ذلك وامنهم من لحوق اي تبعة او ضرر بسببه فكان جوابه (ع) لهم: ايخرج الانسان من الذل الصغير ليقع في الذل الكبير أهـ يعني ان التوسل والتضرع لهذا الحارس في السماح لهم بالعبور ذل ومهانة ولكن قتله يوقعهم في ذل اكبر يوم العرض على الله فما يعتذرون عندالله في قتل نفس محرمة بغير مبرر..

فالقول بأن يوسف (ع) هم بقتل راعيل لما همت باكراهه على الفجور بها وتفسير الآية (ولقد همت به وهم بها) بذلك ايضا خطأ لأنّه انتقال من خطيئة زنا الى جريمة قتل قد تؤدي الى قتله واعدامه. فالتفسير الاوجه والافضل للآية الكريمة هو الذي اخترناه: انها همت باكراهه على الفجور وهم بـأن يبطش بها اي يقذف بها على الارض ويقوم بضربها وتأديبها حتى يوجعها ويؤلمها الضرب وتعود الى الهداية والرشاد لكن البرهان السماوي وهو تحوله فجأة من الغيظ والحنق الى اللين والرفق والعطف الذي ادى الى انهيار الاعصاب وشل الحركة الفت نظره بأن تناولها بذلك غير مرضي ولا مقبول عند الله لسر من الاسرار الغيبية تحرى منه بأن عاقبتها الى خير.

مضافا بان الواجب في رد المنكرات ان يتحرى الناهي اهون الطرق واخفها واقربها الى السلامة والعافية واوقعها في نفس المأمور ولا يحل له ان يستعمل الشدة والصعوبة في رد المنكرات الا اذا فشلت المحاولات الاخرى قال تعالى (.. واللائي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا) النساء/ يعني اذا نشزت الزوجة فعلى الزوج ان يقوم بالمحاولة لارجاعها الى مودته وامتثال امره والانقياد لمواقعته بمراتب ثلاث (الاولى) الوعظ والارشاد بان يعظ الزوجة الناشزة بان نشوزها وخروجها عن طاعته مما يسخط الله عليها ويوجب لها العذاب في القيمة وان استسلامها وانقيادها الى الزوج حسب اوامره مما يرفع شأنها عند الله ويوجب لها الدرجات العالية في نعيم الجنة ،فان نفع هذا والا انتقل الى المرتبة الثانية وهي هجرها في المضجع بان يعرض عنها بوجهه ويوليها قفاه او يبعد فراشه عن فراشها فان ذلك مما يقمعها عن غيها ويعيدها الى رشدها،فان اهتدت وانابت والا انتقل الى المرتبة الثالثة) وهي الضرب والتأديب بيده أو بالسوط ضربا غير مبرح.

فيوسف (ع) عندما هم بضرب راعيل وتأديبها لالحاحها بالمعصية ورأى برهان ربه وهو التحول فجأة من الشدة والقسوة الى اللين واللطف استرعى ذلك انتباهه الى انه قد عمل خلاف الاولى في رد المنكرات فقد بقيت له وسيلة للخروج من هذا المأزق بدون استعمال العنف وهي ا ن يلحق بالفرار والخروج من القصر ويفعل الله في خلقه ما يشاء ولو انه ضربها وادبها فانه لم يرتكب ذنبا ولا خطأ لانه نبي والنبي له الولاية على كل افراد امته واسرته كما قال تعالى (النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم..)

ولو قال قائل كيف ساغ لكم ان تفسروا الهم المنسوب لراعيل في الآية بارادة الفاحشة والهم المنسوب ليوسف بقصد البطش بها في قوله تعالى (ولقد همت به وهم بها) وكلا الهمين يجريان في مجرى واحد وسياق واحد ومخرجا مخرجا واحدا فهو ترجيح بلا مرجح وحكم بلا مبرر فالجواب انما حملنا همّ راعيل على ارادة

القبيح للشواهد في قوله تعالى (وراودته اللتي هو في بيتها عن نفسه.. بل هي راودتني عن نفسي. فلما رأى قميصه قد من قبل قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم. قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق انا راودته عن نفسه. وحملنا همّ يوسف على ارادة الجميل للشواهد في قوله (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين. قلن حاشى لله ما علمنا عليه من سوء.. وانه لمن الصادقين. واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر..)

اما اهل التعصب والعناد والذين يجهلون مقام النبوة ويجيزون على الانبياء والاوصياء ما يجيزون من الاخطاء على سفهاء الناس فقد استغلوا هذه الآية (ولقد همت به وهم بها) ليستدلوا بها على صدور الخطيئة من يوسف فتأولوا (وهم بها) بأنه استجاب لها وقعد منها مقعد الرجل من المرأة وحلّ تكتها وفسروا البرهان الذي رآه من ربه بان اكسل عنها واسترخى عضوه عن اقتحامها لما سبق في علم الله انه سيتزوجها ولو بلغ الى الزنا بها وهي ذات بعل لحرمت عليه حرمة ابدية فلم يكن له بعد ان يتزوجها كما ذكره في الدر المنثور ونزهة المجالس والعرائس.

وليس هذا الذي قذفوا به يوسف الصديق الا واحدا من مفترياتهم على الانبياء فقد ذكروا في النبي داود بن ايشا(ع)انه قطع الصلاة وتبع الطائر فافضى به لان يطل على منزل احد رجال جيشه (اوريا) فرأى امرأته قائمة عارية تغتسل وقد ترامت ذوائب شعرها على اردافها فانهارت اعصابه وجن جنونه وكتب الى قائد جيشه ليرسل اوريا الى قلب المعركة ليقتل وينزو على امرأته التي شغف بها من بعده.

وذكروا في سيد المرسلين (ص) انه اتى يوما بيت مولاه زيد بن حارثة فأطل من شقوق الباب فرأى امرأته التي زوجه بها زينب بنت جحش قائمة في غسلها مجردة من ثيابها فالتاطت بلبه والتبست بعقله وقال - يريد ان يطلعها على ما في نفسه - (تبارك الله احسن الخالقين) ليطمعها في نفسه ويبغض اليها زوجها

وقالوا في ذكر قوله تعالى (.. وتخفي في نفسك ما الله مبديه) من شغفك بزينب والتياعك بحبها (وتخشى الناس) ان تصرح بعشقك لها (والله احق ان تخشاه) في نظرك اليها وهي عارية تغتسل وهي عليك حرام .

وقد استعرضنا كل هذه الآيات التي استغلها المتطرفون لنفي العصمة عن الانبياء وتجويز صدور الخطيئات منهم في عقيدة النبوة من كتابنا (العقائد الاسلامية) واولناها بما ورد عن اهلها - اهل بيت النبوة - في تفسيرها وصاحب البيت ادرى بالذي فيه واقمنا الادلة العقلية والنقلية على ابطال ما ارجف به المبطلون .

(مرفق (١٨) (فرار يوسف يدينه من المشاكل)

قال تعالى (واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر والفيا سيدها لدى الباب قالت ما جزاء من اراد بأهلك سوءاً الا ان يسجن او عذاب اليم قال بل هي راودتني عن نفسي ...) .

فشلت كل المحاولات والتدابير التي اتخذتها راعيل لاقناع يوسف (ع) كما ان الصديق (ع) خابت كل وسائله في ارشادها وهدايتها بالطرق السلمية ومنعته الظروف عن مقاومتها بالطرق القهرية . فلم يبق في جعبة سهامه الفكرية للتخلص من شرها الا الفرار بدينه من المشاكل الموجهة والمطلة عليه بمغادرة القصر الذي احتله الشيطان واصبح وكرا من اوكار الخيانة والانحدار .

فدفع راعيل الى الخلف وانفلت من قبضتها هاربا يلتمس الخروج من جوارها فقامت تعدو من خلفه وهو يعدو امامها (واستبقا) بالاسراع الى (الباب) الذي ينفذ لخارج القصر فلحقته عند الباب وهو خارج وامسكته من ثيابه (وقدت قميصه من دبر) وفي شق القميص من خلف ظهرت براءته مما اتهم به .

(والفيا سيدها) اي زوجها العزيز (على الباب) قادما من مقر عمله يريد الدخول لقصره وسماه سيدها لان للزوج سيادة على المرأة لامساكه حبل قيادتها لان عقدة النكاح بيده ولانه اولى بها من جميع اقاربها وله الحق الواجب عليها في

جهات شتى لذاك قال رسول الله (ص) لو جاز السجود لغير الله لامرت المرأة بالسجود لزوجها.

وعندما دخل ورأى ما هما عليه مـن المدافعـة والمحـاولـة والصيـاح والهيـاج استغرب ذلك وصاح ما هذا الشجار يا راعيل وما لك مع الفتى الكنعاني فلم تجد مخرجا مما وقعت فيه الا ان تقلب الامر رأسا على عقب (قالت ما جزاء من اراد بأهلك سوءاً الا ان يسجن او عذاب اليم) ان هذا الكنعاني هتك ستري وقام يغالبني على نفسي فدفعته عن قربي وقمت الى ضربه فانفلت مني يريد الفرار فلحقته الى الباب.

وفي هذه الآية دلالة صريحة على طهارة يوسف ونزاهته عما نسب اليه المبطلون فلو انه هم بمساورتها ورأى البرهان من ربه باكساله عنها كما فسروا به (همت به وهم بها) لما انفلت عنها وعدت من خلفه وقدت قميصه حيث ان الاكسال لا يعتبر امتناعا عن اجابتها بل هو مانع قهري حال بينهما فهي لا تتبعه بشيء لكن الآية الكريمة تصرح باستباقهما يعدوان الى الباب وانها قدت قميصه من الخلف وهذا لا يكون الا لسخطها عليه ولم تسخط الا لعدم اجابتها لما طلبت فهو اكبر شاهد على نزاهته وعفته.

كان من عزم الصديق يوسف (ع) ان يستر على راعيل ويكتم ما جرى من هفوة منها لان اولياء الله يسيرون حسب مراضي الله والله لا يرضى ان يهتك احد ستر احد وتلك هي عادة الانبياء والاولياء لا يكافئون من اساء لهم الا بالاحسان. لكن راعيل بهتته بالجريمة وقذفته بها بقولها للعزيز: (.. ما جزاء من اراد بأهلك سوءاً) اي فجورا وعهرا (الا ان يسجن) عقوبة له او تكون عقوبته (عذاب اليم) ضربا بالسياط او جلدا بالعصي فوجب عليه ان يبرىء ساحته وينزه عرضه ويثبت براءته لان البهتان على البريء اثقل من الجبال على الارض.

لذلك (قال بل هي راودتني عن نفسي) ودعتني لان افجر بها فدافعتها وقمعتها فلم تمتنع ففررت منها. فقال العزيز هذا تداعي من الطرفين ولا نقدر ان

نحكم لاحد حسب مدعاه الا باثبات فهل لك يا يوسف من شاهد على مدعاك فالتفت يوسف الى طفل صغير على يد امرأة من اسرة راعيل فقال ايها العزيز :

اتقبل شهادة هذا الطفل لو انطقه الله فان ضميره نقي وقلبه سليم وبعيد من كل عاطفة وميل او حيف؟ قال : نعم. فقال يوسف انطق ايها الطفل بقدرة الله فنطق بلسان فصيح وقال ايها العزيز ان ميزان الصدق والكذب تجده في قميص يوسف - (وشهد شاهد من اهلها) ان كان قميصه قدّ من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين).

فاستعرض العزيز يوسف ينظر الى ثيابه (فلما رأى قميصه من دبر) علم ببراءة يوسف وتيقن صدقه فنظر الى راعيل (قال انه) اي الكذب والخيانة (من كيدكن) ايتها النسوة الماكرات (ان كيدكن عظيم).

وقد القميص من دبر ليشهد على براءة يوسف هي احدى الآيات الثلاث التي ظهرت في القميص وسبق ذكرها في قوله (وجاؤوا على قميصه بدم كذب) فسلامته هناك من الشق والخرق كانت شاهدا على كذب الاخوة وشقه من الخلف هنا اصبح شاهدا على صدق يوسف اما الثالثة فتأتي في قوله (فلما جاء البشير القاه على وجهه فارتد بصيرا).

وبقي الحديث هنا عن ثلاثة امور (١) عن الاطفال الذين نطقوا في المهد و (٢) عن نظائر مكر راعيل في قصص من مكر النساء و (٣) عن ما عوض الله به يوسف عن عفته وصبره على ما لقيه من مكر راعيل ونظراءه من الاتقياء الذين عفوا عن المحرمات فعوضهم الله خيرا مما عفوا عنه

(سابقة (١)   (الاطفال الذين تكلموا في المهد)

قال الثعلبي في العرائس ص ٢٤٦ الاطفال الذين تكلموا في المهد ستة وهم عيسى بن مريم و (٢) يحيى بن زكريا و (٣) الذي شهد ليوسف بالبراءة و (٤) ابن ماشطة فرعون و (٥) صاحب الاخدود و (٦) صاحب جريج الراهب أهـ.

فاما عيسى فنطق في المهد شاهدا ببراءة امه مريم بنت عمران لما ظنوا بها

الفاحشة قال تعالى (فأشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا. قال اني عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبيا) مريم/.

واما يحي فيتأوّلون نطقه في المهد في قوله تعالى (ان الله يبشرك بيحيى مصدقا من الله وسيدا..) بانه صدق بنبوة عيسى وهو طفل في حجر امه وبعضهم يقول انه لما كان حملا في بطن امه اذا دخلت عليه اختها مريم حاملة لعيسى تحرك في بطنها حركات تبعثها على القيام اجلالا واكبارا لعيسى.

واما شاهد يوسف فهو الذي ذكره الله في قوله (وشهد شاهد من اهلها: ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين) ولكن الاية لا تدل على ان الشاهد كان طفلا كما ان الافادة التي ادلى بها وهي (ان كان قميصه...) بهذا التفصيل تبعد ان يصدر هذا من طفل صغير فلو فرض ان الله انطقّ طفلا فانما ينطق بالامور السطحية والبديهية لا الامور النظرية المتعلق ثبوت بعض منها على وجود البعض الآخر.

واما ابن ماشطة فرعون فهو ما ذكره في السيرة المحمدية في حديث معراج العجائب وهو الاسراء بالنبي من مكة الى بيت المقدس الذي حكاه الله بقوله (سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله..) فبعد ان هبط في بيت لحم فصلى طارت به البراق وجد ريحا طيبة فقال يا جبرئيل ما هذه الرائحة؟ قال هذه رائحة ماشطة بنت فرعون واولادها بينما هي تمشط بنت فرعون اذ سقط المشط من يدها فقالت بسم الله تعس فرعون فقالت ابنة فرعون اولك رب غير ابي؟ قالت نعم فاخبرت البنت اباها فدعا الماشطة وقال الك رب غيري قالت نعم ربي وربك الله وكان للمرأة ابنان وزوج فارسل اليهم وراود المرأة وزوجها ان يرجعا عن دينهما فأبيا فقال اني قاتلكما فقالت الماشطة ان لي اليك حاجة قال وما هي قالت اذا قتلتنا ان تجمع عظامنا فتدفنها كلها في مكان واحد ثم امر بنقرة من نحاس فأحميت.. ثم امر بهم فالقوا فيها واحدا واحدا حتى بلغوا اصغرهم رضيعا فيهم فقال يا اماه لا ترجعي عما

انت عليه انت على الايمان بالله فلا تتخذي من دونه الها آخر فالقيت هي واولادها في النقرة المحمية ثم جمعت عظامهم فدفنت في هذا الموضع فهذه الرائحة الطيبة منهم.

وذكره الثعلبي في العرائس ص ١٠٧ عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي (ص) وذكر ان هذه الماشطة هي امرأة حزقيل وهو مؤمن من آل فرعون في قوله تعالى (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه...) المؤمن/٢٨..

واما صاحب الاخدود فهو الملك زرعة ذونواس بن الملك تبان اسعد بن كلي كرب الحميري تولى على اليمن وما حولها حين تولى قتل ملكهم السابق المسمى (لخنيعة) العاهر الفاسق فاجتمعت عليه حمير وقبائل اليمن فكان آخر ملوك حمير وتسمى يوسف قال ابن هشام في السيرة وهو صاحب الاخدود الذي اوقع بأهل نجران عندما فشت فيهم النصرانية فدعاهم للخروج منها الى اليهودية وخيرهم بين ذلك او القتل فخذلهم اخدودا وهو حفر طويل في الارض وملأه ناراً وعرضهم عليه فكل من ابى الخروج عن النصرانية زج به في الاخدود كما حكى الله عنهم (قتل اصحاب الاخدود النار ذات الوقود..)

قال الثعلبي في العرائس ص ٢٤٦ كانت امرأة قد اسلمت فيمن اسلم ولها ثلاثة اولاد احدهم رضيع فقال لها الملك اترجعين عن دينك والا القيتك انت واولادك في النار فأبت فاخذوا ولدها الاكبر فألقي به في النار ثم اخذ الاوسط وقال ارجعي عن دينك فأبت فالقي في النار فلما تناول ابنها الرضيع همت ان ترجع عن دينها فقال لها يا اماه لا ترجعي عن دين الاسلام فانت على حق ولا بأس عليك فالقي الصبي في النار ثم القيت هي ايضا على اثره.

واما صاحب جريح الراهب ففي المذكرات ٧/٩١ عن الامتاع والمؤانسة ٢/٧٣ عن ابي ذر الغفاري قال ان جريح الراهب كان يتعبد في صومعة فاتته امه وهو قائم يصلي فصاحت به يا جريح انا امك فكلمني فقال اللهم امي او صلاتي فاختار صلاته ولم يجب امه فذهبت ثم عادت اليه ثانية وثالثة ولم يكلمها فدعت عليه

وقالت : اللهم ان هذا ابني قد عقني فلم يكلمني فلا تمته حتى تريه المومسات وكان هناك راعي ضان يأوي الى ديره فخرجت امرأة حسناء من القرية ليلة فمرت بالدير وسألت الراعي شيئا فلم يجبها حتى ينال منها فوقع عليها فحملت وولدت غلاما واتهمت به جريحا فأقبل الناس وصاحوا به فلم يجبهم فذهبوا يهدمون الصومعة ولما فرغ اليهم نزل اليهم ومسح على رأس الصبي وقال من ابوك قال ابي راعي الضان فاعتذروا اليه واعادوا ما هدموا كما كان اولا .

(سابقة (٣) (نظائر مكر راعيل من النساء)

قال تعالى (فلما رأى) العزيز حال يوسف و (قميصه قد) اي شق ومزق من دبر) اي من الخلف ظهرت له براءة يوسف (ع) وطهارته مما ادعت فيه راعيل اذ لو كانت الخيانة منه شق قميصه من الامام فالتفت لراعيل و (قال انه) اي ما تدعينه على يوسف من الخيانة فهو ليس من كيده بل (من كيدكن) ايتها النسوةِ (ان كيدكن عظيم) اي ان النساء في المكر والخداع تزيد على الرجال فما فتن مؤمن غالبا عن دينه الا من النساء ..

(زوال الجبل من كيد امرأة)

وربما زاد مكرهن على كيد الشياطين فقد قال تعالى (ان كيد الشيطان كان ضعيفا) وفي شأنهن يقول (ان كيدكن عظيم) وفي بعض التفاسير ما يشير الى ان المكر النسائي هو المكر الذي يوجب زوال الجبال عن مواضعها في قوله (وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال) ابراهيم /٤٦ ..

فقد ذكر المجلسي في البحار ١٤/ قال روى عن جعفر بن محمد (ع) انه كان في بني اسرائيل رجل صالح وكان اعبد بني اسرائيل وازهدهم وكان له مع الله معاملة حسنة وكانت له زوجة مفرطة في الحسن والجمال من اجمل اهل زمانها وقد تزوجها بكرا وكان ضنينا بها اذا خرج من عندها يقفل الباب عليها . فنظرت يوما الى شاب فهوته وهواها فعمل مفتاحا لباب دارها فكان يدخل عليها ويخرج

عنها ليلا ونهارا عندها متى شاء وزوجها لم يشعر بذلك فبقيا على ذلك زمنا طويلا .

وكان يومئذ لبني اسرائيل جبل يقسمون به ويتحاكمون اليه خارج البلد وعنده نهر جار ولا يحلف احد عنده كاذبا الا هلك .

فقال الزوج يوما لزوجته انك تغيرت علي وما ادري ما سببه . وقد وسوس قلبي علي واشتهي منك ان تحلفي لي عند الجبل انك لم تعرفي احدا غيري فقالت ويطيب قلبك اذا حلفت لك ؟ قال نعم قالت متى شئت فعلت .

فلما دخل عليها الشاب اخبرته وقالت ما يمكنني ان احلف كاذبة ولا اقول لزوجي انك معي فبهت الشاب وتحير وقال فما تصنعين قالت : بكر غدا والبس ثياب مكاري وخذ حمارا واجلس على باب المدينة فاذا خرجنا فأنا ادعوه يكتري منك الحمار فاذا اكتراه منك بادر واحملني وارفعني على الحمار حتى احلف له وانا صادقة انه ما مسني احد غيرك وغير هذا المكاري قال حبا وكرامة .

فلما اصبح زوجها قال قومي الى الجبل لتحلفي عنده قالت ما لي طاقة بالمشي قال اخرجي فان وجدت مكاريا اكتريت لك فقامت ولم تلبس لباسها فلما خرج العابد وزوجته واذا الشاب ينتظرها صاحت به يا مكاري اتكري حمارك نصف درهم الى الجبل قال: نعم ثم تقدم ورفعها على الحمار وساروا حتى وصلوا الجبل فقالت للشاب انزلني عن الحمار حتى اصعد الجبل فلما تقدم الشاب اليها القت نفسها على الارض فانكشفت عورتها فشتمت الشاب فقال والله ما لي ذنب في سقوطك هذا ثم مدت يدها الى الجبل فمسكته وحلفت له انه لم يمسّها احد ولا نظر انسان مثل نظرك الي منذ عرفتك غيرك وهذا المكاري . فاضطرب الجبل اضطرابا شديدا وزال عن مكانه وانكرت بنو اسرائيل فذلك قوله تعالى .. (..واذ كان مكرهم لتزول منه الجبال) .

(حيلة النساء ومكر الرجال)

ونظير ما حدث به سيدنا الامام الصادق (ع) من كيد النساء ما ذكرناه في كتابنا (كواكب الاشراق) ١ /٣١٣ ان رجلا دخل قرية ففتح له حانوتا وكتب على بابه (الحيلة حيلة الرجال والمكر مكر النساء) فرأته امرأة وغاظها ذلك، وسألته ان يعكس ما كتب فيجعل الحيلة بازاء النساء والمكر للرجال فلم يقبل الا بدليل.

فبعثت اليه فتاة جمله حسناء ولما شغف بها وسألها ان تقبل الزواج به قالت انا بنت امير البلاد فان شئت ان تتزوجني فاخطبني اليه. وكان لامير البلاد بنت دميمه لايرغب احد في زواجها فلما خطبها اليه ذلك الرجل اجاب وانعم وخشى انه اذا دخل بها فركها فاشترط عليه انه اذا طلقها اهدر دمه فقبل الرجل ذلك.

ولما دخل الرجل بابنة الامير لم يجدها محبوبته اللتي شغف بها فوقع في مأزق ان ابقاها لم تطب نفسه من وصلها وان فارقها طل دمه. فمرت به المرأة فراته مهموما مغموما فسألته عن حزنه وانقباضه فاعلمها انه لم يجد في بنت الامير ما كان يتحراه من تلك الفتاة التي شغف بها وادعت انها بنت الامير وان نفسه عازفة عمن تزوجها ولا يأمن على نفسه لو طلقها فقالت ان عكست ما كتبته على باب حانوتك دللتك على حيلة تتخلص بها لتعلم ان الحيلة حيلة النساء والا تركتك في هذا الشقاء والعذاب ،فأجابها لما طلبت قالت اذا حضرت مجلس الامير الليلة فاعلن للحاضرين هناك انك حلاق وستفتح صالون حلاقه. فلما فعل ذلك اسقط الامير في يده وندم على مصاهرته فلم يكن كفوا لابنته وتقدم الى اعضاء ملكه وطلب اليهم ان يسألوا الحلاق طلاق ابنته بكل ما يطلب من المال. فلم يقبل الا بمبلغ طائل من المال وطلقها.

(حيلة المرأة في حجز الديك لقرينها)

ومن اطرف ما سمعته من حيل النساء وكيدهن ان امرأة كان لها زوج وقرين وكل واحد لا يحضرها الا حين غيبة الاخر فكل منهما لا يعلم بشريكه فيها.

واتفق ان الزوج اتاها مرة بديك لتذبحه لعشاءهم ليلة العيد فلما رآه القرين رغب فيه فاعلمته المرأة انه لزوجها ولكنها ستحاول ان تجمع بينهما في اكله على ان يكون آخر من يخرج من المسجد ليلة العيد .

وفي تلك الليلة اعدت الديك لطعام العشاء ولما اتى زوجها من الصلاة قالت اني نذرت ان يشاركك في اكل الديك آخر المصلين في المسجد هذه الليلة فاذهب الى المسجد واتني بآخر من يخرج منه فعاد الزوج الى المسجد واتاها بآخر المصلين فرأته غير قرينها لان القرين حصل ما حبسه تلك الليلة عن المسجد .

فعزمت المرأة على حرمان الزوج والضيف من اكل الديك لتحجزه لقرينها فلما صبت الطعام قالت لزوجها اذهب واتنا بشيء من السمن لنضعه في الطعام فان الديك هزيل لاسمن فيه فلما خرج الزوج لاحضار السمن اتت الى الضيف وقالت ايها الضيف الكريم ما الذي دعاك لاجابة هذا الرجل لطعامه قال انه دعاني لبيته قالت والله ما دعاك لطعام وانما دعاك ليفعل بك عمل قوم لوط لانه لوطي عاهر وقد ذهب لاحضار السمن الذي يعينه على عمله فقم واخرج وانج بنفسك قبل ان يحضر فلا تقدر على منعه فنهض الضيف وخرج.

فلما اتى الزوج بالسمن صاحت به المرأة الحق الضيف الذي دعوته فانه سرق الديك وهرب به فخرج الزوج يعدو وراء الضيف ويصيح يا اخي هلم قاسمنا في ما اخذته.. ثم قال ويحك خذ نصفه خذ ثلثه والضيف يشتد في العدو وهو يعدو من خلفه ويكرر القول: خذ نصف الديك خذ ثلثه خذ صدره اعطنا رأسه والضيف يظن انه يعني عضوه التناسلي بأن يولجه فيه الى ثلثه او صدره او رأسه فقال اذا ادركتني او لحقتني فاولجه كله...

وهكذا حرمتهما من الديك واستبقته لقرينها

(المرفق الـ (١٩) (تعويض يوسف عما عف عنه)

وقد عوض الله يوسف الصديق (ع) في مقابل عفته عن الخيانة والدناءة

وتلك اللذة الوضيعة بلذات ونعم والاء كلها عز وشرف ومجد يخلد الى آخر الدهر.

لان اللذة عن قسمين (الاول) لذات جسمية وهي التي يجدها الانسان في الاكل والشرب والنوم واكبرها لذة المواقعة.

و (الثاني) لذات روحية وهي التي ينالها الانسان من العلم والالهام عندما يوفق الانسان لحل اشكال معقد او تفسير مسألة نظرية او عويصة غامضة في الحساب او الهندسة او علم الفلسفة والاختراع.

وهذه اللذة عند العلماء والحكماء والمفكرين افضل من تلك اللذة فان تلك لذة حيوانية وهذه لذة انسانية وتلك لذة فانية وهذه لذة باقية عامة النفع لكل من علمها قال بعضهم:

سهرى لتنقيح العلوم الذّ لي ... من وصل غانية وطول عناق
وتمايلي طربا لحل عويصة ... اشهى واغلى من مدامة ساقي
والذي من نقر الفتاة بدفها ... نقرى لالقي الرمل عن اوراقي
أأبيت سهران الدجى وتبيته ... نوما وتطلب بعد ذاك لحاقي

اما اللذة الروحية الانسانية الباقية التي تعطي اكلها كل حين والتي نالها يوسف (ع) عوضا عن تلك اللذة الجسمية الحيوانية التي عزف عنها هي:

(١) انتصاره على راعيل بظهور براءته وطهارته حين هنأه العزيز بهذا الانتصار فقال (يوسف اعرض عن هذا) الذي حدث لك مع هذه المرأة فقد رفع الله قدرك واعز شأنك ثم التفت لراعيل وقال اما انت فاعترفي (واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين) من ثلاث جهات (أ) المراودة الذميمه لحمله على الفجور والخيانه و (ب) مغالبته على نفسه وشق قميصه و (ج) بهته بانه هو الذي طلب الفاحشة وقذفه بما لم يفعل.

(عفة عمارة بن عوف الاشجعي)

وهو الانتصار الذي وعد الله به المتقين من عباده في قوله (من يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ امره قد جعل الله لكل شيء قدرا) الطلاق /٣ ذكر الطبرسي انها نزلت في عمارة بن عوف بن مالك الاشجعي اسره قوم من الاعراب فادخلوه عند امرأة لهم وكان شابا جميلا فدعته الى نفسها لتحله من وثاقه وتطلق سراحه قال معاذ الله ما كنت ابيع الخلاص في الاخرة من النار بخلاص في الدنيا من الاسر فمر به قوم من المسلمين فاستغاث بهم فنزلوا واطلقوه من الوثاق وحملوه معهم الى المدينة. وقد ذهب ابوه عوف الى النبي (ص)فاعلمه خبر اسر ابنه وشكى له الفاقة فقال له اتق الله واصبر واكثر من قول لا حول ولاقوة الا بالله ففعل ذلك واتي النفر بعماره الى وادي القرى فانزلوه وقالوا اننا نذهب الى خيبر فاذهب انت الى اهلك فقد أمنت فودعهم وسار الى المدينة فاصاب في طريقه خمسة اباعر قد نفرت من الرعاة المشركين فساقها وركب على واحد منها حتى بلغ بها الى دار ابيه فأناخها ودخل الدار ففرح ابوه بسلامته واخبره بالابل فسر سرورا بالغا بسلامة ابنه وغنيمة الأبل واخبر رسول الله (ص) فنزلت الاية واعلمه النبي ان ما ناله ولده لعفته عن الفجور فقد عوضه عن لذة الحرام بلذة السلامه من الاسر وغنيمة الابل.

(عفة حذيفة بن اليماني)

ونظير ذلك ما روى عن حذيفة بن اليماني انه كان جميل الصورة فركب ذات مرة الى الشام ليأتي منها بميرة لاهله ففتنت به امرأة ودعته الى بيتها لتسأله عن النبي (ص) بزعمها وتدخل في الاسلام على يديه ولما دخل الدار اغلقت عليه الابواب وتبرجت اليه وعرضت عليه نفسها وبذلت له الاموال فلم يجد الا ان يحتال للفرار فسألها عن الكنيف ولما دخله اخرج من جيبه مدية وهم ان يختعي واذا بالحايط قد انفرج له فخرج وركب راحلته وبادر الى الخروج من

الشام ان لا يقع فيما وقع من قبل فيه وكان قد ترك في دار المرأة ثيابه التجمليه بما فيها المال والنقود الذي اعده لشراء الميرة فلما قرب في مسيره من المدينة ذكر ان غرائره خاليه لم تملأ بشيء من برٍ ولاشعير. فنزل علىَ كثيب رمـل من الرمال وحملها على الناقة بقصد ان يسر الاصدقاء ويكمد الاعداء اذا نظروها مملوءة كما وعد قومه.

وبلغ داره فأناخ الراحلة ورمى بالغرائر من عليها وتركها في موضعها ودخل البيت فلم يجد امرَاته هناك فنام وما انتبه الا وامرأته عند رأسه توقظه لتناول الطعام فجلس من نومه وراى في المائدة خبزا ماراى اجود منه قال من اين لك هذا الدقيق الذي صنعت هذا الخبز منه قالت هو من الدقيق الذي في الغرائر اتيت به من الشام قال والله اني ما حملت في الغرائر الا رملا وترابا ولكن الله حوله الى ما ترين فلما ذهب للصلاة مع النبي (ص) اخبره بما حدث فقال (ص) يا حذيفة (من يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب)..

وفي نهج الفصاحة ص ١٧٧ عن النبي (ص) قال انك لا تدع شيئا اتقاء الله الا اعطاك الله خيرا منه.

(٢) الهامه علم تأويل الرؤيا وتفسير الاحلام وهي النعمة التي وعده ابوه يعقوب (ع) بها في قوله (وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث ويتم نعمته عليك...) ووعده الله بها ايضا عند ما اشتراه العزيز لخدمة راعيل قال تعالى وكذلك مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه من تاويل الاحاديث والله غالب على امره) وحمد الله عليها لما جمع الله شمله ونقل له ابويه واخوته فضمهم اليه فقال (رب قد اتيتني من الملك وعلمتني من تاويل الاحاديث...).

وقد شارك يوسف في التعويض عن الفقه بتفسير الرؤيا والاحلام الشيخ محمد بن سيرين المشهور في علم تفسير الرؤيا.

(عفة محمد بن سيرين)

فقد نقل الشيخ عباس القمي في الكنى والالقاب ٣١٣/١ قال يحكي ان محمد بن سيرين انما نال علم تاويل الرؤيا وتفسير الاحلام بفضل عفته عن الفحشاء فقد وقع له ايام شبابه مثلما حدث ليوسف (ع).

نقل انه كان ايام شبابه يمتهن بيع الاقمشة يطوف بها على القرى والارياف وكان جميلا حسن الصورة والصوت فشغفت به امراة وادخلته بيتها لان تشتري شيئا من بضاعته فاغلقت الابواب وتبرجت له ودعته الى نفسها فنهض عنها الى الباب ليخرج فقالت ـ والشعر للمؤلف ـ:

اين تمضي يا منية النفس عني ... طالما كنت ارتجيك وصالا
لم ازل في هواك اطوي الليالي ... سهرا والنهار فيك خيالا
احسب الشهد علقما في طعامي ... وأرى الماء للحميم استحالا
ولقد حان ان تروي فؤادي ... من وصال يقيه داء عضالا
ضع على مهجتي يديك عساها ... من لظى الوجد ان تخف اشتعالا
واجعل الشوق تحتنا الان فرشا ... وعلينا نيل الاماني ظلالا

فاجابها وهو معرض عنها

انا يا امي الحنون لك ابن ... فهل الأم لابنها تتمالى
انت امي وانت في الدين اختي ... هل الى الاخ اخته ان ينالا
جنبي هذه المحاسن سقما ... من مساوي الخنا وعف الدلالا
فجمال القوام يحتال قبحا ... حينما تفقد الطباع الجمالا
واذكري ما امامنا من حمام ... فيه نمضي الى القبور عجالا
واتقى الله ان تنالي فجورا ... انه مشرف علينا تعالى

وبذلت له الاموال فلم يجبها وسالها ان تأذن له بالخروج عنها فلم تأذن فعلم انه وقع في قبضتها ان سكت وقع في الاثام وان صاح اجتمع الناس واتهمته

بالاجرام فسألها ان تأذن له في دخول الكنيف فدخل وطلى جسمه وكل اعضائه بالعذرات فلما طلع قالت ويحك ما هذا الذي حدث بك قال انت السبب في ذلك انك تريدين ان اتي يوم القيامة بمثل هذا فقد قال رسول الله (ص) من زنى بامرأة مسلمة او يهودية او نصرانية حشره الله يوم القيمة انتن من الجيفة يتعوذ منه اهل المحشر حتى يامر به الى جهنم...) ومد يده ليتناولها قالت ابعد عني ابعدك الله قال لا يبعد الله الا من عصاه. ثم احتمل حقيبة البز وخرج.

ومن ذلك الوقت فتح الله له ابواب الحكمة وعلمه تأويل الرؤيا وسنذكر بعض اخباره في هذا العلم عندما نذكر رؤيا ملك مصر في قوله تعالى: (وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف...)

(مرفق (٢٠)　　　(دعوة العواذل لمشاهدة الصديق)

قال تعالى (وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا إنّا لنراها في ضلال مبين. فلما سمعت بمكرهن ارسلت اليهن واعتدت لهن متكأ وآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه وقطعن ايديهن وقلن حاشى لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم. قالت فذالكن الذي لمتنني فيه. ولقد راودته عن نفسه فاستعصم. ولئن لم يفعل ماآمره ليسجنن وليكونن من الصاغرين..).

قال المفسرون في معنى قوله تعالى (وقال نسوة) من نساء الملك وهو الريان بن الوليد وبناته ونساء الوزراء وغيرهن من النساء اللائي يسكن (في المدينة) التي يسكنها يوسف وراعيل وهي القاهرة من ارض مصر قلن: ان (امرأة العزيز) راعيل بنت قيطور عدمت الحياء وقامت (تراود فتاها) الكنعاني (عن نفسه) لئن يقع عليها وهو غلامها (قد شغفها حبا وفضلته على زوجها العزيز قطفير وهو بعد شاب جميل وسيم من الاثرياء (إنّا لنراها في ضلال مبين) وعقل سخيف.

(فلما سمعت بمكرهن) لانهن يظهرن اللوم والعتاب بخلاف ما يضمرن في انفسهن من حب يوسف وعشقه والهيام به فبعثت و (ارسلت اليهن) تدعوهن الى

تناول طعام عندها (واعتدت لهم متكأ) من الفراش الوثير واصنافا من الفاكهة التي يستدعي الاكل منها تقشيرها وازالة القشر الخشن عنها كالتفاح والسفرجل والاترج والبرتقال (واتت كل واحدة منهن سكينا) جارحة لتقشر لها شيئا تأكله. وهي في اثناء ذلك قد حجبت يوسف في ناحية من القصر واخذت تلبسه الحلل الثمينة وتقلده الحلى الغالي من العقود والمجوهرات ودهنت رأسه وسرحت شعره واعبقته بالطيب (وقالت اخرج عليهن) فخرج عليهن فجأة وهن لاهيات بتقشير الثمار (فلما رأينه اكبرنه) وغابت مشاعرهن في جماله وذهلن عما هن فيه (وقطعن ايديهن) بالسكاكين بدل الفاكهة ولم يحسسن بالم الجرح في ايديهن لغيبوبتهن في جمال يوسف فما هن الا قلوب تخفق ونفوس تشهق وعيون طائرة ومهج ساعرة وعقول حائرة. وكانت راعيل تنظر اليهن عن كثب فقالت ما هذا الذي فعلتن يا اخواتي في ايديكن؟ فتحسرن (وقلن حاشى لله ما هذا) الذي خطر بنا الان (بشرا ان هذا الا ملك كريم) بارع في الجمال خلقه الله اية للناس على قدرته في ابداع الخلق واظهار جمال لا يخطر بالبال.

فضحكت و (قالت فذالكن الذي لمتنني فيه) اذا همت في حبه وفتنت بحسنه وراودته عن نفسه نظرتن اليه نظرة عابرة وغير مقصوده فغاب عنكن الرشد والاحساس والعقل والادراك وقطعتن ايديكن من غير وعي واحساس فكيف حال من تنظر اليه في كل حين مقبلا ومدبرا وقائما وقاعدا وعينها تنقلب في محاسنه وشمائله وقد تناول هذا المعنى الشعراء فقال بعضهم:

لوائمي قطعت اكبادهن متى ... راينه في كمال الحسن والتيه
فيا صواحب اكباد مقطعة ... (فذالكن الذي لمتنني فيه)

وفي السابقه الاولى من المرفق الـ (١٧) ذكرنا قريبا ان هذا الجمال الذي سحر المواطنين من يوسف هو احد الدوافع التي بعثت راعيل على الاقدام على الجريمة:

بهرن لما رأين الشمس قد سطعت	من وجهه والذراري لحن من فيه
فصرن يغرين في الايدي وما شعرت	في الجرح من الم بالدم يجريه
فقلت يا نسوة العذال ذا نظر	اودى بكن لمن بالروح افديه
فكيف حال من احتلت جوانحها	نظراته كل حين في تثنيه
فيا صواحب راحات مقطعة	(فذالكن الذي لمتنني فيه)

(سابقة (١) (الاستدلال بالاية على فضل علي)

وقد استدل علماؤنا الامامية بالاية الكريمة على ثبوت المنقبة التي توثر عن امير المؤمنين (ع) وهي انه كان (ع) اذا استقبل القبلة لعبادة الله والصلوة له انصرف عن الدنيا وما فيها والخلق وما هم فيه فقد تقع الحوادث من حوله دون ان يشعر او يحس بشيء منها. قال ابن ابي الحديد في اول شرح النهج: وما ظنك برجل يبلغ من محافظته على ورده انه حتى ليله الهرير في صفين لما انتصف الليل فرش له نطعا بين العسكرين وقام يؤدي ورده وكانت السهام تمر على مماخيه وتقع بين يديه فلا يحس بشيء منها.

وذكر الشيخ جعفر النقدي في كتابه (الانوار العلوية) انه ربما تصيبه النبال والسهام في الحرب فاذا حان وقت الصلوة وقام يصلي اقبل ابناؤه ينزعون تلك النصال من جسمه الشريف فلا يشعر بشيء منها...

فقد ردّه بعض المعارضين بأنه (ع) ان كان يشعر ويعلم ما يقول ويفعل في صلاته فلا بد انه يحس ويشعر بانتزاع النبل من جسمه وان كان فاقد الشعور والاحساس فلا قيمة لتلك الصلوة.

والجواب: ان الاحساس على قسمين احساس بمعنى حضور العقل والفكر واحساس بمعنى ادراك اللذة والألم ولا تلازم بينهما فقد يكون حاضر العقل والفكر ولكنه لايحس بالالم واللذة ويقع هذا غالبا في ثلاث حالات للانسان.

(الحالة الاولى) حال العشق والانبهار كاللاتي قطعن ايديهن بالسكاكين فلو لم يكن لهن عقل وتفكير لما قلن (حاشى لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك

كريم).

وقد ذكر المتتبعون كثيرا من نظاير هؤلاء النسوة ممن غاب في العشق والغرام فلم يحس بمايصنع بنفسه روى السيد نعمة الله الجزائري في النور المبين ص ١٢٧: ان يهوديا كان يصلح طعاما لجارية كان مولعا بها وهي اذ ذاك مريضة مجهده فاتفق ان الملعقة سقطت من يده في القدر فاخذ يسوط القدر بيده حتى تناثر لحم يديه وهو لايشعر لجزعه على الجارية. قال وشاهدت في شيراز رجلا بيده سكين يمشي ويضرب بها على صدره واللحم يتناثر من بدنه وهو لا يحس بذلك والناس يمشون من خلفه متعجبين من فعله فسألتهم عنه فقالوا ان له محبوبا غيبوه عن نظره.

وذكر في الرياض الخزعلية ١/٤١: ان مجنون ليلى بنتَ مهدي قيس بن الملوح التقى مرة بزوجها في صبح يوم شديد البرد فجلسا على نار مضرمة يتدفآن بها فانشا المجنون يخاطب زوج ليلى معشوقته سعيد بن حنيف.

بربك هل ضممت اليك ليلى قبيل الفجر ام قبلت فاها
وهل رفت عليك قرون ليلى رفيف الاقحوانة في نداها

فقال ان كنت تقسم علي بالله فانا اقول اللهم نعم. فقبض المجنون بيديه حفنة من الجمر الملتهب ووضعها على وجهه حتى تناثر لحم يديه وخديه فانشا سعيد.

ومن عجب جنونك في فتاة تزوجها سواك ولن تراها
ايا مجنون كم تهذي بليلى كأن الله لم يخلق سواها

وقد نظمها احمد شوقي في مسرحية (مجنون ليلى) فقال عن لسانها لما راته قبض النار بيديه قالت:

اطرح النار يا فتى انت غاد على خطر
لهب النار قبس في كمك الايمن انتشر

فرمى النار من يده وقال:

وذئــــــاب ارق يـــــا ليــل مـــن اهلـــك الغير
آنســـــت بي ومـــرغـــت في يـــدي النـــاب والظفــــر

فقالت ليلى:

ويــــــح قيس تحرقـــــت راحتـــــاه ومـــــا شعــــر

فقال قيس:

انــــت اججـــــت في الحشى لاعـــج الشـــوق فـــاستعــــر
ثـــم تخشيـــــن جمـــرة تـــأكـــل الجلـــد والشعــــر

واغمي عليه فقالت ليلى:

فـــداك ابي قيس مـــاذا دهـــا ك تكلم ايـــا قيس مـــاذا تجد

فقال:

احس بعيني قـــد غـــابتـــا وســـاقـــي لا تحملان الجســـد

(الحالة الثانية) حال الحزن والالتياع فقد يدفع صاحبه الى ان يخمش وجهه وينتف شعره دون ان يحس فيه الما او يأنس اذى

كما نجد الكثير ممن تأثر بواقعة الطف وقتل العترة الطاهرة في ما يقومون به ايام عاشوراء في الاقطار الشيعية من المواكب العزائية فقد يبلغ الحزن والانفعال بالبعض منهم ان يضرب راسه بالسيف - في فرقة ضرب القامة - او يلدم ظهره بالسكاكين - في فرقة جلد الظهور - زيادة على المعتاد حتى يخر طريحا او يقع صريعا دون ان يحس بما فعل بنفسه من لدم وجراح

وذكر السيد قاسم حسن شبر النجفي في كتابه (ارشاد الخطيب) ص ٤١ : ان احد امراء الهند في بلاد (لكهنؤ) يسمى (آصف الدولة) كان يشيد مجالس العزاء على الحسين (ع) ايام عاشورا في كل سنة وفي اثناء مجالس العزاء

يستحضر تماثيل لفصول الواقعة ليزيد ذلك في تفجعهم وبكاءهم وفي ذات يوم احضر تمثالا لرؤوس القتلى وتمثالا للنساء الاسرى وكان آصف الدولة جالسا على سريره وحوله بطانته وحاشيته فلما نظروا الى تلك التماثيل المؤلمة غلبت عليهم اللوعة والحزن فاستلوا خناجرهم وبجعوا بها بطونهم وقتلوا انفسهم دون ان يحسوا الما مما فعلوه

ولا يزال الهنود الى اليوم في كل قطر ايام عشر المحرم يقيمون فيه المسيرات العزاءية ويبالغون فيها باللطم والضرب والجلد على الصدور والظهور لتأثرهم بمأساة الحسين (ع) دون ان يحسوا فيها بالم. ويضرمون لهم في بعض الاماكن نارا حامية فاذا انفصلوا بالموكب من الحسينية خطروا بذلك الاتون فوطئوا على الجمر الملتهب والنار المتوقدة بارجلهم وهم حفاة وقد استغرقوا وغابوا في الحزن والاكتئاب فلا يحسون لذلك الجمر الما حتى يخمدوه من كثرة وطئهم وتجولهم عليه

(الحالة الثالثة) حال الخوف والفزع. فكثيرا ما يفقد الانسان فيها احساسه باللذة والالم. فلقد شاهدنا في حال الخوف رجلا سمع اطلاق الرصاص على مقربة منه فانهزم وفي طريقه مر على شوك وقطع زجاج ونار مضرمة وقد سقط نعله من رجليه ولم يشعر به فمر على تلك الاشياء الجارحة و المحرقة فتجرحت وتحرقت قدماه وهو يعدو والدماء تسيل منها ولا يشعر. ولما ذهب عنه الخوف لم يطق ان يقوم على قدميه ونقل الى المستشفى.

(الحالة الرابعة) حال الغيظ والغضب والانزعاج ويقع ذلك للمحاربين فقد يدخل المحارب ساحة القتال فاذا هاج به الغضب وتوترت اعصابه لم يحس او يشعر بما يصاب به من الاصابات الجارحة فقد ذكر التاريخ ان امير المؤمنين (ع) لما برز لعمرو بن عبدود العامري يوم الخندق ضربه بالسيف على فخذه اليسرى فابانها فوقف عمرو على رجل واحدة يقاتل حتى نزفت دمه وسقط. ولما بارز الوليد بن عتبة بن ربيعة يوم بدر ضربه بالسيف على متنه فابان يده

اليمنى فتناولها الوليد بيده اليسرى وضرب بها راس امير المؤمنين فقال (ع) خلت ان السماء وقعت على الارض من شدة تلك الضربة ثم حمل السيف بيده اليسرى وقاتل ساعة ولم يشعر بالم قطع يده اليمنى، وكثير في الشجعان امثاله من من تقطع ايمانهم فيقاتلون بشمائلهم ساعة حتى تنزف دماؤهم فيقعوا صرعى وهم لا يحسون بآلامهم الى الموت

(الحالة الخامسة) حال الغيرة والحمية فكثيرا ما يقع المحارب في ساحة القتال مثخناً بالجراح فاذا غارت اعداؤه على خيامه ونسائه نسي كل الآمه ولم يحس بالم واندفع قائما بسيفه نحو الاعداء يمشي ويقع حتى يوافي حتفه وهو في مسيره لا يحس حتى بدنو اجله واقتراب منيته كما يظهر ذلك من قول صخر بن عمرو اخي الخنساء عندما تعرض احد المتطرفين بامراته وكان مطعونا بطعنة جائفة وهو طريح على الفراش فلما سمع ما يثلب في عرضه نسي الامه وهب من فراشه وتناول السيف يحاول ان يغسل ما حز في نفسه وقال

اری ام صخـر لا تمـل عيـادتـي ... وملت سليمـى مضجعـي ومكـانـي
اهـم بـأمـر العـزم لا استطيعـه ... وقـد حيـل بيـن العيـر والنـزوان
لعمري لقد نبهت من كـان نـائمـا ... واسمعـت مـن كـانـت لـه اذنـان
وللمـوت خيـر مـن حيـاة كـانهـا ... معـرس يعسوب بـراس سنـان

وقد ذكر المؤرخون في واقعة الطف ان سيدنا الحسين لما زحف الاعداء على حرمه وسمع اصوات النساء هب من غشوته ونهض والدماء تنزف من جوارحه فمشى ثلاثا وسقط وهو يقول: يا شيعة آل ابي سفيان ان لم يكن لكم دين فكونوا احرارا في دنياكم.

فتـراه طـورا يقـوم وطـورا ... يقعـد الضعـف منـه دون القيـام
ودعـاهـم الستـم عـربـا ان ... لـم تـدينـوا بشرعـة الاسلام

فاقصدوني ما دمت حيا بنفسي ولتكفوا عتاتكم عن خيامي

اما الحالة اللتي تبلغ بالعبّاد الى ان ينسوا الآمهم ولا يحسون بالم تعب ولا جراح كسيدنا امير المؤمنين (ع) الذي تقع النصال والسهام في جسمه الشريف حال الصلوة وتسل منه وهو لا يحس ولا يشعر بالم الاصابة ولا الاخراج فهي حالة جامعة بين الحب لله والخشية منه قد ازدوج فيها الامران والتحم العارضان فهو من خشية الله في حال ذهول واستغراق لا يحس بما يقع به من المؤلمات. وهو من فرط حبه لله وشوقه اليه في حال انتباه ووعي لما يأتي به في الصلوة من تلاوة ودعاء وركوع وسجود وقيام وقعود.

وليس اجتماع الحالتين في نفوس اولياء الله وقت العبادة بالشي العجيب والامر الغريب فقد تقرّر في احوال الانبياء والاوصياء اللتي خصهم الله بها انهم في حال النوم تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم فهم يسمعون في النوم كما يسمعون في اليقظة. وذكروا ذلك في صفات الذئاب فان الذئب كما قالوا

ينام باحدى مقلتيه ويتقي بأخرى الاعادي فهو يقظان نائم

وبهذا يندفع ما يورده اهل النصب على هذه المنقبة لامير المؤمنين (ع) فهم يقولون اذا كان لا يحس بالم اصابة السهام لجسمه واخراجها منه فكيف احس بالسائل الذي تصدق عليه بخاتمه في ركوعه والجواب ما ذكره ابن الجوزي

يسقي ويشرب لا تلهيه سكرته عن النديم ولا عن لذّة الكاس
أطاعه سكره حتى تمكن من فعل الصحاة فهذا اعظم الناس

وهذا الذهول والاستغراق الذي يحدث لاولياء الله حال العبادة انما يحدث في الصلوات المستحبة والاوراد النافلة اما الصلوات الواجبة والفرائض اليومية فلا يحدث لهم فيها شيء مما ذكرناه لان الفريضة لا تحتمل ما تحتمله النافلة من الامور المعفو عنها

قال تعالى (قال رب السجن احب الي مما يدعونني اليه والا تعرف عني كيدهن احب اليهن واكن من الجاهلين. فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم. ثم بدا لهم من بعدما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين)

كل نبي ووصي وامام وكل قائد مصلح يؤثر المصلحة العامة لجماهير شعبه وافراد امته على منافعه الخاصة. بل يفضل ان يشقى ليسعدوا ويسقم ليصحوا ويموت ليحيوا ويحزن ليسروا فتجد الكثير من هؤلاء القادة والمصلحين من يحتمل الرزايا والمكاره ويتكبد الالام والنوائب من الاعداء والحساد برحابة صدر ورباطة جأش كانها نعم وسراء وهي نقم وضراء فلا يدعون على من ناوأهم او اساء لهم الا بالخير والصلاح ولا يقابلونهم الا بالجميل والاحسان صبرا لتبليغ رسالة الله وجهادا في سبيله

فهذا نبي الله نوح بن لمك (ع) اقام في قومه المشركين يتلقى منهم انواع البلاء الف سنة الا خمسين عاما ولم يدع عليهم الا حين ايس من انابتهم وهدايتهم فقال (رب لا تزر على الارض من الكافرين ديارا...

وهذا خليل الله ابراهيم بن تارخ (ع) لبث في قومه ثمانين سنة يدعوهم الى توحيد الله وعبادته فلم يسمعوا لقوله ولا استجابوا لدعوته حتى احفظوه حين ائتمنوه على اصنامهم فغار عليها وحطمها وكسرها ليحتج عليهم بانها خشب واحجار لا روح ولا عقل ولا حاسة لها على الاطلاق فحكموا عليه بالاعدام حرقا بالنار فاخمدها الله من حوله وسلمه منها فصادروا امواله وحكموا عليه بالنفي والابعاد فلم يدع عليهم الا بان يهديهم الله طريق الحق والرشاد

وهذا نبي الله لوط ويونس وهود وصالح وايوب وموسى وهرون وزكريا ويحي و عيسى عليهم السلام قاسوا من اقوامهم الويلات وتجرعوا الغصص واللوعات فما حملهم ذلك على مقابلة السوء بالسوء بل قابلوا الاسواء بالاصلاح و الغواية منهم بالهداية

وهذا نبينا سيد المرسلين (ص) اصبر نفسه على احتمال الاذى والبلاء من قومه المشركين (١٣) سنة بمكة المكرمة قاسى في ضمنها انواع الشر والضر فما قر له منها قرار بليل ولا نهار حتى انتهوا معه الى الحصار فحصروه ومن تبعه من اسرته وقبيلته واتباعه واشياعه في الشعب. ثلاث سنين قاطعوهم فيه من المخالطة والزيارة والكلام والسلام والبيع والشراء والزواج والمصاهرة وكتبوا على ذلك صحيفة الصقوها بجدار الكعبة حتى لا يرجع احد من الاعضاء عن ما وقع عليه فيها فما وهن عزمه ولا عيل صبره ولا ضاق صدره بل كان يدعو الله لهم بالانقياد والهداية يقول (اللهم لا تؤاخذ قومي بما يعملون فانهم لا يعلمون وارشدهم لما يجهلون..)

ومن هنا نعرف السر في صبر يوسف الصديق (ع) على ما يلقاه من التواء راعيل وزوجها العزيز عليه وتظاهر النساء على حبه ومنافستهن في الوصول اليه والتعرف به والقرب منه والابتهاج لرؤيته والتنعم بالنظر الى صورته. فقد راى بحذاقة فكره وحصافة رايه وبعد نظره ان اختفاءه في احضان السجون واستتاره وراء جدران الزنزانات افضل من اقامته في قصر العزيز الذي اصبح بسبب وجوده فيه مسرحا للغانيات ومتحفا للفاتنات اللاتي قتلهن حبه وفتنهن جماله وكلهن حسرات ولوعات وشهيق وزفرات، هذه تريد ان تشفي غليلها منه بنظرة وتلك تحاول ان تنال منه غرة ان خطر ارتفعت لخطورة الشهقات وان جلس انصبت عليه منهن النظرات وان نطق خرست السنتهن بالزفرات.

هنالك دعا يوسف ربه (قال رب السجن احب الي مما يدعونني) هؤلاء النسوة (اليه والا تصرف عني كيدهن) اي ما يدبرنه من الوسايل وينصبن من الحبايل للاجتماع بيوسف والخلو معه (اصب اليهن) اي اقع في قبضتهن واسقط امام رغباتهن وذلك لتقاطر الدعوات منهن عليه، فهذه تدعوه ان يكلمها وتلك تسأله ان يمر بيده على صدرها واخرى تطلب ان يمر بريقه على بصرها يتظاهرن اليه بحب الاجلال والاكبار ويخفين عنه حب الهوى والغرام فهن ياتين

حسوا في ارتغاء والنبي يعتبر أباً لأمته رجالهم ونساءهم فهو يخشى ان تصبو اي تميل به الرقة الى واحدة منهن فيمر بيده على ناصيتها بحجة انها تشفى بذلك من سقامها وهي تضمر غير ما تظهر لذلك قال (والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن واكن من الجاهلين) بما في قلوبهن من غايات واهداف اذ لا يعلم ضماير الصدور ومطاوي القلوب الا الله الذي وحده (يعلم خائنه الاعين وما تخفي الصدور)

وظهر بذلك ان السر في اختيار يوسف (ع) دخول السجن هو ان الله تعالى البسه من الحسن والجمال حلة لم تكن لغيره من البشر قط فقد تناول الملاحة والصباحة والنضارة والغضارة من جميع اطرافها وكل جهاتها كما قال بعضهم:

تبارك رب الكون ابداك فتنة كغصن من البلور والورد يثمر
فما بك عيب غير انك نبعة من النور في جسم من الحسن يقطر

وما نظر اليه رجل او امراة قط الا احبه وهام بحبه حتى قيل انه مات في عشقه وحبه ثلاثمائة امرأة كانت الفتاة اذا نظرت اليه لا تقدر ان تحول نظرها عنه فاذا احتجب عنها صفق صدرها وخفق قلبها

فرأى يوسف ان بقاءه بارض مصر مرئيا مكشوفا ظاهرا وهو بهذا الجمال في نضرة الشباب ونعمة الدلال وحسن النعمة وجمال الصحة يعود مضرة على النساء والفتيات وفتنة للآنسات وسوط عذاب على الغانيات لذلك فضل ان يحتجب عنهن في غيابة السجن فترة من الوقت فمن الممكن ان يطرأ على هذا الجمال شيء من التغيير بنبات اللحية في وجهه والشعر في خده والتضخم في جسمه والغلظ في صوته اذا قضى فترة ذروة النضرة من الشباب وهي ما بين السنة الـ (١٨) من العمر والـ (٢٥) فلو خرج بعدها لم يكن له ذلك التأثير السابق على

(١) نقل المازندراني في شجرة طوبي ص ١٩: انه مات في محبته ثلاثماة وستون بكرا

قلوب الناس والبابهم فتخف حدة التوتر عليه من العاشقات وهذا هو الذي يريده ويحبه

وجاءت ارادة يوسف (ع) موافقة لارادة راعيل فقد ذكروا انها لما فشي سرها وانتشر في الناس امرها واصبح خبرها حديث كل اثنين للرجال والنساء عيل صبرهاوضاقذرعهافقالت لزوجها العزيز ان هذا الفتى الكنعاني قد فضحني بين الناس وشهرني عند اهل مصر فشوه سمعتي واطاح رتبتي ومس بكرامتي ولن تنزع الناس عن ذكري وتقطع السنتها عن سبي وهجاءي الا ان تأمر بحبسه فربما اظهر لهم ذلك انه هو المجرم والجاني فصنت بذلك حرمتي وحفظت كرامتي فاجابها العزيز الى طلبها وطلب الى السلطات القائمة ان يحكموا بتجريم يوسف واثبات خيانته وجنايته وعقابه بالسجن ففعلوا ما طلب منهم وحكموا بسجن يوسف (ع) فادخل السجن

(مرفق (٣٢) (دخول يوسف السجن)

قال تعالى: (ثم بدا لهم من بعد ما راوا الايات) والادلة القاطعة ببراءة يوسف مما اتهم به وطهارة ضميره وعفة نفسه (ليسجننه حتى حين) اي الى وقت معين. فاستبشر به اهل السجن ورئيسهم والحرس ووقعت محبته في قلوبهم لانه ما نظر اليه انسان الا احبه وفتن بعشقه حتى قال فيه كما نقله في شجرة طوبى ١٩/١ لما نظروه (تبارك الله احسن الخالقين) وقال فيه السجان

شبيهك بدر الليل بل انت انور — وخدك ورد بل من الورد ازهر
فنصفك ياقوت وثلثك جوهر — وخمسك من در وسدسك عنبر
فما ولدت حواء مثلك فاتنا — ولا في جنان الخلد مثلك احور
فيا زينة الدنيا ويا غاية المنى — فمن ذا الذي عن حسن وجهك يصبر

وسأله مرة عما كان له مع راعيل وما اشتهر عنهما بين الناس فقال (ع)

فلست من النساء ولسن مني — ولا آتي الفجور الى الممات

وقد كانت لراعيل هناة ستـرناها فشاعت في البنات
فلا يخطر بقلب الدهر عني سوى ما شاع من حسن الصفات

قال في الشجرة واحبه اهل السجن كلهم حتى ان السجان قال له يا يوسف اني احبك كما في البحاره /١٧٨ عن علي بن ابراهيم بسنده عن الرضا ـ فقال له يوسف ناشدتك الله ان لا تحبني فانه ما من احد احبني الا نالني من حبه البلاء احبني ابي نبي الله يعقوب فحسدني عليه اخوتي حتى عزموا على قتلي ثم فرقوا بيني وبين اهلي وباعوني واقتسموا فضلي.. واحبتني خالتي حقوبن فاتهمتني بسرقة منطق جدي اسحاق لتحكم علي بالمبيت عندها ليلا والاقامة نهارا واحبتني امرأة العزيز فحكمت بسجني

قال في الشجرة ولما ابعد نبي الله يوسف عن راعيل تناولتها الوحشة في القصر وهاجت عليها هموم الشوق وكربات الغرام فكانت لا تقدر ان تمر بالمواضع اللتي كان يسكنها في القصر فكانت تطوف على تلك المواضع فتقبلها وتبكي كما قيل

اطوف على الديار ديار ليلى اقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

وكانت تبعث اليه بين حين وآخر يا حبيبي يوسف لا تحسب انك في مكانك هذا معذب بل انت والله مقرب وتبعث له في السجن بكل ما يحتاج اليه من طعام و شراب وثياب وفراش ومهاد. كما انه بين اهل السجن كان في غاية الاجلال والاكبار لانه كان يكرمهم ويقاسمهم ما يحمل اليه من طعام وغذاء وثياب وغيرها. كما انه بين حين وآخر يقوم بتبليغهم رسالة الله اللتي يحملها لعباده فيدعوهم الى التوحيد وعبادة الله وحده ونبذ كل الاوثان اللتي تعبدون فهو يخاطب السجانين مرة والمسجونين مرة اخرى بما حكى الله عنه (يا صاحبي السجن ارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار. ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها) آلهة (انتم واباؤكم ما انزل الله بها من سلطان. ان الحكم

الالله امران لا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون.) ثم يعرض عن اهل الشرك منهم ويقول (اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون. واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحاق ويعقوب ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء. ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون...)

ولم تطق راعيل فراق يوسف فكانت بين حين وآخر تاتي موضع السجن و تختفي وراء الحيطان لتسمع صوته اذا قام في محاضراته وابلاغ رسالة الله الى المسجونين ووعظهم وارشادهم. وربما كانت تصحبها في تلك الجلسات وراء حائط السجن جملة من العاشقات اللائي فتن بيوسف وشغفن بحبه.

وياتي فصل الشتاء على يوسف وهو في السجن فينقل من خارج السجن الى باطنه وقاية له عن مس البرد فيتعذر على العاشقات سماع صوت العشوق فتاتي راعيل الى السجان وتقول ـ ما ذكره في الشجرة ص ١٩ ـ هاك هذه سبعون دينارا لان تضرب حبيبي يوسف سبعين سوطا لاسمع صوته وانينه. وعلم السجان ان قصد راعيل ليس الضرب بل سماع صوت المحبوب فياتي اليه ويقول يا حبيبي يوسف انك من لدن اتيت عندنا تملك قلبي حبك والتاط بلحمي ودمي غرامك فقال (ع) لقد طلبت اليك ان لا تحبني فما احد احبني الا اتاني من حبه البلاء قال ولكني لا اطيق ان اصرف عن قلبي ما تعلق به فاعلم ايها الصديق ان رواتبا نعطاها من الدولة لا تكفي لبلوغ آمالنا وقضاء ديوننا الا ان نكملها بما نحصله من هنا وهناك من رشوة او هدية او عطاء وهذه امرأة العزيز تحب ان تسمع صوتك اذ قد احتجب عنها طويلا لما اتيح لك باطن السجن عن البرودة الجوية فقد اعطتني سبعين دينارا على ان اضربك سبعين سوطاً، قال يوسف هذا الذي نخشاه من الحب فما احبنا احد الا ونلنا منه البلاء قال لا والله ان يدي لا تسطو على جسمك بضرب او خدش ولو قطعت لكنه المال الذي لا اطيق تركه فأسألك ان لا تحرمني مما ساقه الله رزقا لاسرتي اني احب ان تساعدني على حصولها ان اطرح لك طنفسة على باب السجن فتنام عليها واضع مرفقتين عن

يمينك وشمالك فاضرب عليها فكلما ضربت المرفقة فارفع صوتك بالرقة والخشوع والانين. وبذلك نكون قد اقنعنا هذه المفتونة بحبك واستحققنا ما ندلت لنا من المال. فاجابه يوسف لما طلب ومهد له الطنفسة و المرافق فطفق بضرب المرفقة ويوسف يرفع عقيرته بالانين والشكوى حتى اكمل عليه (٦٩) سوطا فخطر له ان امرأة العزيز ربما طلبت منه الحلف واليمين على انه ضرب يوسف (ع) فكيف يمكنه ان يحلف لذلك راى ان يمر بهذا السوط الاخير قليلا على متن يوسف (ع) ولكن راعيل تنظر العملية عن كثب فلما رات السوط يمس جسم حبيبها يوسف لم تتمالك ان صرخت من صميم قلبها ارفع السوط عن حبيب قلبي فقد والله وبالله مزقت احشائي....

ونقل الثعلبي عن الضحاك بن مزاحم في قوله تعالى (..نبأنا بتأويله انا نراك من المحسنين) ان احسانه الى اهل السجن كان يداوي مريضهم ويسلي حزنهم ويعزي مصابهم. وقد وجد في السجن قوما اشتد بلاؤهم وانقطع رجاؤهم فقال لهم اصبروا وابشروا فان في هذا البلاء كفارة لذنوبكم ومغفرة لسيئاتكم ورفعا لدرجاتكم عند الله، قالوا يا فتى بارك الله فيك ما احسن خلقك ووجهك وشعرك وقدك وما اطيب ريحك وما اخف روحك وما اطهر قلبك واذكى فهمك فوالله ما رأينا احسن منك صورة ولا اجمل سيرة فمن تكون؟ قال انا يوسف بن صفي الله يعقوب بن ذبيح الله اسحاق[1] بن خليل الله ابراهيم.

فلما سمع رئيس السجن قوله وقع على قدميه وقال يا مولاي والله ما لي بك علم انك من الانبياء والا لم اجب لادخالك هنا في السجن وها انا افتح الباب اليك وان شئت الخلاص والخروج فاخرج الى حيث شئت واعتذر الى

(١) اختلف العلماء في ولد ابراهيم الذي اراد ذبحه فقوم يقولون انه اسحاق واستدلوا عليه بامور منها هذا الحديث مع ادلة اخرى ذكرناها في وقائع يوم عيد الاضحى في كتابنا جزء (٣) من فرائد المرجان

ولاة الامور بما سمعت منك قال لا بأس عليك فيما فعلت نحن اولياء الله لا نعتبر البلاء الا نوعا من الحباء ورحمة من السماء نصبر على بلاء الله ليوفينا غدا اجور الصابرين. قال فدونك منازل السجن اختر اي منزل شئت منها وخذ اليك من المسجونين من تحب صحبته وتريد جواره لك فلن تلقى مني الا ما تحب وترضى... ثم اوصى الخدم والحرس بطاعته وامتثال اوامره في كل ما يحبه ويهواه..

وذكر الثعلبي ايضا ان يوسف (ع) لما خرج من السجن دعا لاهله بدعاء يعرف الى اليوم قال (اللهم عطف عليهم قلوب الاخيار ولا تعم عنهم الاخبار) قال فهم اعلم الناس بالاخبار في كل بلد الى اليوم. وكتب على باب السجن: هذه منازل البلوى ومقابر الاحياء وتجربة الاصدقاء وشماتة الاعداء...

وسوف نفسر هذه الكلمات بشرح جميل ونعيدها في حديث الافراج عنه وخروجه من السجن ان شاء الله.

(سابقة (١) (مهالك السجون)

من المسلم عند جميع الناس ان السجن من اكبر البليات واعظم النكبات لذلك اختارته السلطات من قديم الزمان عقوبة تجري على جميع الجنايات فيطول ويقصر على حسب كبر الجناية وصغرها.

وقد نقل المؤرخون ان يوسف الصديق (ع) على ما عرف به من الصبر والاحتمال لما افرج عنه كتب على باب السجن (هذه منازل البلوى ومقابر الاحياء وتجربة الاصدقاء وشماتة الاعداء.)

ومعنى (منازل البلوى) ان الله تعالى يبتلي به عباده ليرى مدى صبرهم واحتمالهم الاذى في جنبه كما قال تعالى (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا اخباركم..) وقال علي بن الجهم بن بدر القرشي السلمي المتوفي عام ٢٤٩ هـ..

قالت حبست فقلت ليس بضائري ... حبسي واي مهند لا يغمد

او ما رأيت الليث يألف غيله ... كبرا واوباش السباع تردد

والشمس لولا انها محجوبة ... عن ناظريك لما اضاء الفرقد

والبدر يدركه السرار فتنجلي ... ايامه وكانه يتجدد

والغيث يحصره الغمام فما ترى ... الا وريقه يراح ويرعد

والنار في احجارها مخبوءة ... لا تصطلى ان لم تثرها الازند

والزاغبية لا يقيم كعوبها ... الا الثقاف وجذوة تتوقد

غير الليالي بادئات عوّد ... والمال عارية يقاد وينفد

ولكل حال معقب ولربما ... اجلى لك المكروه عما يحمد

لا يؤنسنك من تفرج كربة ... خطب رماك به الزمان الانكد

كم من عليل قد تخطاه الردى ... فنجا ومات طبيبه والعود

صبرا فان الصبر يعقب راحة ... ويد الخليفة لا تطاولها يد

والحبس ما لم تغشه لدنيئة ... شنعاء نعم المنزل المتودد

بيت يجدد للكريم كرامة ... ويزاد فيه ولا يزور ويحقد

لو لم يكن في السجن الا انه ... لا يستذلك بالحجاب الاعبد

ومعنى (مقابر الاحياء) ان الحي ليس من حقه ان يقبر ولكن المسجون حي مقبور بل ان المسجون اشد اسى وتفجعا على اهله من الميت لان الميت قد ايس اهله من رجوعه فاقتسموا امواله وتزوجت نساؤه وتكفلوا اطفاله. ولكن من حكم عليه بالسجن مدى الحياة لا يمكن ولا يجوز ان تقسم امواله ولا ان تعتد زوجته فتخرج من حباله. وان الميت قد يئس منه اهله واليأس احدى الراحتين.. اما المسجون فان اهله لا تزال في قلق من حاله وسهر وتعب من اجله فكلما قعدوا على مائدة تذكروا جوعه او شربوا ماء تنغصوا لظماه ان لا يذوق بارد الماء وكلما انسوا حرا وبردا توجعوا لحاله ان لا يكون عنده ما يقيه الحر والبرد فهم من اجله لا يهنأون بلذة ولا ينعمون بالطيبات.

والميت اذا لفظ انفاسه الاخيرة اصبح جثة هامدة لا يحس بابتعاد ولا اقتراب ولا وصل ولا جفاء قال امير المؤمنين (ع) وقد غودر في محلة الاموات رهينا وفي ضنك المضجع وحيداوقد هتكت الهوام جلدته وابلت النواهك جدته وعفت العواصف اثاره ومحا الحدثان معالمه جيران لا يتزاورون واحباب لا يتعارفون وارحام لا يتواصلون. اي الجديدين مضوا فيه كان عليهم سرمداواي فناء ذهبوا اليه كان عليهم متجددا لا توحشهم فرقة ولا تؤنسهم صلة ولا تأخذهم حمية ولا تحركهم غيرة ولا يشذبهم بعاد ولا يدنيهم اقتراب ولا يطالبون في غذاء ولا قرى ولا يشكون ظماء ولا طوى.

اما المسجون فانه لا يزال في وحشة لعزلته عن الناس وغربة لابتعاد الناس عنه وجفاء لهجر اقربائه. قال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الطيار لما ادخل السجن من الامويين يصف احوال اهل السجن.

خرجنا من الدنيا وها نحن اهلها   فلسنا من الاموات فيها ولا الاحيا
اذا جاءنا السجان يوما لحاجة   عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا
ونفرح بالرؤيا وكل حديثنا   اذا نحن اصبحنا الحديث عن الرؤيا
فان حسنت كانت بطيئا قدومها   وان قبحت لم تنتظر واتت سعيا

وقال آخر:

الا احد يدعو لاهل محلة   مقيمين في الدنيا وقد فارقوا الدنيا
كانهم لم يعرفوا غير دارهم   ولم يألفوا غير المكاره والنحيا

ومعنى (تجربة الاصدقاء) ان الصداقة لا يعرف صدقها الا في اوقات الشدة والبلاء فمن يواسيك من الاصدقاء بنفسه وقت الشدة ويساهمك باموال وقت الحاجة فهو الصديق الحق اما الذي لا يصلك الا في الرخاء ولا يجود لك الا عند الغنى فليس لصداقته اي اعتبار. ففي حال الرخاء يجد الانسان كل الناس اخوة له اصدقاء واحبة اخلاء. اما في حال الشدة والنكبة فلا يرى من اصدقائه الا في المائة خمسة او اقل قال امير المؤمنين(ع).

المرأ في زمن الاقبال كالشجرة — والناس من حولها ما دامت الثمرة
فان تساقط عنها حملها انصرفوا — وخلفوها تقاسي الريح والغبرة

ومما ينسب له ايضا والتشطير للمؤلف

ما اكثر الناس لا بل ما اقلهم — (فهم كثيرون ما لم يمنعوا رفدا
(فان منعتهم رفدا عدمتهم) — الله يعلم اني لم اقل فندا
اني لافتح عيني حين افتحها — (في حال يسري فالقى الكل لي سندا
(وفي الشدائد القى نظرتي املا) — على كثير ولكن لا ارى احدا

وقال آخر

جزا الله الشدائد كل خير — وان كانت تشرقني بريقي
وما مدحي لها حبا ولكن — تعرفني عدوي من صديقي

وقال (ع)

ولا خير في ود امرىء متملق — اذا الريح مالت مال حيث تميل
غني اذا استغنيت عن اخذ ماله — وعند احتمال الفقر عنك بخيل
وما اكثر الاخوان حين تعدهم — ولكنهم في النائبات قليل

ومعنى (شماتة الاعداء) ان السجون اذا علمت اعداؤه بسجنه فرحوا واستبشروا كما قيل:

ما السجن الا دار كل بلية — ومصيبة ورزية لا تنفد
ان زارنا فيه الصديق فموجع — يذري الدموع وقلبه يتوقد
او جاءنا فيه العدو فشامت — يبدي الملامة تارة ويفند
ناهيك ان السجن خطب لا ترى — احدا عليه من الخلائق يحسد

لان الناس ربما تحسد ميتا على الموت اذا اتفق انه مات بيوم تعطيل ونال كثرة من المشيعين وربما حسدوا على القتل اذا نال القتيل شهادة مبرورة ولكن السجن لا يحسد احد عليه.

روى المجلس في البحار ١٨٢/٥ عن الصدوق في الخصال بسنده عن محمد بن سهل البحراني يرفعه الى ابي عبد الله (ع) قال: البكاؤون خمسة ادم ويعقوب ويوسف وفاطمة بنت محمد وعلي بن الحسين (ع) فاما ادم فبكى على الجنة حتى صار في خديه امثال الاودية واما يعقوب فبكى على يوسف حتى ذهب بصره وحتى قيل له (تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرضا اوتكون من الهالكين واما يوسف فبكى على يعقوب حتى تأذى به اهل السجن فقالوا له اما ان تبكي الليل وتسكت النهار واما ان تبكي النهار وتسكت الليل فصالحهم على واحدة منهما . . .

وقد سبق ذكر هذا الحديث عند عرض بكاء يعقوب (ع) وفي هذا الحديث ملاحظات (١ً) حصر البكاءين في هؤلاء الخمسة وقد ذكر التاريخ من هو اكثر بكاء منهم كالنبي نوح بن لمك (ع) الذي نقل انه بكى بعد الطوفان اربعين سنة حتى اتاه الوحي الى متى تنوح يا نوح فاني قد غفرت لك وشعيب (ع) الذي بكى حتى ذهب بصره فرده الله عليه ثم بكى حتى ذهب فرده الله عليه وهكذا ثلاث مرات. والنبي داود بن ايشا (ع) اما في غير الانبياء فتوجد الاف البكائين.

(٢ً) عده يوسف من البكائين فلم يذكر التاريخ انه بكى على شيء مما اصابه من هذه الاحداث بل كان مثالا للصبر والاحتمال ولو فرض انه بكى على فراق ابيه عندما سار به الركب من كنعان فليس الا بكاء معتادا وكل الناس يبكون حال الوداع والفراق بل قد يبكون حال اللقاء والاجتماع مع الاحباب ويسمى بكاء الفرح.

(٣ً) لو اخبرنا ان يوسف (ع) بكى في السجن فانما هو البكاء الطبيعي لا البكاء الذي يتأذى منه اهل السجن وبكاؤه هذا لعدة امور توجب له الحزن والبكاء.

(الاول) اتهامه بالخطيئة بعد ان ثبتت براءته منها بشهادة الطفل الصغير الذي انطقه الله دليلا على صدق يوسف وانشقاق القميص من الخلف واعتراف راعيل امام النسوة بقولها (ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) فكانت الاشاعة الاولى بين

الناس ان راعيل هي الخاطئة على يوسف (ع) فلم تجد الا ان تأمر بسجنه لكي تجعل الذنب عليه (ثم بدا لهم من بعدما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين) فانقلبت الاشاعة على يوسف انه هو الخاطىء حتى بلغت اليه في السجن فكانت اشد عليه مما هو فيه لانها بعثت الناس على الشك في عدالته والريب في امانته فكانت عليه بهتانا والبهتان على البريء اثقل من الجبال على الارض قال تعالى (ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا) النساء/١١٢ وسنفيض الحديث عن هذا الموضوع عند اتهام يوسف اخاه بالسرقة، ان شاء الله.

(الثاني) اعتزاله عن الناس وانفراده فان ذلك مما يبعث على الوحشة والهم والضجر فهي تجلب السأم والقلق على صاحبها وان لم يكن لها سبب لان الاختلاط مع الناس مما يرفه عن القلب ويسري عن النفس وينفس الكرب. ولذلك ورد الحث من الشرع على عيادة المريض فانه اذا هجره الناس زاد ذلك في المه وضاعف من سقمه وعلى تسلية المصاب فانها مما تقويه على نسيان فقيده واحتمال حزنه والم مصابه فيحمله ذلك على الصبر والسلوان اما اذا لم يجد من يسليه او يعزيه تضاعف عليه الحزن واشتد وقعه في القلب فربما جلبت عليه مرضا لا يرجى برؤه كالسل والسرطان والادرة والالتهاب والجنون والطيش الذي قد يغلب على عقله فيدفعه للانتحار.

(الثالث) اختلاطه في السجن بمن لا تحمد صحبته ولا تحتمل عشرته من الفساق واهل الجرائم والسراق واللصوص وقطاع الطريق فان السجون لا تزال مأوى لهؤلاء الانذال وامثالهم وهم مما لا يقبل الشريف ان يحشر معهم فكيف يقبل بهم نبي من الانبياء. وقد جاء في الحديث ارحموا عزيز قوم ذل وغنيا افتقر وعالما ضاع بين الجهال.

كما جاء في تأويل قوله تعالى (وتفقد الطير فقال مالي لا ارى الهدهد ام كان من الغائبين.. لاعذبنه عذابا شديدا او لاذبحنه..) ان سليمان بن داود (ع) لم يقصد بعذاب الهدهد الا ان يقرنه ويحشره بغير نوع جنسه من الطير لينال من

الوحشة والنفرة ما يتألم به قلبه والم القلب اشد على الانسان من الم الجسم كما يدل عليه قول عمرو بن عبدون العامري لما عرض عليه امير المؤمنين (ع) الدخول في الاسلام فقال لنقل جبال تهامة حجرا حجرا اخف علي من قول هذه الكلمة ـ يعني قول لا اله الا الله ـ ذلك لان حمل الاحجار ثقله على الجسم والنطق بكلمات تخالف الاعتقاد ثقله على القلب والثقل على القلب اشد من الثقل على الجسم.

(الرابع) تجدد ذكرى ابويه واقاربه عند اعتزاله في السجن وتوحده لان الاعتزال والوحدة مما يثير الذكريات وتجدد هذه الذكريات من ابلغ دواعي البكاء والحنين.

(الخامس) الغربة لانها نوع من الكربة فقد يكون لاهل السجن اوقات خاصة يسمح لاقاربهم واحبتهم فيها بزيارتهم فيحملون لهم فيها الهدايا والكسوة والمسليات وهو لا يجد من يزوره في تلك الاوقات او يحمل له هدية لعدم وجود اقارب او ارحام له.

وان سببا من هذه الاسباب الخمسة لهو كاف في استدعاء البكاء والحزن والانفعال فكيف بها مجموعة كلها. اما ما حكاه البعض بان سبب بكائه هو ان الله عاتبه على توسله بالساقي حين قال له (اذكرني عند ربك) كما سيأتي قريبا فلا صحة له على الاطلاق لان توسل الانبياء بالخلق في قضاء حاجاتهم الدنيوية لا يعد خطأ ولا ذنبا فقد توسل رسول الله (ص) يوم الحديبية بعثمان بن عفان لاهل مكة لان يأذنوا له بدخول مكة للاعتمار. وتوسل امير المؤمنين (ع) بابن عباس في اقناع الخوارج كما سنذكره قريبا في موضعه.

(سابقة (٣)) (النتائج التي خرج بها يوسف من السجن)

اما النتائج التي خرج بها يوسف الصديق (ع) من هذا السجن فهي امور كلها محامد وفضايل لم يكن في حسبانه ان يحصل عليها كما قال تعالى (.. انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب) وقال الحكماء الصبر اوله امر من الصبر ولكن اخره احلى من العسل.

(الاول) هداية من في السجن من المشركين الى التوحيد وعبادة الخالق ونبذ عبادة الاوثان وهذه هي الرسالة التي نبأهم الله من اجلها وبعث الانبياء لتبليغها وحملها اما جزاؤها فلا يعلم به الا الله. قال رسول الله (ص) لامير المؤمنين (ع) يا ابا الحسن ادعهم الى شهادة لا اله الا الله محمد رسول الله ولئن يهد الله بك رجلا الى الايمان احب اليك مما طلعت عليه الشمس.

(الثاني) التفرغ لذكر الله وعبادته وهو الامر الذي كان يتمناه الامام موسى بن جعفر (ع) وادركه فاعتبره نعمة من الله وشكره عليها فكان يقول في سجنه (الهي انك تعلم اني كنت اسألك ان تفرغني لعبادتك وتعزلني عن خلقك لاخلو بك وانعم بمناجاتك فلك الحمد يا رب على استجابتك بمنحك هذه النعمة التي خصصتني بها من خلقك.

فقد اعتبر السجن نعمة خص بها لانها لم تكن الا للملائكة لان الله سلبهم شهوات الاكل والشرب والباه والنوم والكسل والفتور وطرح عنهم مسؤوليات الحياة من اعداد النسل واكتساب الرزق والانفاق واداء حقوق الناس.

(الثالث) النجاح في الامتحان فكل انسان يدعى انه شجاع صبور قنوع زاهد عفيف ولكنها دعوى لا قيمة لها الا باقامة ادلة فعلية وهذه لا تكون الا بالصبر على البلاء كبلاء السجن وضيقه وشدته وكان الصبر هو النتيجة التي ظهر بها النبي يوسف والامام موسى بن جعفر.

وجاء في الحديث: ان الله اذ حشر الناس يوم القيامة عراة جياعا عطاشى في حر الشمس ووهج الرمضاء اختص جماعة منهم على ضفة نهر ماء عذب بارد على جانبيه اشجار مثمرة فيأكلون من الثمر ويشربون من الماء ويجلسون من الظلال يتحدثون ويتفكهون فيقول الناس يا رب بم فضلت هؤلاء علينا فاثرتهم باحسانك؟ فيقول اني ما اثرتهم ولكن اثروا انفسهم كانوا يصومون وانتم تأكلون ويسهرون في قيام الليل وانتم نائمون ويجاهدون في سبيل الله وانتم قاعدون ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وانتم معرضون.

(الرابع) تجربة الاصدقاء فقد تعرف اثناء اقامته في السجن من كان صادقا في حبه بتعهده وزيارته هناك بين حين وآخر وعدم طاقته على الابتعاد عنه ومن كان كاذبا في ادعاءالمحبة بعدم وصوله اليه في السجن او سؤاله عنه ..

وللمؤلف:

قل للـــذي ودي وحبي يــدعـــي ... احفـظ حيـاءك كـي تعيش كـريما
اين الوداد وقد علمـت خصـاصتي ... ادفعـــت عني في الديــون غــريما
ايـن الوداد ومـا وجـدتـك عـدتني ... لما وقعـــــت على الفـــراش سقيما
ايــــن الوداد ومــــــاراك اتيتني ... لما حملــــت الى السجـــون مقيما
مـا كـان حبـك ويـك الا للغنـــى ... ولصحـــة وسلامـــــة تكـــريما
لو كنت في دعوى المحبـة صـادقـا ... مــا كنـــت عني في البلاء هـــزيما
لو كنت تعرف ما الصداقـة والوفـا ... مـا كنـت لي عنـد الكـروب خصيما
ان المحـب عليـه يصعـب ان يـرى ... نعما ولا يلقـــى الحبيـــــب نعيما
ان لم تصلني في الحيـــاة فــأي فــا ... ئـــــــدة اذا في القبر زرت رميما

(الخامس) انه بصبره على السجن واحتماله الارزاء فيه اصبح مثالا من امثلة المجد،الشهامة والسؤدد في الصبر والتجلد والاحتمال تضرب به الامثال وتفخر بمحاذاته في ذلك عظماء الرجال وتباهى الشعراء به الصابرين فقد كتب احدهم لصديق له:

وراء مضيـق الخوف متسـع الامــن ... واول مفـــروج بـــه اخـــــر الحزن
فـلا ييأسـن فـاللـه ملـك يـوسفـا ... خزائنـه بعـد الخلاص مـن السجـن

وذكره ابو الطيب احمد بن الحسين العليف المكي في حادثة الشريف بركات بن محمد بن بركات لما خان به اخوه حازان بن محمد فساقه في الاغلال نحو السجن في

مصر وتولى مكانه.

ذكر في سمط النجوم ٢٧٩/٤ قال:

كان من امراء مكة المكرمة الشريف بركات بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان ولد بمكة المكرمة في ربيع الاول عام ٨٦١ هـ. وامه عمرة بنت محمد بن علي بن احمد بن ثقبة بن ريشة. ولي رئاسة مكة يوم وفاة ابيه محمد بن بركات في محرم عام ٩٠٣ هـ فكان ينازعه عليها اخوه حازان فيغزوه مرة بعد اخرى وهو يهزمه حتى كان عام ٩٠٨ هـ فاتفق مع الاتراك على جلاء اخيه عن امرة الحجاز وتسليمها اليه على مبلغ مقرر من الاموال فوجهوا لمكة قائدا يسمى (تيت الرجى) في تجريده من مصر فحسب الشريف بركات انهم اتوا لنصرته على اخيه حازان وتقدم لاستقبالهم وادخلهم مكة مكرمين فخانوا به والقوا عليه القبض مع اخوته وخاصته وكبلوهم بالاغلال وفر الاخرون من اتباعهم وحج تيت الرجى والاسرى على تلك الحال ثم ولى حازان على مكة وخرج بالاسرى في الاكبال الى مصر فأنشأ ابو الطيب احمد بن الحسين العليف قصيدته التي اولها:

عـزيـز على بيـت النبـوة والملـك ... مقـام على ذل المهـانـة والفتـك
واعظم ما يلقـى الكـريم مـن الاذى ... على النفس ما يلقى من الضيم والضنك
برغم العلى والمجد والسيـف والنـدى ... وقعـت ابـا عجلان في قبضـة الترك
وعـز على العليـاء حجلـك ادهـم ... وطوقك لا من خالص التبر والسبك

وهي طويلة.. الى ان يقول فيها

ومـا هـذه الايـام الا منـازل ... فمن منـزل رحب الى منـزل ضنـك
وقد قرعتـك الحادثـات وهـل صفـا ... لك الذهب الابريز الا مـن السبـك

اما في رسول الله يوسف اسوة لمثلك محبوسا على الكذب والافك
اقام جميل الصبر في السجن برهة فآل به الصبر الجميل الى الملك

ولما دخلوا بالشريف بركات ومن معه الى مصر شفع فيه السلطان الغوري فأطلقه من الاسر ومن معه ورتب لهم النفقات واقاموا هناك مكرمين حتى عام ٩٠٩ هـ وفي اثناء ذلك قتل الاتراك الشريف حازان الذي اقاموه على مكة وذلك صبح الجمعة تاسع رجب عام ٩٠٩ هـ عند باب الكعبة في شوطه الثالث من طوافه باتفاق مع اخيه حميضة بن محمد بن بركات الذي ولوه بعده على مكة.

وفي سابع ذي الحجة تلك السنة قصد بركات مكة بجيش عظيم من بني لام واهل الشرق فمنعوا الناس من الوقوف حتى صالحهم على الاذن فيه باربعة الاف مشرقي. وهرب اخوه حميضة من مكة فدخل بركات فيها واتم الحج.

ثم مضى الى المدينة لزيارة النبي واهل البيت (ع) ثم قصد نحو المشرق فتزوج في اوائل عام ٩١١ هـ بالشريفة نجيبة بنت حمدان بن شامان الحسين فحملت منه بابنه ابي نمي محمد بن بركات وولدته تاسع ذي الحجة من تلك السنة.

وكان هذا مما تنبأ به العليف في قصيدته السابقة فانه قال بعد قوله:

اقام جميل الصبر في السجن برهة فآل به الصبر الجميل الى الملك
فعما قريب يورق العود بالمنى وتعبق ارجاء العلى منك بالمسك
وتأتي على رغم العدو مملكا وتظفر بالتقليد والتاج والزمك
ويرجع باقي العيش حلوا كما مضى وتأوي الى سامي سريرك والملك

وذكرت الشعراء يوسف الصديق (ع) ايضا في المقارنة بينه وبين الامام موسى بن جعفر (ع) فقد كانت مدة حبس كل منهما سبع سنين فقال المؤلف:

كفي يوسفا اذ يدخل السجن مدحة   بـان لـه شبهـا بموسى بـن جعفـر
ويكفـي علا ايـوب في الصبر شبهـه   بموسى فمـوسى فـاقـه في التصبر

وقال آخر

وبسجنـه كم مـن اذى قـد مسـه   لا يستطيـع لـه نبي مـرسـل
لا يـوسـف الصـديـق يحكيـه وان   جـل البلاء فخطـب مـوسى اثكـل
فليـوسـف عنـد الخروج تبـاشر   وعليـه تـاج الملـك وهـو مكلـل
وابـن النبي لـه خـروج مثلـه   لكنـه ميـت بلـوح يحمـل

وقال الشيخ كاظم الهر

ولقد حكى الصديق يوسف اذ ثـوى   في السجـن محبـوسـا ببضـع سنين
لكنما شتـان بينهما فـذا   قد عـاش ازمـانـا عقيـب سجـون
وهـوالعـزيـز بمصره في رفعـة   وقـريـر طـرف بـالهنـا مقـرون
وغـريـب بغـداد ثـوى في سجنـه   نـائـي الديـار يحل دار الهون

(سابقة (٤)   (تفسيره الاحلام لاهل السجن)

ذكروا ان في تلك الايام اتفق ان نفرا من اهل مدين دخلوا مصر بأسلاع وبضائع غالية فضرب عليهم العشارون ضريبة صاعـدة لا تحتمـل عادة. فطلب التجار من العشارين المواضعة فلم يقبلوا فرفعوا امرهم الى الملك فلم يرفق بهم بل زاد عليهم وامتنعوا ان يدفعوا ما فرض عليهم فحكم بمصادرة اموالهم فحملت الى بيت المال.. فشق ذلك عليهم وتوسلوا اليه بوزراءه وخاصته فلم يسمع منهم فتوترت اعصابهم وضغنوا على الملك وعزموا على اغتياله.

وما زالوا يسعون في ذلك حتى اتصلوا بصاحب طعام الملك وشرابه فارشوهما بالاموال على قتل الملك فأجابا الى ذلك ودفعوا لهما المال والسم فاما صاحب الطعام فانه نفذ الخطة ووضع السم في طعام الملك واما صاحب الشراب فما زالت نفسه في نزاع بين كرم الطبع وحب المال حتى غلب كرم الطبع فلم يجهل او ينس انعم الملك التي كان يتقلب فيها ويعيش بها ولم يأمن فشل الخطة فيؤدي الامر الى قتله فعدل رأيه عن الخيانة وعزم على كشف المؤامرة.

وذهب الى الملك حين احضر طعامه فاعلمه بسم الطعام واستبعد الملك ما اخبر به فألقى لقمة منه الى الكلب فاكلها فتأثر من السم ووقع لحينه فأحضر صاحب الطعام وسأله عن سم الطعام فانكر فامره ان يأكل منه قال لا اكل او يشرب الساقي من خمره فشرب الساقي من الخمر فلم يضره فقال ايها الملك ان الساقي هو الذي سم الطعام وانا لا اعلم به.

وقيل ان الذي اكتشف المؤامرة صاحب حرس الملك وان كلا من المطعم والساقي قد سم الطعام والشراب فاما الطعام فظهر اثره في موت الكلب واما الشراب فعدل الملك عن شربه لما سمع ورأى منهما وامر بهما الى السجن ليضع لجنة تحقيق في امرهما.

قال تعالى: (ودخل معه) اي مع يوسف (السجن فتيان) وهما ساقي الملك وصاحب طعامه فتعارفا معه وانسا به لجمال وجهه وكرم اخلاقه وبعد اسبوع رأى كل منهما رؤيا في منامه فاصبحا يقصانها على يوسف (قال احدهما) وهو الساقي (اني اراني اعصر خمرا) رأيت كاني دخلت بستانا فقطعت من شجرة كرم ثلاثة عناقيد وعصرتها في كأس من ذهب (وقال الآخر اني اراني احمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه) قال كاني امشي في طريق وعلى رأسي ثلاث سلال من خبز واطعمة والاطيار تنقض عليها فتخطف وتأكل منها (انبئنا بتأويله انا نراك من المحسنين) بتعليم الناس ما جهلوه.

قال الصديق (يا صاحبي السجن اما احدكما، وهو الساقي فان ثلاثة العناقيد

التي رآها في المنام انه يبقى ثلاثة ايام في السجن ثم يعاد الى وظيفته (فيسقى ربه خمرا) كما كان اولا لبراءته مما نسب اليه (واما الآخر) وهو صاحب الطعام فثلاث السلال التي رآها هي ثلاثة ايام يقضيها في السجن ثم تتحقق جريمته فيحكم عليه بالاعدام فيخرج من السجن ويقتل (فيصلب وتأكل الطير من رأسه) ولحمه فقال:

عسى الامــر الذي اصبحــت فيــه   يكــون وراءه فــرج قــريـــب

فقال يوسف (قضي الامر الذي فيه تسفتيان) لان الرؤيا على ما فسرت به فان فسرت بخير اصاب صاحبها خيرا وان فسرت بسوء نال صاحبها السوء وجاء في الحديث (الرؤيا طائر اذا قص وقع) استعار القص من القطع الى القص من القصص: اي ان الرؤيا ينبغي ان لا تقص الا على من له ذكاء وفطنة يأولها على الخير والسعادة اما اذا رأى صاحبها منها وحشة فعليه ان يستعيذ بالله منها ولا حاجة لان يقصها على احد ويسأله تفسيرها وعلى المفسر ان يختار افضل الطرق لتفسيرها.

وكان الامر للساقي والمطعم كما قصه الصدّيق في رؤياهما فقد اخرجا من السجن بعد ثلاث فاعيد الساقي الى عمله وحكم على المطعم بالاعدام فقتل وصلب واكلت الطير من رأسه ولحمه.

(سابقة (٥)   (تبرير التوسل بالخلق الى الله)

ولما دعي الرجلان الساقي والمطعم للخروج من السجن ليحضرا محاكمتهما امام العدالة قام يوسف (ع) كما هي عادته مع كل من اطلق سراحه يودعهما ويعتذر اليهما مما تأول به رؤياهما (وقال للذين ظن) ظنا قطعيا (انه ناج منهما) وهو الساقي (اذكرني عند ربك) الملك قل له ان في السجن رجلا مظلوما قد طال سجنه بغير ذنب يستوجب السجن عليه ويجب ان تنظر في شأنه. فاستجاب له الساقي ووعده بذلك.

قال المفسرون: فعاتبه الله على ذلك لتوسله بمخلوق مثله في خلاصه من كربه فبكى يوسف البكاء الطويل الذي سبق ذكره في عداد البكائين حتى تأذى اهل السجن من بكائه باعتبار ان ذلك التوسل عثرة وخطيئة صدرت منه.

وليس ذلك بصحيح مطلقا اما البكاء الطويل فلا وجود له على الاطلاق وانما ورد في حديث (البكاؤون خمسة) السابق وان سببه فراق يعقوب وقد سبق القول بانه حديث ضعيف سندا وموضوعا وقد ذكرنا انا اذا اجزنا عليه البكاء فهو البكاء الذي اعتاد الناس عروض مثله في مثل هذه الاحوال وقد ذكرنا له جملة مقتضيات وهي الاتهام بالخطيئة والعزلة عن الناس والانفراد في السجن والغربة بابتعاد اقاربه وارحامه.

واما توسله بالساقي ليذكره عند الملك فليس خطيئة ولا عثرة لامور (١) ان يوسف نبي من الانبياء كما هو مسلم ومعترف به بنص القرآن في قوله: (وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث ويتم نعمته عليك كما اتمها على ابويك من قبل ابراهيم واسحاق. واوحينا اليه لتنبأنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون. ولما بلغ اشده اتيناه حكما وعلما. كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين) وفي اعتقادنا ان النبي معصوم من الخطأ والخطيئة الصغائر والكبائر عصمة ثابتة وواجبة والنبي المعصوم لا يأتي الا بأرجح الاعمال وافضلها وليس لاحد ان يعترض على شيء من اعماله لانه لا يعمل شيئا الا بامر الله عزوجل وحسب المصلحة والحكمة.

(٢) ان الله تعالى جعل الانبياء قدوة وائمة للعباد فوجب ان تكون اعمالهم افضل الاعمال والا وجب ان تكون اعمال الناس افضل منها فكيف يجب على الناس الاقتداء بهم وحيث ان الله اوجب على الناس الاقتداء بهم بقوله تعالى (ان لكم في رسول الله اسوة حسنة) فقد وجب ان تكون اعمالهم كلها مرضية ومحمودة عند الله.

(٣) ان التوسل بالخلق جائز في ذاته وقد يكون راجحا بل واجبا اذا توقفت

حياة الانسان او سلامته عليه بل ان التوسل الى الله تعالى لا يشرع الا في الامور اللتي لا يرجى لها غيره ولا يمكن للناس قضاؤها كشفاء المريض الذي تعذر شفاؤه والانقاذ من الغرق حيث لا يمكن الاتصال هناك بأحد غيره. اما الامور الحيوية والضرورية التي ترجع الى جهات مختصة فالله سبحانه لا يرضى بأن تعرض عن اهلها وتدعوه للقيام بانجازها فلو توقفت السيارة في الطريق لخلل او عطب فهل يعقل ان تدعو الله لاصلاحها وتسييرها بل الواجب ان تتصل بالورشة او قلم المرور. ولو اهتز البيت بخلل في اسلاك الكهرباء لاتصال السالب بالموجب فهل يعقل ان تدعو الله في اصلاحه بل الواجب ان تتصل فورا بادارة الكهرباء. ولو حدث انفجار في احد انابيب الماء ففاض على النواحي والطرقات ايعقل ان تدعو الله لايقافه بل الواجب ان تستحضر احد رجال اسالة المياه وهكذا يجب ان يدبر الناس امورهم باتصال الجهات المختصة بها ويدعون الله ان يهيء لهم من يستجيب لدعوتهم وقضاء حاجاتهم.

(٤) ان الانبياء والاوصياء قد توسلوا بالمخلوقين في قضاء حاجاتهم. فقد توسل رسول الله (ص) يوم الحديبية بعثمان بن عفان لان يكون شفيعا لهم عند اهل مكة ليأذنوا لهم بدخول الحرم لقضاء اعمال العمرة حين منعوهم دخول مكة وتوسل امير المؤمنين (ع) بعبد الله بن عباس لاقناع الخوارج الذين انتقضوا عليه.

والامر الذي اوقع المفسرين في هذا الخطأ - وهو نسبتهم الخطأ ليوسف في توسله بالساقي ليذكره عند الملك - هو قوله تعالى (.. فأنساه الشيطان ذكر ربه) فانهم اعادوا الضمير في كلمة (انساه) على يوسف وانما هو عائد على الساقي يعني ان الساقي انساه الشيطان ذكر يوسف عند ربه فقد حذف كلمة (يوسف عند) لدلالة بقية الجملة عليها ومثل هذا الحذف كثير في القرآن كقوله تعالى (واما الغلام فكان) مؤمنا وكان (ابواه مؤمنين) ومثل قوله (انه ليس منَ اهلك ان) عمله (عمل غير صالح وقوله (له معقبات) من خلفه وملائكة (من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله).

فكان السبب في طول سجن يوسف هو ما ذكر الله انه (قال للذي ظن انه ناج منهما) وهو الساقي (اذكرني عند ربك) الملك باني مسجون ظلما وبغير ذنب ليفرج عني (فانساه الشيطان ذكر) يوسف عند (ربه فلبث في السجن بضع سنين) اي كان السبب في طول بقاء يوسف في السجن لهذه المدة هو نسيان الساقي ان يذكره عند الملك لا ان السبب في طول بقائه في السجن عدم ذكر ربه وتوسله اليه.

ولم يكفهم هذا الخطأ في التفسير حتى اختلقوا اخبارا مزورة عن لسان النبي (ص) فروى الثعلبي في العرائس من طريق يونس عن الحسن عن النبي (ص) قال رحم الله اخي يوسف لولا كلمته واذكرني عند ربك ما لبث في السجن بضع سنين وقال مالك بن دينار لما قال يوسف ذلك قيل له اتخذت من دون الله وكيلا قال: انسى قلبي كثرة البلوى وحكي عن الصادق (ع) ان جبرئيل نزل عليه فقال يا اخا المنذرين ما لي اراك مع الخاطئين ان ربك يبلغك السلام ويقول ما استحيت مني ان استشفعت بالادميين ثم اخذ يذكره نعم الله وهو يعترف بها ثم وبخه على ما صدر منه ومثله ذكر الطبرسي في مجمع البيان عن علي بن الحسين وجعفر بن محمد (ع) فروى عنه ان الله لما ذكره بالنعم جعل يبكي فكان ذلك سبب بكائه الذي تأذى به اهل السجن.

ومثلها ما رواه الثعلبي عن ابن عباس ان يوسف (ع) عثر ثلاث عثرات وبكل عثرة اصيب بعقوبة (الاولى) حين هم ان يفجر بالمرأة فعوقب بالسجن و (الثانية) حين قال للساقي اذكرني عند ربك فلبث في السجن بضع سنين و (الثالثة) حين قال (ايتها العير انكم لسارقون) قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل.

وكلها اخبار موضوعة مختلقة اما اللتي من قبل العامة فمردودة لفسق رواتها واما التي من قبل الخاصة فمرفوضة لضعف سندها ومخالفتها ضرورة عصمة الانبياء او انها محمولة على التقية مجاراة لاهل الخلاف.

ووضح من ما ذكرناه ان السر في طول بقاء يوسف (ع) في السجن لهذه المدة

الطويلة هي نتيجة لنسيان الساقي ذكره وعرض قضيته على الملك لا نتيجة لنسيان يوسف ذكر ربه وخالقه وكيف ينسى ذكر ربه وقد اعتبر السجن نعمة عليه حيث انه هيأ له اعتزال الناس الذين يشغلونه عن ذكر الله.

فطـاب لـه فيهـا الخلـو بـربـه ... واني لعبـد مثلهـا في التـبـذكـر
اقـام لـديها يعبـد اللـه وحده ... وعـادت اليـه روضـة ذات ازهـر
يروي بجاري الدمع اكتـاف ارضهـا ... ويجلـو بها الظلما بنـور التبصر
ويملأ ارجـاهـا بـانغـام لحنـه ... بـدعـوات تقـديس وآي تـذكـر
فما هـي الا روضـة غـض زهـرهـا ... فقـام بها داود يشـذو بمزهـر
فيشـذو عـويلا كلما سجعـت لـه ... بلابـل اغلال بـه ذات اسـور
ويـدعـو متى زادتـه ضيقـا وظلمـة ... قفانبك مـن ذكـرى نكير ومنكـر
ومهما تـزده محنـة زاد منحـة ... بها اذ حظي وصلا ببـاري التصـور

(مرفق (٢٣) (تفسير يوسف رؤيا الملك)
(سابقة (١) (الشكوى من طول السجن)

والحقيقة في الامر ان يوسف الصديق (ع) لم يشك من ضيق السجن في قوله للساقي (اذكرني عند ربك) وانما كان يخشى من انه اذا استمر بقاؤه في السجن مظلوما معذبا على غير ذنب لمدة اطول ان يحل العذاب بأهل مصر لان انفاس المظلوم وشيكة ان تحول البحار نارا ودعوته خليقة بان تنسف الجبال على السهول والاوعار.

ولم يكن يوسف بحاجة لان يشكو حاله للملك او غيره ففي امكانه ان يدعو الله لنفسه بالخلاص مما وقع فيه من اول يوم دخل السجن فلا يبقى فيه ساعة واحدة ولكن هذا خلاف الراجح فان الافضل له ان يحتمل هذا البلاء ويصبر على

الشدة كما صبر غيره من الانبياء على ما اصابهم من طواغيت زمانهم ليكونوا اسوة وسلوة لغيرهم من الناس في الصبر على البلايا وتسليم الامر الى الله.

فقد نسي الساقي ذكره وعرض ظلامته على الملك فأوجب ذلك طول اقامته في السجن حتى ابتدا بأهل مصر ما سبق لهم من العقاب في علم الله ان يذيقهم الجوع والبؤس مدة اقامة يوسف مظلوما في السجن سبع سنين. وخاف يوسف ان يقدر العقاب عليهم اكثر من ذلك اذا استمرت اقامته في السجن لاكثر مما بلغت فسأل ربه حينئذ الخلاص.

فذكر في البحار ١٧٨/٥ عن علي بن ابراهيم في تفسيره بسنده الى الامام ابن الحسن الرضا (ع) - في ضمن حديث - قال وشكا يوسف في السجن الى الله فقال يا رب فرج عني ما انا فيه فأوحى الله اليه يا يوسف انا لم نكتب عليك السجن وانما اخترته انت لنفسك وقلت (رب السجن احب الي مما يدعونني اليه) فاجبناك لما سألت ولو سألتنا العافية لعافيناك ولم تقع فيما وقعت فيه أهـ وهذا يؤيد ما ذكرنا سابقا ان الانبياء يفضلون احتمال الضرر والبلاء ليصلح امر الامة ويسلمون من البلاء ويدل ايضا على ما ذكرنا انه هو الذي اختار دخول السجن ولو قد شاء لم يدخله ساعة واحدة.

والذي اختاره نبي الله يوسف (ع) لنفسه من دخول السجن والبقاء فيه هذه المدة هو الافضل، والارجح ليتغيب عن اعين العاشقين والعاشقات، ولو اقام في قصر راعيل كما كان اولا لهام ومات في حبه وعشقه الاف من الفتيات والغانيات.

اما غيره من الناس لو وقع في مثل هذا المأزق فالافضل له ان يسأل الله العافية وليس له ان يعين جهة او مخرجا من مخارج الخلاص كما في الحديث يقول الله ولو سألتني العافية لعافيتك.

(سابقة (٢) (الدعاء للخلاص من السجن)

ولما اقتضت حكمة الله ان يخرج يوسف الصديق (ع) بالنتائج الطيبة والفضائل السامية امر جبرئيل ان ينزل عليه يامره بان يدعو الله في خلاصه فهبط عليه وقال يا يوسف اتحب ان تخرج مما انت فيه فقل (يا صانع كل مصنوع و ياجابر كل مكسور ويا حاضر كل ملا ويا شاهد كل نجوى ويا قريبا غير بعيد ويا مؤنس كل بعيد ويا غالبا كل مغلوب ويا علام الغيوب ويا حيا لا يموت ويا محيي الموتى لا آله الا انت سبحانك اسألك يا من له الحمد يا بديع السموات والارض يا مالك الملك يا ذاالجلال والاكرام اسألك ان تصلي على محمد وآل محمد وان تجعل لي من امري فرجا ومخرجا وترزقني من حيث احتسب ومن حيث لا احتسب انك على كل شيء قدير) فدعا به يوسف (ع) فاستجاب الله له فجعل له من السجن فرجا ومن كيد راعيل مخرجا وآتاه ملك مصر من حيث لا يحتسب.

وفي البحاره /١٧٨ عن تفسير علي بن ابراهيم ان جبرئيل نزل على يوسف في السجن لما طال مكثه فعلمه ان يدعو الله (الهي اسألك بمَنّك الكريم واحسانك القديم و لطفك العميم يا رحمن يا رحيم) ورواه ص. ١٨ عن امالي الصدوق بنهج آخر وفي ص ١٨٣ ذكره عن امالي المفيد

فرأى الملك الديان بن الوليد ملك مصر تلك الليلة رؤيا هالته وافزعته جمع لها كل المنجمين والكهان والمعبرين وقصها عليهم.

(سابقة (٣) (رؤيا الملك للابقار والسنابل)

قال تعالى (وقال الملك) اني ارى في منامي الليلة (سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف) وهو خلاف المعهود فالعجفاء لا تقدر على السمينة فكيف افترستها ورايت (سبع سنبلات خضر واخر يابسات) هبت عليها ريح فأهوت باليابسات على الخضر فاقتلعتها وكانت اليابسات اولى ان تزول من الخضروات (يا ايها الملا

افتوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون. قالوا) هذه (اضغاث احلام وما كنا بتاويل الاحلام بعالمين. وقال) الساقي (الذي) ادخل ثاني اثنين في السجن مع يوسف و (نجا منهما وادكر بعدامة) وفترة مضت من الزمن وصية يوسف له بقوله اذكرني عند ربك (انا انبئكم بتأويله فارسلوني) الى الفتى الكنعاني الذي كنا معه في السجن انا وصاحب الطعام فقد رأى كل منا طيفا وفسره لنا وكان الامر كما فسر.. قال الملك فاذهب اليه في السجن واسأله تاويل هذه الرؤيا.

فذهب الساقي الى السجن فالتقى بيوسف (ع) وقبل كل شيء اعتذر اليه عن تبليغ رسالته الى الملك بانه نسي ذلك لما دخل في قلبه من الخوف ان يقع في مثل ما وقع فيه صاحب الطعام ثم الوى عليه وقبل وجهه ويديه ليعفو عنه فقبل معذرته وعفا عن زلته ثم قال (يوسف ايها الصديق) اي واقع الصدق فيما يخبر به (افتنا في) رؤيا رآها الملك الريان البارحة في المنام كانه نظر الى (سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات) اخبرني بتاويلها (لعلي ارجع الى الناس) المجتمعين الآن في البلاط الملكي فاقصه عليهم (لعلهم يعلمون) فضلك ويعترفون ببراءتك وطهارتك فيفرج عنك

(قال) يوسف اما البقر السمان والسنابل الخضر فانها سبع سنين تمر بكم.. كلها خصب ورخاء وخير ونعم (تزرعون سبع سنين دابا فما حصدتم فذروه في سنبله) لئلا يظهر فيه السوس فيتلفه (الا قليلا مما تأكلون) فانه يفرغ من سنابله ويباع ويوزع في الاسواق واما البقر العجاف والسنابل اليابسات فهي جدب وقحط يحل فيذهب الخصب كله (ثم ياتي من بعد ذلك سبع شداد) من السنين تجوع فيها جماهير الناس (يأكلن ما قدمتم لهن) من الاطعمة اللتي ادخرتموها فلا يبقى في الاسواق من الطعام شيء للبيع (الا قليلا مما تحصنون) في الانابير من الذخيرة (ثم ياتي من بعد ذلك عام) من الخصب (فيه يغات الناس) من الشدة بهطول الامطار وكثرة النبات والثمار (وفيه يعصرون) اي يمطرون بوابل غزير تستعيد به الناس اقواتهم واموالهم اللتي انفقوها في سبيل حصول الغذاء.

(مرفق (٢٤) (حول تفسير الرؤيا)

والحديث عن تفسير الرؤيا يستدعي عرض سوابق

(سابقة (١) (اسباب تنوع الرؤيا)

ذكرت في كتابي (كواكب الاشراق) ١/ وفي المستطرف ٢/٩٩ : ان جمهور الاطباء قد اتفقوا على ان مصدر الرؤيا في خيال النائم لزيادة وغلبة احد الاخلاط الاربعة في طبيعته وهي الصفراء والدم والسوداء والبلغم وان ذلك بقدر مزاج كل واحد وقوته

فمن غلب عليه خلط الصفراء رأى في منامه النيران والشمس المحرقة والصواعق والحروب والاشتباكات المسلحة

ومن غلب عليه خلط الدم رأى في منامه الخمر والرياحين والازهار الحمرا والثياب المصبوغة وانواع الملاهي واللعب والرقص وقد يرى احيانا سفك الدماء

ومن غلب عليه خلط السوداء راى في منامه المخاوف والاحداث والاموات مكفنين بسواد والبكاء والظلمة والاهوال.

ومن غلب عليه خلط البلغم رأى في نومه المياه والانهار والامطار والسيول والاغتسال والسباحة وصيد الاسماك

وانما تكون الرؤيا الصادقة ممن اعتدلت هذه الاخلاط في طبايعه واكثر ما تكون الرؤيا للانسان بما يغلب على فكره وحواسه ومشاعره فالجايع يرى في منامه انواع الاطعمة والفواكه والطيبات والموائد والولايم. والظمآن يتخيل في منامه الانهار والحياض و القلال المملية من الزلال والعذب البارد. والمغتلم يتصور في منامه الاعمال الجنسية والنساء العاريات والارداف والاحراح فيؤدي به ذلك الى الاحتلام. والخائف والهارب يرى في منامه الشرطة والجنود والمحابس والسجون وهكذا فكل انسان غالبا يتمثل في منامه ما اشتغل به فكره واعتلق باحلامه ومشاعره

فقد ذكروا ان احد الظرفاء دخل مرة على احد الخلفاء فذكر له انه راى في منامه ان الخليفة يعيش ثلاثين سنة في نعيم وهناء مضافا الماضي من عمره فقال وما الدليل على ما ذكرت قال احبسني عندك الى صباح غد فان رايت في منامك ما ذكرت لك والا فاعمل ما شئت. فلما نام الخليفة كان ذلك الخاطر على فكره فراى في المنام كانه صعد سلما فيه ثلاثون مرقاة وفي الاخيرة منها تعب وقعد. فلما اصبح امر للدجال بكسوة وجائزة

وقد يكون الخاطر مشبعا بالخوف والوجل فيودي بحياة صاحبه كما حدث هذا بالخليفة محمد المنتصر العباسي بعد قيامه باغتيال ابيه جعفر المتوكل فانه لم يزل قلقا وجلا مضطربا فلم يعش الا ستة اشهر وقضى الخوف عليه

(سابقة (٢) (رؤيا الانبياء حق)

ومن هنا ذكروا ان رؤيا الانبياء حق وانها بمنزلة الوحي لانها لا تكون نتيجة تغلب خلط من الاخلاط او طبيعة من الطبايع في الجسم على الطبايع الاخرى ولا تكون صادرة عن تشبع الضمير بخاطر يوجب تحويل الخيال من حال الاعتدال والاتزان لحال اخرى فقد ذكر الطبرسي في مجمع البيان في معنى قوله تعالى (يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك..) عن سعيد بن جبير وابن عباس وقتادة وابن مسلم: ان رؤيا الانبياء ومناماتهم كلها وحي حق صحيحة وانهم اذا رأوا شيئا فعلوه لذلك لما قال ابراهيم لابنه اسحاق (يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك قال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدني انشاء الله من الصابرين) ولم يقل افعل ما ترى

وقال ابو مسلم هو نوعان (الاول) ان يأتي بالشيء كما راه في المنام كما في قوله تعالى (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام... و(الثاني) ان يكون لها تأويل كما في رؤيا يوسف سجود الشمس والقمر والكواكب له ورؤيا لبراهيم ذبح ولده اسحاق

وجاء في الحديث عن النبي (ص) ان الرؤيا الصادقة جزؤ من (٤٦) جزؤا من النبوة. وتفسير ذلك ان الله تعالى لما اراد ان يبعث سيد المرسلين (ص) رسولا للعالمين ابتداه قبل البعثة بالرؤيا الصادقة فكان كلما راى شيئا في منامه ليلا رآه نهارا كفلق الصبح. واستمرت هذه الرؤيا بالنبي ستة اشهر فكانت جزءاً من (٤٦) جزءاً من النبوة اللتي كانت (٢٣) سنة

ولكنها قد يتعجل صدورها كرؤيا ابراهيم ذبح ولده فقد رآه ليلة عيد الاضحى وتمثلت صبيحة ذلك اليوم ورؤيا يعقوب (ع) كان ذئابا قد شدت على ولده يوسف (ع) ومن بينها ذئب يدافع عنه وتمثلت ليوسف صبيحة تلك الليلة عندما خرج به اخوته الى المرعى لذلك قال لهم (اني اخاف ان يأكله الذئب..). ورؤيا الحسين (ع) ليلة عاشوراء كان كلابا قد احتوشته لتفتك به وكان اشرهم عليه كلب ابقع ابرص وتحققت صبيحة ذلك اليوم في اعداءه الذين شدوا عليه بالاسلحة ليقتلوه وكان الكلب الابقع الابرص هو الشمر الذي تولى حز راسه.

وقد يتأخر تأويلها الى زمن بعيد كرؤيا رسول الله في العام الخامس من الهجرة كانه دخل باصحابه المسجد الحرام آمنين محلقين رؤسهم ومقصرين كان ذلك في شهر رجب فتأولها عمرة معجلة لهم فدعا اصحابه اليها ولما بلغوا موضع الحديبية الذي نسبت العمرة اليه منعتهم قريش عن دخول مكة وصالحوا النبي (ص) على امور اتفقوا عليها ولم يكن تأويل تلك الرؤيا الا في شهر رمضان عام الثامن من الهجرة، ففي يوم العشرين منه فتح الله له مكة ودخل باصحابه المسجد الحرام.

ورأى رسول الله (ص) عام العاشر من الهجرة في المنام كلابا وقردة تنزوا على منبره فتأولها بانهم اليهود تكون لهم الكرة والغلبة على المسلمين بعده. حيث ان الله مسخ جماعة منهم اعتدوا في يوم السبت بصيد الحيتان فمسخهم الله قردة. واغتم بهذا التأويل مما يجري على المسلمين بعده ولكن الوحي اولها اليه بانهم خلفاء بني امية يتولون الرياسة على المسلمين فيعلون على منبره ولم تتحقق الا عام (٤١) من الهجرة بابتداء ملك بني امية بخلافة معاوية بن ابي سفيان.

فقد ذكروا ان احد الظرفاء دخل مرة على احد الخلفاء فذكر له انه راى في منامه ان الخليفة يعيش ثلاثين سنة في نعيم وهناء مضافا الماضي من عمره فقال وما الدليل على ما ذكرت قال احبسني عندك الى صباح غد فان رايت في منامك ما ذكرت لك والا فاعمل ما شئت. فلما نام الخليفة كان ذلك الخاطر على فكره فراى في المنام كانه صعد سلما فيه ثلاثون مرقاة وفي الاخيرة منها تعب وقعد. فلما اصبح امر للدجال بكسوة وجائزة

وقد يكون الخاطر مشبعا بالخوف والوجل فيودي بحياة صاحبه كما حدث هذا بالخليفة محمد المنتصر العباسي بعد قيامه باغتيال ابيه جعفر المتوكل فانه لم يزل قلقا وجلا مضطربا فلم يعش الا ستة اشهر وقضى الخوف عليه

(سابقة (٢)   (رؤيا الانبياء حق)

ومن هنا ذكروا ان رؤيا الانبياء حق وانها بمنزلة الوحي لانها لا تكون نتيجة تغلب خلط من الاخلاط او طبيعة من الطبايع في الجسم على الطبايع الاخرى ولا تكون صادرة عن تشبع الضمير بخاطر يوجب تحويل الخيال من حال الاعتدال والاتزان لحال اخرى فقد ذكر الطبرسي في مجمع البيان في معنى قوله تعالى (يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك..) عن سعيد بن جبير وابن عباس وقتادة وابن مسلم: ان رؤيا الانبياء ومناماتهم كلها وحي حق صحيحة وانهم اذا رأوا شيئا فعلوه لذلك لما قال ابراهيم لابنه اسحاق (يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك قال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدني انشاء الله من الصابرين) ولم يقل افعل ما ترى

وقال ابو مسلم هو نوعان (الاول) ان يأتي بالشيء كما راه في المنام كما في قوله تعالى (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام... و(الثاني) ان يكون لها تأويل كما في رؤيا يوسف سجود الشمس والقمر والكواكب له ورؤيا لبراهيم ذبح ولده اسحاق

وجاء في الحديث عن النبي (ص) ان الرؤيا الصادقة جزؤ من (٤٦) جزؤا من النبوة. وتفسير ذلك ان الله تعالى لما اراد ان يبعث سيد المرسلين (ص) رسولا للعالمين ابتداه قبل البعثة بالرؤيا الصادقة فكان كلما راى شيئا في منامه ليلا رآه نهارا كفلق الصبح. واستمرت هذه الرؤيا بالنبي ستة اشهر فكانت جزءاً من (٤٦) جزءاً من النبوة اللتي كانت (٢٣) سنة

ولكنها قد يتعجل صدورها كرؤيا ابراهيم ذبح ولده فقد رآه ليلة عيد الاضحى وتمثلت صبيحة ذلك اليوم ورؤيا يعقوب (ع) كان ذئابا قد شدت على ولده يوسف (ع) ومن بينها ذئب يدافع عنه وتمثلت ليوسف صبيحة تلك الليلة عندما خرج به اخوته الى المرعى لذلك قال لهم (اني اخاف ان يأكله الذئب..). ورؤيا الحسين (ع) ليلة عاشوراء كان كلابا قد احتوشته لتفتك به وكان اشرهم عليه كلب ابقع ابرص وتحققت صبيحة ذلك اليوم في اعدائه الذين شدوا عليه بالاسلحة ليقتلوه وكان الكلب الابقع الابرص هو الشمر الذي تولى حز راسه.

وقد يتأخر تأويلها الى زمن بعيد كرؤيا رسول الله في العام الخامس من الهجرة كانه دخل باصحابه المسجد الحرام آمنين محلقين رؤسهم ومقصرين كان ذلك في شهر رجب فتأولها عمرة معجلة لهم فدعا اصحابه اليها ولما بلغوا موضع الحديبية الذي نسبت العمرة اليه منعتهم قريش عن دخول مكة وصالحوا النبي (ص) على امور اتفقوا عليها ولم يكن تأويل تلك الرؤيا الا في شهر رمضان عام الثامن من الهجرة،ففي يوم العشرين منه فتح الله له مكة ودخل باصحابه المسجد الحرام.

ورأى رسول الله (ص) عام العاشر من الهجرة في المنام كلابا وقردة تنزوا على منبره فتأولها بانهم اليهود تكون لهم الكرة والغلبة على المسلمين بعده. حيث ان الله مسخ جماعة منهم اعتدوا في يوم السبت بصيد الحيتان فمسخهم الله قردة. واغتم بهذا التأويل مما يجري على المسلمين بعده ولكن الوحي اولها اليه بانهم خلفاء بني امية يتولون الرياسة على المسلمين فيعلون على منبره ولم تتحقق الا عام (٤١) من الهجرة بابتداء ملك بني امية بخلافة معاوية بن ابي سفيان.

ومن هذا النوع رؤيا يوسف (ع) سجود الكواكب له في قوله (يا ابت اني رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين) فقد رآها وهو ابن سبع سنين ولم يتحقق تأويلها بسجود اخوته وابويه اليه في انتقالهم من كنعان الى ولايته في مصر الا بعد نحو (٦٨) سنة وهو ابن (٧٥) سنة.

(سابقة (٣) (افضل ما تأول به الرؤيا)

جاء في الحديث عن النبي (ص) انه قال: لا تقص رؤياك الا على ذي بصيرة يفسرها لك بما هو خير فان الرؤيا طائر اذا قص وقع. وقد سبق تفسير مضى هذا الحديث في قصة الساقي والمطعم لما ادخل مع يوسف السجن وتفسيره رؤياهما.. بان معنى قوله (اذا قص وقع) ان الرؤيا يقع مفعولها بمثل ما تفسر به فان فسرت بخير راى صاحبها خيرا وان فسرت بشر راى الشر وانه (ص) استعار كلمة (قص) من قص الطائر اذا قطع جناحه الى قص الرؤيا اي ذكر قصتها والقص الاول مشتق من القص بمعنى القطع والثاني من القص بمعنى العرض.

وقصده ان تفسر الرؤيا بتفسير جميل يؤدي الى خير وصلاح ليرى صاحبها ذلك منها اما اذا فسرت بالشر رأى صاحبها الشر فقدذكروا ان امرأة ذهب زوجها في سفر له فرأت ليلة في المنام كأن جذع السقف من دارها انكسر فذهبت لاحد المعبرين ففسر كسر الجذع بان الزوج قد مات فاعلنت البكاء ولبست الحداد. فسمع بها ابن عم لها وسألها عن بكائها وحزنها فاعلمته بالرؤيا فقال قاتل الله من فسر لك الرؤيا بهذا التفسير ان تفسيرها الصحيح يا سيدتي ان زوجك قد قضى دينه الذي عليه وسيعود الى مقره فالجذع هو الدين وانكساره قضاؤه وهوى السقف الى الارض رجوع الزوج الى داره

ونظير ذلك ما حدث لاحد العلماء فقد رأى في المنام بانه دخل الكعبة وبال فيها سبع مرات وبذلك امتنع عن الحج تلك السنة وكان قد عزم عليه لانه تأولها

بانه يدخل في الكعبة سبعة فساق من الحجاج يدنسون الكعبة بوطأ اقدامهم فقال له احد الاذكياء : انك اخطأت في هذا التأويل والصواب انك ترزق سبعة اولاد صلحاء كلهم يذهبون الى الحج فيطأون الكعبة بأقدامهم.

وقد يكون حسن التعبير في الكلام كافيا عن حسن التعبير والتفسير فقد ذكر ان ملكا راى في المنام ان اسنانه كلها اقتلعت من فمه فتأولها رجل بانه يفقد اقاربه كلهم في حياته يموتون قبله ويبقى بعدهم فلم يعجبه التأويل وامر بقتله وسأل آخر فتأولها بانه يقتلع العقد من ايام حياته فلا تبقى عقدة ولا صعوبة له في الحياة الا تغلب عليها وطال عمره فاعجبه هذا القول وامر باكرامه والانعام عليه وكلا التفسيرين يجريان في طريق واحد ولكن حسن الاسلوب في الثاني هو الذي اوجب لصاحبه الاكرام والانعام

واذا كانت الرؤيا تتبع في الوقوع ما تفسر به وان تفسيرها وحملها على الخير افضل من حملها على الشر فلماذا اختار يوسف (ع) في رؤيا الساقي تأويلها بالخير وفي صاحب الطعام تأويلها بالشر وكان في امكانه ان يفسرها بمثل تفسير رؤية الساقي فيكسب مودته ونجاته من القتل والجواب ان يوسف انما اختار للمطعم تفسير رؤياه وحمله على الشر لانه مجرم في عزمه على اغتياله الملك وخيانته وقبوله الرشوة

(سابقة (٤)) (اقسام تأويل الرؤيا)

وينقسم تأويل الرؤيا الى اربعة أقسام

(الاول) رؤيا خير حسنة تأول الى خير حسن

ومن هذا القسم رؤيا يوسف (ع) سجود الكواكب له وهو خير وحسن وكان تأويلها خيرا حسنا وهو قدوم ابويه واخوته له في مصر خاضعين له منضمين الى جناحه وادعين الى ظلاله. ومنها رؤيا رسول الله (ص) المذكورة في قوله تعالى

(لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام آمنين مطمأنين محلقين رؤسكم ومقصرين..)

(الثاني) رؤيا خير وتأويلها شر

حكي في المستطرف ٢/٩٩ ان رجلا قال لابن سيرين اني رايت في المنام اني اسقي شجرة زيتون زيتا قال اتق الله يا هذا واحذر ان تواقع امك فما اراك الا وانت واقع بها ان صدقت رؤياك فاتفق انه دخل ليلة الى داره وامه نائمة على فراش زوجته فحسبت انه ابوه فافترشت له وحسب انها زوجته فوقع عليها ولما فرغ منها تنهدت فعلم انها امه قال هذا تأويل رؤياي.

ويحكى ان ابن سيرين راى في المنام ان الجوزاء في السماء تقدمت على الثريا.. فجعل يوصي وقال يموت الحسن البصري وهو اشرف مني وانا اموت بعده فمات بعده بمأة يوم

وذكر ان امراة دخلت عليه وهو يتغذى فقالت اني رايت كأن القمر دخل في الثريا وسمعت مناديا يقول: اذهبي الى ابن سيرين وقصي عليه فلما سمعها تقلصت يده وقال ويحك كيف رايت فاعادت القول عليه فقال لاخته ان هذه تزعم اني اموت بعد سبعة ايام وامسك يده على فؤاده وقام يتوجع فمات بعد سبعة ايام

(الثالث) رؤيا شر تاويلها خير

جاء رجل لابن سيرين وقال رايت كأني اختم على فروج النساء وافواه الرجال بخاتم في يدي فقال له انك تكون مؤذنا تؤذن عند الفجر فتمنع الرجال عن الأكل والنساء عن المواقعة في ليالي شهر رمضان

وسأله رجل قال رايت في المنام ان امراة صديقي ذبحت في حجرة من بيتنا قال: لا ترع انها تنكح في تلك الحجرة فاتفق ان مطرا غزيرا هطل ذات ليلة فاتى ذلك الصديق مع امراته اليه ليؤيهما عن المطر فاواها في تلك الحجرة وعند الفجر خرج معها الى الحمام.. فعلم رب الدار ان صديقه اصاب من زوجته قال هذا تأويل رؤياي

وذكر في الفوادح ان ام الفضل بنت الحارث زوجة العباس بن عبد المطلب اتت النبي (ص) يوما فقالت يا رسول الله رايت في المنام كأن قطعة من جسدك الشريف قطعت ووضعت في حجري فقال ان تأويلها ان ابنتي فاطمة (ع) ستلد غلاما وتصير حضانته الى حجرك وكان الغلام هو الامام الحسين تولت تربيته ام الفضل.

وجاء عبد الملك بن مروان لسعيد بن المسيب وقال رايت في المنام كأني بلت خلف المقام اربع مرات قال لا ترع انك تلد اربعة ابناء تكون لهم الخلافة من بعدك وكان تأويلها في خلافة ابناءه الوليد ويزيد وسليمان وهشام. ونظيرها ما تقدم من رؤيا احد العلماء انه بال في الكعبة سبع مرات وتأولوها اليه بسبعة اولاد يحجون فيدخلون الكعبة

(الرابع) رؤيا شر وتأويلها شر

روى ابن طريح في المنتخب ان هند ابنة عتبة بن ربيعة دخلت يوما على عائشة وذلك قبل اسلام ولدها معاوية بن ابي سفيان فقالت يا ام المؤمنين اني رايت في المنام: رؤيا احب ان تعرضيها على رسول الله (ص) رايت كأن شمسا قد طلعت على الدنيا فانارت ثم افلت فطلع بعدها قمر وعم على الدنيا بنوره وفرح الناس بانواره ثم افل فطلع من بعده نجمان يزهران فرح الناس بنورهما ثم طلعت سحابة سوداء فزع الناس من شرها ثم انفصل منها حية رقطاء وعدت على النجمين فابتلعتهما وضج الناس كلهم بالبكاء على فراق النجمين فلما قصتها على رسول الله (ص) قال يا عائشة اما الشمس فهو انا والقمر ابن عمي علي (ع) واما النجمان فهما ابناي الحسن والحسين (ع) واما السحابة السوداء فهو ابنها معاوية واما الحية الرقطاء فهي ابنه يزيد يقتلان ابناي الحسن والحسين (ع).

وذكر في المستطرف ان رجلا من عمال عمر بن الخطاب اتاه يوما وقال اني رايت في المنام الشمس والقمر يقتتلان قال فمع من كنت منهما قال مع القمر لضعفه وبرده قال اتراك قاتلت مع الاية الممحوة اذهب فوالله لا وليت لنا عملا وعزله. وكان تأويل رؤياه انه قاتل مع معاوية عليا (ع) فقتل في اصحاب معاوية.

ودخل على ابن سيرين رجل معه جراب قال رايت في المنام كأني اسد الزقاق سدا وثيقا قال انت رايت هذا قال نعم فقال لمن حوله امسكوه انه يخنق الصبيان و ربما كان في جرابه هذا ادوات الخنق فوثبوا عليه وفتحوا الجراب فوجدوا فيه اوتارا و حلقا فسلموه الى السلطات القائمة

واتاه رجل وقال رأيت في المنام كأني اقشر البيض فآكل البياض وادع الصفار قال يا عدو الله انت نباش القبور تسلب الموتى اكفانهم وتتركهم عراة في قبورهم

واتاه رجل وقال اني رأيت في المنام عيسى بن مريم (ع) فقلت يا مولاي احق انهم قتلوك وصلبوك؟ قال: نعم وهذا خلاف ما انزل الله فقال انه يعنيك انت فانك الذي تقتل وتصلب وكان الامر كما قال.

وقال رجل لعلي بن الحسين (ع) رأيت في المنام كأني ابول في يدي فقال ارأيت امرأتك التي تنكحها انها من محارمك. فسأل عنها فوجد بينه وبينها رضاعا.

ومن هذا النوع رؤيا ملك مصر الريان بن الوليد التي حكاها الله... (وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر) قد امالتـها الرياح (واخر يابسات) قد وقعت عليها فاقتلعتها.

واكثر ما يتأول ابن سيرين الرؤيا بآيات القرآن الكريم سأله مرة رجل صالح عن تفسير الاذان في الرؤيا قال انك تذهب الى الحج لقوله تعالى (واذن في الناس بالحج...) وسأله رجل فاسق عن ذلك قال انك تهم بسرقة لقوله تعالى (واذن مؤذن بينهم ايتها العير انكم لسارقون).

وسألته امرأة انها رأت في المنام انها تضع البيض تحت الخشب فتخرج منها فراريج قال انك قوادة توفقين بين النساء الحسان لقوله تعالى (كأنهن بيض مكنون) وبين المنافقين وهم الخشب في قوله (كأنهم خشب مسندة) والفراريج اولاد الزنا.

وسأله رجل انه رأى اباه في النار وهو من الصلحاء الابرار قال لا يضره ذلك لقوله تعالى (فلما جاءها نودي ان بورك من في النار ومن حولها) النمل / ٨.

وسأله احد الصلحاء انه رأى في المنام قد اسود وجهه فقال هل امرأتك حبلى قال نعم قال ستلد اليك بنتا لقوله (واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا) فكان كما قال وقيل ان صاحب الرؤيا هو المهدي العباسي عبرها له ابراهيم الكرماني فأجازه بألف درهم ولما ولدت امرأته انثى زاده ثلاثة آلاف درهم.

وسأله رجل انه رأى في المنام انه يمشي اذ اعترضه رجلان بايديهما المدى يقولان لا ندع لك طريقا او تأذن لنا ان نستخرج كبدك بهذه المدى فقال له ابن سيرين أَلَك ولد ؟ قال نعم قال فاحترس عليه من اعدائه فهم يحاولون اغتياله.

(مرفق (٢٥)   (خروج يوسف من السجن)

فلما عاد الساقي الى الملك الريان واخبره بتأويل الرؤيا الذي فسرها به يوسف (ع) اعجبه ما سمع وادرك ان المعبرين الذين سالهم عنها فاحجموا لم يصلوا من العلم والفهم ما وصله يوسف والا لم يسكتوا عنها وتفوتهم الجوائز المعدة.

قال تعالى (وقال الملك) حينئذ (اتوني به) اي بهذا الفتى الذي عبر الرؤيا (فلما جاءه الرسول) رسول الملك يدعوه لاجابة الملك والحضور بين يديه.

(سابقة (١)   (طلب محاكمة النسوة)

(قال) يوسف لرسول الملك (ارجع الى ربك فأسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن ان ربي بكيدهن عليم) اي اطلب من الملك ان لا اخرج حتى يحضر هؤلاء النسوة وتتكون محكمة دينية عدليه فتجمع بيني وبينهن فاخاصمهن امام المحكمة.

فامر الملك بتأليف محكمة من علماء مصر وقضاتها ولما الفت امر الملك العزيز ان يعرض عليهم قضية يوسف ليطرحوها على طاولة الاستئناف لينظروا فيها من جديد وامر امرأة العزيز ان تحضر اولئك النسوة التي دعتهن لتناول الطعام في بيتها ولما حضرن النسوة سألهن القضاة و (قال) المدعي العام (ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاشى لله ما علمنا عليه من سوء) فما راوَدَنا ولا راوَدُناه وانما اطلقته لنا راعيل في اجمل حلة ففتنا بحبه وشغفنا بعشقه وان كان له خطب فمع امرأة مولاه العزيز راعيل (قالت امرأة العزيز: الآن حصحص الحق) وانكشف الامر على حقيقته (انا راودته عن

نفسه) فامتنع واعتصم بالعفة وابتعد عن الخيانة (وانه لمن الصادقين) في دعواه البراءة والطهارة (ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب) اي لم اتهمه بالخيانة في غيبته فانه واذ كان غائبا فالله غير غائب (وان الله لا يهدي كيد الخائنين) اي لا يستر كيدهم بل يظهره ويفضحهم به (وما ابرىء نفسي) من الخيانة والخطأ والتقصير في حقه (ان النفس لامارة بالسوء) صاحبها تغريه بالجهل وتدعوه الى الظلم (الا ما رحم ربي) من الناس فان من نالته رحمة الله وهي العصمة من الاخطاء لم تستعبده نفسه ولم يستذله عقله وهم الانبياء والاوصياء من الناس (اني ربي غفور رحيم) بمن اعترف بخطيئة وتاب اليه منها.

فالايات الثلاث (قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين... ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب وان الله لا يهدي كيد الخائنين. وما أبرىء نفسي ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم، صريحة في انها من كلام امرأة العزيز لاقتران الجمل فيها ببعضها البعض وجريها في مجرى واحد كما انها صريحة باعترافها بالخطأ وتبرئة يوسف مما نسبه اليه.

فما الذي حمل المفسرين على نسبة قول (وما ابرىء نفسي ان النفس لامارة بالسوء... الخ) ليوسف ولاي وجه جعلوها من كلامه وما الذي فصل هذا الكلام عما قبله وكله في كلام واحد وما الدليل على انفصاله عن الكلام الذي سبقه وما ادري ما الذي اضطرهم الى هذا التعسف البعيد وادعاء حذف كلمات من الاية وتحويرها عن ظاهرها غير انهم يحاولون اثبات صدور الخطيئات والسيئات من الانبياء ليبرروا بذلك ما يصدر من خلفاءهم من الوصم والهفوات والزلات والعثرات.

وحكمت هيئة المحكمة ببراءة نبي الله يوسف (ع) مما بهت به و تجريم امرأة العزيز والقضاة الذين قبلوا رشواتها وحكموا لها بسجنه فاستوهبها منهم العزيز بانه انما حكموا بسجنه ليقطعوا السنة الناس التي تناولها بما مس بعفتها وقدح

في كرامة زوجها. وحمل الحكم الى يوسف وان ذلك يرجع الى رأيه ونظـره فيما يجب ان يصدره من الحكم عليهم فكتب لهم اني قد عفوت عن هؤلاء الذين اجرموا بحقي كلهم وانما طلبت محاكمتهم لاثبات براءتي وتنزيه كرامتي فالحمد لله على ان نصرني وابان فضلي.

(سابقة (٢) (اطلاق المسجونين معه)

وامر الملك الريان باطلاق سراح يوسف (ع) من السجن فامتنع من اجابته الى الانطلاق او يحكم باطلاق المسجونين كلهم معه فأجابه الى ما طلب اكراما له.

ثم حمل يوسف (ع) الى الحمام لما كان يحتاجه من غسل واستحداد ونظافة فغسل رأسه وشعره وجسمه من وعثاء السجن ودرن الاهمال. واحضر له الملك ثيابا ملكيه فيها حلة منسوجة بالذهب ثم دهن رأسه ورجل شعره ولبّس زينته.

وعندما خرج من الحمام كان الملك في استقباله مع حاشيته وجنده واعضاء ملكه والاعيان والشرفاء والعرفاء. واقيمت له اعلام الزينة ومظاهر الافراح في جميع انحاد البلاد. كما اقيمت له المآدب والحفلات.

ودعا يوسف لاهل السجن بما سبق ذكره (اللهم لا تعم عنهم الاخبار وعطف عليهم قلوب الاخيار) كما كتب على باب السجن ما سبق ذكره (هذه منازل البلوى ومقابر الاحياء وتجربة الاصدقاء وشماتة الاعداء.

وذكر بعضهم ان يوم خروج يوسف من السجن عطلت الاعمال واغلقت الاسواق واصطف الناس على جانبي الطريق بكل زينه وحليه ممتدة من باب السجن الى القصر الذي اعد لاقامته وسكناه وكان هو والملك والوزراء على سوابق من جياد الخيل وكانت الفتيات تنثر امامهم الزهور والورد والرياحين وتنفحهم بانواع الطيب وعبقات المسك والعنبر.

وقد اختلفوا في مدة اقامته في السجن فالقرآن الكريم يقول (فلبث في

السجن بضع سنين) قال في العرائس اكثر المفسرين على ان البضع هنا سبع سنين قال وهب بن منبه: اصاب ايوب البلاء سبع سنين وعذب بختنصر بالمسخ سبع سنين وترك يوسف في السجن سبع سنين وحكاه الطبرسي عن ابن عباس وعلى ابن الحسين والصادق (ع).

(مرفق (٢٦) (امارة يوسف على مصر)

قال تعالى (وقال الملك ائتوني به استخلصه)

قال اهل التاريخ ثم ان الملك الريان استدعى يوسف (ع) للاجتماع به والتحدث معه فأجابه وأتاه في قصره.

قال وهب بن نبه فلما وقف بباب الملك دعا الله فقال (حسبي ربي من دنياي وحسبي ربي من خلقه عزوجل ثناؤه ولا آله غيره.

ولما دخل الباب على الملك قال (اللهم اني اسألك ان تغنيني بخيرك عن خيره واعوذبك من شره وشر غيره) ثم سلم على الملك بالعربية فرد عليه بها وقال ما هذا اللسان؟ قال: لسان عمي اسماعيل. ثم اخذ يدعو للملك بالعبرانية... فقال: ما هذا اللسان؟ قال: هذا لسان ابائي ابراهيم واسحاق ويعقوب (ع) قال وهب وكان الملك يتكلم بلغات شتى فكلما كلم يوسف بلغة اجابه يوسف بها فاعجب الملك مما رأى منه وقال من اين كل هذا العلم قال ايها الملك ان الله لا يختار لنبوته ورسالته احدا من خلقه الا لقنه لغاتهم وعلمه السنتهم لانه حجة الله عليهم ولا بد له ان يكون اعلم وافضل منهم في كل شيء الا في المال والثروة فانه يكون اقل منهم مالا وادنى حالا ليتأسى به فقراؤهم وتلم به ضعفاؤهم ولا يخافوا من قربه ولاييأسوا من عدله.

ثم سأله عن تأويل رؤياه فاعلمه به كما ذكرناه سابقا في رسالته للساقي قال اذا فما الرأي؟ قال: الرأي ان تشكل لجنة من رجال خبراء اهل رأي وعلم فتشرف على المزارع ومنتوجات المواد الغذائية فلا تصرف منها الا حسب كفاية المواطنين ويترك الباقي في سنابله خوفا عليه من التسوس والفساد ويجمع

في مخازن وانابير ومستودعات حصينة مطعمه بما يمنع عنها الدود والحشرات والسوس والآفات حتى اذا حلت سني الجدب قسمت بين الناس ارزاقهم وفرقت اقواتهم من غير اسراف ولا احتكار فتكون قد داويت عسر التأخر بيسر التقدم.

قال ان هذا لا يكون كما ذكرت الا بان تكون انت الذي تتولى ادارة شئونها وتنظر في مصارفها وامورها فاني احب ان استخلصك (لنفسي فلما كلمه) بما عنده من الكفاءه (قال انك اليوم لدينا مكين امين) في هذه البلاد (قال اجعلني) رئيسا ونظيرا (على خزائن الارض) من المزارع والحقول والمنتوجات والمستودعات وما يصرف في داخل البلاد وخارجها (اني حفيظ) على ارزاق الناس واقواتهم واموالهم (عليم) بحاجاتهم وطلباتهم والسنتهم ولغاتهم فسوف يفدون من شتى الاقطار ومختلف الامصار. غير اني اخشى لو وليت هذا الامر ان لا تطيق الناس ولايتي فاني لا افضل غنيا على فقير ولا قويا على ضعيف ولا اوثر قريبا عن بعيد فاختاروا لها من يطاوعكم فيما ترغبون ويجيبكم لما تطلبون قال لا حاجة لنا في غيرك واننا لراضون بحكمك ولا نخرج عن امرك فلا نجد لها كفوا سواك. قال اذا لم تجد في احد من رعيتك كفاءة لادارة هذه الشئون فاني اتولاها قربة الى الله رعاية لمصالح الامة وخدمة للمجتمع وحياطة لهم عن اضرار هذه المجاعة الجارفة.

فامر الملك بعزل العزيز قطفير عن رياسة الماليه وادارة شئون الدولة وتوليه يوسف مكانه وخلع عليه الملك تاج الملك وثياب السلطنه واجلسه معه على سريره ودانت له مصر واحبه الرجال والنساء وكانت هذه عاقبة الصبر.

اقام جميل الصبر في السجن برهة ... فـآل بـه الصبر الجميـل الى الملــك

وبقبول النبي يوسف هذه الولاية من ملك مصر احتج سيدنا الامام ابو الحسن الرضا (ع) على قبوله ولاية العهد من الخليفة عبد الله المأمون العباسي

ففي البحار ١٨٣/٥ عن الصدوق في العلل والعيون بسنده عن محمد بن نصير عن الحسن بن موسى قال روى اصحابنا عن الرضا (ع) قال له رجل اصلحك الله كيف صرت الى ما صرت اليه من المأمون وكان انكر ذلك عليه فقال (ع) يا هذا ايهما افضل النبي ام الوصي؟ قال: بل النبي افضل قال فايهما افضل مسلم او مشرك قال لا بل مسلم قال: فان ملك مصر كان مشركا وكان يوسف نبيا وان المأمون مسلم وانا وصي ويوسف سأل الملك ان يوليه حين قال: (اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم) وانا اجبرت على ذلك.

وقد ذكرنا فيما سبق ان ملك مصر تلك الايام هو الريان بن الوليد بن نزوان بن اداشه بن فاران من نسل سام بن نوح وقد تحنث عندما دعاه يوسف الى دين الحنفية دين ابراهيم الخليل ومات على ذلك في حياة يوسف فقام على مصر من بعده ملكا قابوس بن مصعب بن معاوية من نسل سام بن نوح ودعاه يوسف الى الحنفية فلم يجبه حتى مات.

وذكرنا ان المنصب الذي كان يشغله العزيز ثم تولاه من بعده يوسف (ع) هو رياسة المالية وشئون الدولة للحكومة المصرية وكل من تولى هذا المنصب يسمى العزيز وقد سمى يوسف بالعزيز لما تولاه كما في قول اخوته الذي حكاه الله عنهم (قالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا العز..).

ويظهر من بعض الاحاديث ان المنصب الذي تسلمه يوسف (ع) من ملك مصر هو الملوكيه والامارة العامه فذكر الطبرسي عن ابن عباس ان يوسف (ع) اقام في بيت الملك سنة لما انصرمت السنه دعاه الامير فتوجه ورداه بسيفه وامر بان يوضع له سرير من ذهب مكلل بالدر والياقوت ويضرب عليه كلة من استبرق ثم امره ان يخرج متوجا فانطلق حتى جلس على السرير ودانت له الملوك.

وفي البحارة/١٨٢ عن الصدوق في الخصال بسنده عن هشام بن سالم عمن

ذكره عن ابي جعفر (ع) قال ان الله تعالى لم يبعث انبياء ملوكا في الارض الا اربعة بعد نوح وهم ذو القرنين - واسمه عياش - وداود وسليمان ويوسف فاما عياش فملك ما بين المشرق والمغرب. واما داود فملك ما بين الشامات الى بلاد اصطخر وكذلك ملك سليمان. واما يوسف فملك مصر وبراريها لم يجاوزها الى غيرها.

وفي احاديث اخرى ما يدل على ان يوسف (ع) انما سأل الملك ان يوليه الامارة على مصر مدة ايام الخصب ليجمع الاموال والاقوات والاطعمة ويحفظها في الانابير والمستودعات ومدة ايام القحط ليقوم بتوزيعها وتفريقها على المواطنين بالعدل والسوية دون ان يفضل بعضا على بعض ولما انتهى ذلك وعادت الاوضاع لاحوالها السابقة ردها عليه وهو ما رواه الطبرسي عن كتاب النبوة بسنده عن الحسن بن علي بن بنت الياس عن الرضا (ع) - في حديث طويل - ان يوسف بعد انتهاء القحط والجدب قال للملك اشهد الله واشهدك اني قد اعتقت رقابهم ورددت عليهم اموالهم وممتلكاتهم ورددت عليك ايها الملك خاتمك وسريرك وتاجك على ان لا تسير في الناس الا بسيرتي...

وبقية المؤرخين انه رد على الناس اموالهم وممتلكاتهم ولم يذكروا انه تنازل عن الامارة او الولاية التي كان عليها بل بقي عليها حتى الوفاة.

وروى ابن ابي الحديد في شرح النهج ٣/١٢ روى ان قوما من المتصوفه بخراسان دخلوا على علي بن موسى الرضا (ع) فقالوا له ان امير المؤمنين - يعنون المأمون - فكر فيما ولاه الله من الامور فرآكم اهل البيت اولى الناس ان تأموا الناس ونظر فيك فرآك اولى الناس بالناس والامامة تحتاج الى من ياكل الجشب ويلبس الخشن ويركب الحمار ويعود المريض فقال لهم ان يوسف كان نبيا وكان يلبس اقبية الديباج المزررة بالذهب ويجلس على متكآت آل فرعون ويحكم. انما يراد من الامام قسطه وعدله اذا قال صدق واذا حكم عدل واذا وعد انجز ان الله لم يحرم لبوسا ولا مطعما ثم قرأ (قل

من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الزرق... الخ).

اما قوله تعالى (وكذلك مكنا ليوسف في الارض) المصرية (يتبوأ منها حيث يشاء) من المساكن والقصور فقد تاوله البعض بانه لما ولي الامارة امر الصناع والبنائين ان يبنوا له في كل منطقة قصرا وحشاه بالفراش والاثاث والخدم فكان في كل ليلة يبيت بقصر منها حتى لا يعرف موضعه (ولا نضيع اجر المحسنين) واحسانه دعوة الناس الى التوحيد وعبادة الخالق قال الطبرسي انه دعا الملك الى الاسلام فاسلم واسلم ايضا كثير من الناس عن مجاهد وغيره.

(سابقه (١) (امارة يوسف تدل على جواز امور)

قال الطبرسي في مجمع البيان ويستدل من قول يوسف لملك مصر (اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم) على جواز امور.

(الاول) جواز تزكية الانسان نفسه من الخطيئات واظهاره محاسن نفسه وتعريفه نفسه لمن لا يعرفه لاسيما اذا توقفت سلامته على ذلك او توقف ثبوت عدالته او براءته مما اتهم به وقد يكون ذلك واجبا اذا كان تركه يؤدي الى هلاكه او ضرر لا يحتمله اما قوله تعالى (ولا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى) النجم/٣٣ فانه يحمل على تزكية المرء نفسه عجبا وكبرا وترفعا على الناس.

(الثاني) جواز طلب الولاية والرياسة في المناصب الدينية والدنيويه من الكفرة والظلمه اذا كان الطالب يتيقن ان يقوم بها حسبما يريد الله من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ويدعم ذلك قول الله (ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ولله عاقبة الامور).

(الثالث) جواز تولى القضاء من جهة الباغي والظالم اذا كان يتمكن به اقامة الحدود والاحكام الدينية ا هـ.

(الرابع) جواز ترشيح الانسان نفسه للمناصب التي يمكنه القيام بها وان كان فيها غيره ممن لا يحسن القيام بها فان يوسف (ع) قد رشح نفسه للرياسة على

امور الدولة ومواردها الاقتصادية مع ان العزيز كان يشغلها لان تحري مصلحة الامة اولى واحق من وجود مصلحة الفرد.

(الخامس) يجوز للرئيس الجديد في الدولة ان يبقى من شاء من الاعضاء ويقيل من يشاء ولو كان عزل البعض يضر بحاله.

(مرفق (٢٧) (اعمال يوسف في ايام الخصب)

فلما دخلت سنين الرخاء والخصب اشترى يوسف (ع) في مصر مساحات واسعة من الاراضي والبقاع وزرعها بالمواد الغذائية كالحنطة والشعير والرز والادره والسمسم والماش والعدس والدخن والسكر والقطن من الكتان.

وامر المزارعين والفلاحين ان يهتموا بمزارعهم واخذ يدفع الناس على الزرع والاستنتاج ووضع رقابة على اهل المزارع فيما يبيعون ويشترون ويصدرون منها لخارج البلاد وما يحصدون ويحصلون واخذ يشتري من الزراع واهل الحقول منتوجاتهم ومحصولاتهم باموال الدولة.

وامر ببناء الانابير والاهراء، فكان يوجه للاسواق من الطعام ما تحتاجه البلاد ويكنز الباقي بسنابله في الانابير ليكون الحب آمنا في سنابله من التسوس والفساد ويدخر لطعام الناس والسنابل تكون علفا للدؤاب.

وجاءت عليهم السماء يومئذ بالامطار الغزيرة وزادت الارض في النبات والزرع وتضاعف الثمر في الشجر والزرع والنبات وكثرت الاموال وزاد النتاج في الدواب وعم الخصب والرخاء وتضخمت الثروات حتى جعل الناس يتخذون من الذهب شراكا لنعالهم ونعالا لخيلهم واسورة للقطط والكلاب ويقدمون الفاكهة لانعامهم لا يوجد من يأكلها والصدقات لا يوجد من يقبلها لشبع الناس عنها. حتى امتلئت الانابير والاهراء التي بناها يوسف من الحبوب والطعام.

ومرت السنوات السبع الممرعه ولم تحسبها الناس الا سبعة اشهر او سبعة

ايام لكثرة انسهم بها ومحبتهم لها لان اوقات الفرح والسرور قصيرة بعكس اوقات الحزن والبلاء فانها وان قصرت يحسبها الناس طويلة مديدة قال الشاعر :

شكونا الى احبابنا طول ليلنا فقالوا لنا ما اقصر الليل عندنا
وذاك لان النوم يغشى عيونهم سريعا ولا يغشى لنا اليوم اعينا

وقال ابو تمام

اعوام وصل كان ينسى طولها ذكر النوى فكأنها أيام
ثم انبرت ايام هجر اعقبت نحوي اسى فكأنها اعوام
ثم انقضت تلك السنون وأهلها فكأنها وكأنهم احلام

واكبر شاهد على ذلك ان شهر رمضان يكون على الصائمين بمنزلة سنة في طوله. وبالعكس شهر العسل فانه يكون على المتزوجين كيوم واحد لقصره وقال المؤلف في ذلك :

فزمان الانس ذو قصر كما لزمان السوء طول ومهل
ان شهر الصوم شهر عده وهو طول الحول فينا اذ نزل
ولما قد نال من فرط الهنا عد يوما واحدا شهر العسل

وكان يوسف قد جعل علامات لانتهاء الخصب وابتداء الجدب والمحل فقال للملك الريان ايها الملك ان راس كل امة ملكها ورئيسها فاذا ابتداها امر سماوي بدا برئيسها فاذا آنست جوعا وطوى غير مألوف ومعتاد فاعلم انه ابتدأ القحط.

كما انه جعل لذلك علامة اخرى وهو ان يزيد الاكل المعتاد فاذا اقتصر الانسان على القليل من الطعام علم انها ايام خصب وقناعة واذا غلب عليه الجوع والنهم فلا يشبع من طعام ولا يمل من الاكل فهي دلالة على الجدب والمحل لان

الانسان في الشبع والجوع تابع لامه الارض فاذا كانت روية ندية شبع الانسان بأقل طعام واذا صارت الارض جافة قاحلة غلب على اجسام الناس الجفاف لا يشبعون من طعام ولا يملون من غذاء.

قال زيد بن اسلم في معنى قوله (عج) (.. يأكلن ما قدمتم لهن كان يوسف (ع) يتعرف بقاء الخصب وانتهاءه من ما يصنعه من طعام خدمه واجرائه فاذا اقله واكلوا وبقيت منه بقية علم انه زمان خصب ورخاء واذا صنع طعام اثنين فأكله واحد علم ان الخصب قد انتهى وبدأ زمان القحط والجدب.

والجوع والشبع كالفقر والغنى لا بد للانسان والحيوان منهما متعادلين اما اذا طغى احدهما خرج به عن الاعتدال فان زاد الغنى والشبع عليه وكان قويا بعثه ذلك الى التمرد والكبر وادعاء الربوبية والغزو والاستعمار. وان كان ضعيفا دفعه ذلك الى الميوعة والتفسخ الخلقي في الفسق والاستهتار. وان طغى عليه الفقر والجوع وكان قويا حمله ذلك على السرقة واللصوصية وقطع الطريق وان كان ضعيفا قذف به الى الدجل والخداع والسحر والكهانة وادعاء النبوة قال المؤلف:

اذا زاد الغنى يوما بشخص ... دعاه للخروج على النظام
فان اضحى قوي النفس الوى ... على استعمار او غزو الانام
وقد يطغى ويدفعه لدعوى ... الربوبيات في حلق اللئام
وان امسى ضعيف العزم اخنى ... به لجنى الخلاعة والمدام

وان زاد الفتى فقرا وجوعا ... طغى فيه الهوى للاجترام
فان يك ايدا وافاك لصاً ... لغصب المال من طرق الحرام
وأن يك خاملا اهوى وضيعا ... لكسب الرزق من سبك الكلام

وصدق يوسف الصديق (ع) فيما اخبر به فبينما الملك الريان ذات ليلة نائما على فراشه واذا قد هب من نومه منتصف الليل وهو يحس بألم الجوع يقرض في امعائه

واخذ يبحث في حجرات القصر عما اذا كان هناك طعام حتى وجد قطع خبز يابسة فوقع عليها يأكلها وفي الصباح اخبر يوسف بما قدر له قال نعم انه زمان اليسر قد مضى وزمان العسر والشقاء قد ابتدأ.

(مرفق (٣٨) (اعمال يوسف في زمان الجدب بمصر)

(سابقة (١) (دواعي الجدب والقحط)

وابتدأت بمصر سنوات الجدب والقحط وحلت بأهلها المجاعة الساحقة التي ذهبت بالخف والحافر واتت على الرطب واليابس وشملت بلاد مصر وما حولها من بلاد الشام والاردن وفلسطين ولبنان.

وكان لوقوع هذه المجاعة اسباب (الاول) ظلمهم لنبي الله يوسف وحكمهم عليه بالسجن بعد ظهور براءته وقيام البينات على نزاهته فهل من العدل ان يسجن نبي الله لارضاء امرأة العزيز وزوجها من دون جناية ولا ذنب فهو كأن يقتل انسان فقير ليداوي بدمه انسان غني. فبمثل ما سجن النبي سبع سنين عمهم الجدب والبلاء سبع سنين.

(الثاني) ما قدموه من الاسراف والتبذير ايام الخصب والرخاء فلم يقدروا تلك النعم حق تقديرها ولا وضعوها في مواضعها التي اراد الله لها فقد سبكوا من الذهب نعالا للخيل واسورة للكلاب وقدموا الفواكه الطيبة تأكلها الانعام وتطأها الاقدام قال تعالى (يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ان الله لا يحب المسرفين).

(الثالث) البطر والبذخ باستباحة المحرمات وانتهاك الحرمات فشاع فيهم الفسق والدعارة فلم يقتصر الرجال على اتخاذ الجواري بل اضافوا لها اتخاذ الغلمان وشاركوا النساء في لبس الاسورة من الذهب والعقود من اللؤلؤ ولم تقتصر النساء على نكاح الازواج بل اتخذن معهم الاخدان وشاركن الرجال في ركوب الخيل والتعري والسفور قال تعالى (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم واذا

اراد الله بقوم سوء فلا مرد له وما لهم من دونه من وال) الرعد / ١١ (وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون).

وهذا نفسه ما وقع ببلاد لبنان فلم يكن من سبب لتحويلها الى ميادين حرب وقتال ومعارك دامية ومجازر بشرية وحمامات من الدم ابتداء من عام ١٩٧٨ م حتى عامنا هذا ١٩٨٣ م الا ما كان لاهلها من انتشار الفسق والدعارة والعهر والخلاعة.

(قصة اهل نهر الثرثار)

(الامر الرابع) الاستخفاف بالنعم فانه مما يؤدي الى زوالها. ذكر السيد نعمة الله الجزائري في النور المبين ص ٣٠٥ عن البرقي في المحاسن بسنده عن عمرو بن شمر قال حضرت مع الامام الصادق (ع) يوما مائدة فقمنا من الخوان والصادق (ع) يلحس اصابعه فتبرمت من ذلك فقال يا بن شمر اني لالحس اصابعي من الطعام حتى اخشى خادمي يظن ذلك من الجشع وليس الامر كما ظن فانما ذلك تعظيم لانعم الله فان قوما كانوا في احدى بلاد الهند وكان لهم نهر يسمى (الثرثار) كنهر الفرات والنيل يسقي زروعهم ويروي اراضيهم ودرت به عليهم نعم وافرة وآلاء سابقة وكثرت عندهم الاطعمة بجميع انواعها حتى بطروا وطغوا فبلغ من طغيانهم ان يميطوا القذى والاقذار عن صبيانهم بأرغفة الخبز المصنوع من لباب القمح ثم يرمون بذلك الخبز في مزبلة فكثر فيها حتى ارتفع مثل الجبل من الخبز المسلوب.

فمر بتلك البلاد مرة رجل من الابرار الصالحين فنظر امرأة تمسح القذر من صبي لها برغيف قال لها يا هذه ماذا تصنعين اتجعلين الخبز وهو افضل غذاء انزله الله للانسان مثلاة تميطين بها الاقذار لقد والله بطرتم بالنعمة وطغيتم على الله وكفرتم بأنعمه فلن تبقى لكم وانتظروا زوالها قالت كأنك تخوفنا بالجوع اما ترى نهر الثرثار يجري على بقاعنا واراضينا فلن نخشى من الطوي ولا الفقر ابدا.

وفي ص ٣٣٧ عن الكافي بسنده عن ابي عبد الله (ع) قال ان نبي الله دانيال دخل مرة بلدا فحمله احد المكارين في سفينة فلما بلغ به الموضع الذي اراد دفع له اجرته اربعة ارغفة من لباب الحنطة فرمى بها صاحب المعبر قال ما اصنع بالخبز والخبز عندنا مثل التراب يداس بالاقدام ثم اخذ يطأ بنعله على تلك الاطعمة فعظم ذلك على دانيال ورفع بصره الى السماء وقال اللهم اكرم الخبز فقد رأيت ما صنع به هذا الجلف وما قال. اللهم اسلبهم نعمتك واحرمهم رحمتك فقد استخفوا بأنعمك وجهلوا فضلك وكفروا باحسانك.

فاستجاب الله له فحبس عنهم قطر السماء وغاض نهر الثرثار فمحلت الحقول وجفت المزارع ويبست الاشجار واصبحت الارض كالفخار لا تنبت عشبا ولا تنبع ماء ومرت بهم سبع سنين كسني المحل التي مرت بأهل مصر في عهد يوسف الصديق (ع) ذهبت بالخف والظلف والحافر ولم يجدوا ما يأكلون غير ذلك الخبز النجس الذي مسحوا به ادبار صبيانهم عادوا يتناحرون على نهبه وقامت الولاة تقسمه بينهم بالميزان. ولما نفد ذلك الجبل المصنوع من الخبز النجس لم يجدوا ما يأكلون الا انفسهم فاذا مات منهم ميت اجتمعوا عليه وتناهبوا لحمه واكلوه بدل ان يدفنوه ولا ينتظرون المحتضر ان يلفظ انفاسه حتى يقطعوه بالمدى ويقتسموا اعضاءه.

فمر بهم دانيال مرة اخرى بعد سبع سنين واذا امرأتان تتنازعان في ناحية فوقف عليهما وقال فيم تتشاجران؟ قالت احداهما لقد عاهدتني على اكل ولدينا فأكلنا ولدي بالامس وشحت هذا اليوم بولدها علينا فغيبته حتى لا نذبحه ونأكله قال ومن اباح لكم اكل الاولاد قالت ضرورة الجوع. فرق دانيال لحالهم وسأل الله ان يعيد نعمته عليهم فأجرى الثرثار وانبت المزارع والحقول كما كانت اولا.

(سابقة (٢) (المجاعة المصرية)

وكان ابتداء المحل فيهم بتقاصر نهر النيل فما زال يتقاصر حتى قصر عن ان يعلو الاراضي الرابية والبقاع العالية ثم تقاصر حتى عن المزارع الهابطة وشحت

السماء عليهم بقطرها والارض بنبتها والاشجار بحملها والانعام بدرها وانتاجها فعزّت الارزاق وقلت الاقوات وخليت الاسواق وساد الاحتكار عند التجار وارتفعت الاسعار واصبحت وجبات الطعام محدودة واقواتهم معدودة.

كما قال حافظ ابراهيم:

ايها المصلحون ضاق بنا العيش ولم تحسنوا عليه القياما
عزت السلعة الذليلة حتى عاد مسح الحذاء خطبا جساما
وغدا القوت في يد الناس كاليا قوت حتى نوى الفقير الصياما
يقطع اليوم طاويا ولديه دون ريح القتار ريح الخزامى
ويخال الرغيف في البعد بدرا ويظن اللحوم صيدا حراما
ان اصاب الرغيف من بعد كدّ قال من لي بان اصيب الاداما
اوشكت تأكل الهبيذ من الفقر وكادت تذود عنه النعاما

(الهبيذ) طعام زهيد تعلف به النعام نوع من العلف.

اما خدمات يوسف في هذه الازمة التي قدمها لشعبه وامته فهي:

(اولا) قام باحصاء جميع السكان في الاراضي المصرية من رجال ونساء واطفال ومواشي وانعام ودواب وعد البيوت والمساكن والمناطق فجعل لها ارقاما وسجلات واقام في كل منطقة باعة ورقباء تبيع اهلها اقواتهم حسب ما قدر لهم من الطعام بحسب اعدادهم.

وبذلك استطاع ان يوزع الاطعمة على اهلها فيوصل الى كل ذي حق حقه دون جنف او تفضيل بعض على آخرين فما شكى احد جوعا ولا نقص الطعام عمن احتاج اليه. ومن هنا يعلم ان الله سبحانه ما خلق خلقا الا وقدر له من الرزق ما يكفيه طول حياته وانما يظهر العجز احيانا وينقص القوت لاستئثار بعضهم على بعض ولانه لم يقسم بينهم بالعدل كما قال (ع) والله ما جاع فقير الا بما متع به غني.

(ثانيا) كان يوسف الصديق في تلك المجاعة لا يشبع نفسه من طعام قط حتى كانت ترى صفرة الجوع على وجهه فاذا قيل له ذلك قال اني اخشى لو شبعت ان انسى الجائعين. وهكذا كان سيدنا امير المؤمنين (ع) ايام خلافته فهو يقول (ولو شئت لاهتديت الطريق الى مصفى هذا العسل ولباب هذا القمح ونسائج هذا القز ولكن هيهات ان يغلبني هواي او يقودني جشعي الى تخير الاطعمة ولعل من في الحجاز او في اليمامة من لا عهد له بالشبع ولا طمع له في القرص أأبيت مبطانا وحولي بطون غرثى واكباد حراء فأكون كما قال القائل:

وحسبك عارا ان تبيت ببطنه ... وحولك اكباد تحن الى القد

وهو يشير بهذا البيت الى ما اشتهر به حاتم بن عبد الله الطائي فقد كان يقول:

ايا ابنة عبد الله وابنة مالك ... وابنة ذي الجدّين والفرس الورد
اذا ما صنعت الزاد فالتمسي له ... اكيلا فاني لست آكله وحدي
غريبا قصيا او قريبا فانني ... اخاف مذمات اللجاجة من بعدي
وحسبك عارا ان تبيت ببطنه ... وحولك اكباد تحن الى القد

وهذه هي العلة التي من اجلها فرض الله الصوم في شهر رمضان كل سنة على المسلمين فقد كان القصد من ذلك ان يتذكر الاغنياء اذا جاعوا ،حال الفقراء وما يعانون من بؤس وفقر فلا يضنوا عليهم بحقوقهم ولا يمنعوهم ما فرض الله لهم في اموالهم.

(ثالثا) كان (ع) اذا جنه الليل امر الخدم ان يحملوا اصواعا من اصناف الطعام الخبز والحلوى والفاكهة واللحوم فيطوف بها على العجزة والفقراء وذوي العاهات الذين اهملهم الناس وشغلوا بالفقر عنهم فيوصل لهم اقواتهم ويغنيهم

بهذه الصدقات عن التكعف والسؤال ولا يعلم احدا منهم بنفسه كما لا يأذن لمن معه من الخدم والحاشية ان يطلعوا احدا على سره.

وقد اقتدى به في هذه المكارم امير المؤمنين (ع) ايام خلافته فقد كان في كل عشية يملأ له جرابا من انواع الصدقات ويطوف بها على فقراء شعبه فيصلهم بالقوت والطعام الى منازلهم. وخلفه في ذلك ايضا اهل بيته فكانوا في ايامهم يحملون الصدقات على ظهورهم كل ليلة الى منازل الفقراء واهل الحاجة من دون ان يعرف حاملها الا بعد موته بانقطاعها عنهم.

(رابعا) انه (ع) جعل كل اسرة من شعبه وكل اهل بيت في عزلة عن الاسرة الاخرى حتى لا يدعى احد من اولى العيال زيادة في عياله فيأخذ من الطعام اكثر مما يستحقه. ثم وزع الطعام على المناطق وارصد في كل منطقة باعة منهم يبيعون الناس قدر حاجتهم اذ كل اهل بيت قد احصيت نفوسهم وافرادهم. وعين للباعة اسعارا محدودة لا يجيز لهم ان يتجاوزوها او يزيدوا عليها بأوزان معينة وارباح مقررة.

(تسعيرة الغلاء في عهد يوسف (ع))

وفي البحار ٥/١٨٤ عن الكافي بسنده عن سعد عن رجل عن الصادق (ع) قال: لما وكلت امور المعاملة على الاطعمة الى يوسف ايام المحل في مصر جعل البيوت في ايدي الوكلاء ليبيعوا الطعام منها على الناس فيوما يقول للوكيل سر وبع اليوم بسعر كذا ولا تقل على الناس ويوما اذا علم بصعود السعر يقول اذهب وبع الطعام ولا يذكر السعر لانه لا يحب ان يجري الغلاء على لسانه.

فيأتي المشتري ويقول للوكيل بعني صاعا او بعني مدّين فيكيل له ما ذكر ويقول بكم هذا فيقول له بما سمعت او بالسعر الحاضر فيعطيه المشتري.

ويأتي المشتري الآخر ويقول بعني من القمح بعشرين درهم فيذهب الى كيل فيكيل له كما كال بالامس فاذا بلغ دون ما كال بالامس قال المشتري حسبك. فهذا بعشرين درهما ولست اريد اكثر من ذلك فليس لي من المال ما يسعه فيعلم

الوكيل بان السعر قد ذهب الى الغلاء.

(الاثمان التي اشترى الناس بها اقواتهم)

وذكر الثعلبي في العرائس والطبرسي عن الرضا (ع) ان يوسف (ع) باعهم الطعام في السنة الاولى بالنقود من دراهم ودنانير وذهب وفضة حتى لم يبق عند احد درهم ولا دينار وفي الثانية بالحلي والجواهر والنفائس والذخائر والفرش والالبسة الفاخرة وفي الثالثة بالمواشي والدواب والانعام والدواجن والاطيار وفي الرابعة بالجواري والرقيق وفي الخامسة بالعقارات والاراضي والنخيل والبساتين والمنازل والديار وفي السادسة بالاولاد والذرية وفي السابعة باعهم اقواتهم فيها برقابهم فتحولت مصر بما فيها ملكا ليوسف (ع) كما قال تعالى ولقد مكّنا ليوسف في الارض) المصرية وما حولها من البلدان (يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع اجر المحسنين).

وفي مجمع البيان عن كتاب النبوة بسنده عن الحسن بن علي ابن بنت الياس عن الرضا (ع) قال:.. واقبل يوسف (ع) على جمع الطعام فجمع في السبع السنين المخصبة فكبسه في الخزائن فلما مضت تلك السنون واقبلت المجدبة اقبل يوسف على بيع الطعام فباعهم في السنة الاولى بالدراهم والدنانير حتى لم يبق بمصر وما حولها درهم ولا دينار الا صار في مملكة يوسف وفي السنة الثانية باعهم بالحلي والجواهر وفي الثالثة بالدواب والمواشي وفي الرابعة بالعبيد والاماء وفي الخامسة بالدور والعقار وفي السادسة بالمزارع والانهار وفي السابعة برقابهم فلم يبق في مصر وما حولها شيء مما ذكرنا الا عاد في مملكة يوسف.

فملك احرارهم وعبيدهم واموالهم وقال الناس ما رأينا ولا سمعنا بملك اعطاه الله من الملك ما اعطى هذا الملك حكما وعلما وتدبيرا.

(اعادته الاموال على اهلها)

قال الرضا (ع) فلما ذهبت سنين المحل وعاد الغيث والخصب على الناس

واستغنوا عن طلب الطعام منه قال يوسف للملك ما ترى في ما خولني الله ربي من ملك مصر واهلها فأشر علي بما ترى فاني لم املكهم لافسدهم ولم انجهم من البلاء لاكون بلاء عليهم فاني اشهد الله واشهدك اني قد اعتقت رقابهم ورددت عليهم اموالهم وممتلكاتهم ورددت عليك ايها الملك خاتمك وسريرك وتاجك على ان لا تسير في الناس الا بسيرتي ولا تحكم الا بما عاملت به الناس من احكامي.. فعاهده الملك على ذلك وشكر حسن صنيعه وفعاله.

وذكر في العرائس انه لما عاد الخصب والخير اعتق رقابهم واعاد لهم كل ما اخذ منهم ولم يذكر انه نزل عن العرش وتخلى عن الملك للملك السابق.

وفي هذه الاخلاق الكريمة يقول المؤلف:

كرم الطبع يحمل المرا في النا ... س على المكرمات نبلا ويسرا

فتراه بكل شوق وعطف ... يغمر العالمين جودا وبشرا

محسنا في الذي اساء اليه ... واصلا بالجميل من ساء هجرا

مثل عود بالحرق يوليك طيبا ... وزهور بالعصر توليك عطرا

(مرفق (٢٩) (زواجه بامرأة العزيز راعيل)

والحديث عن ما كان ليوسف (ع) مع العزيز وامراته لما خرج من السجن يستدعي سوابق

(سابقة (١) (ما كان لعزيز وامراته ايام الجدب)

ذكر المؤرخون ان يوسف (ع) لما خرج من السجن وثبتت براءته ونزاهته عن الاخطاء والنقائص وانتصر على العزيز وامراته لم يتعرض لاهانتهاولا طلب من الملك تجريمهما بل لم يزل قائما باحترامهما وتكريمهما رغم اساءتهما له وتحاملهما عليه

لانه لا يبرح يتذكر احسانها اليه سابقا وما قدما له من خدمات

اما العزيز قطفير فهو الذي اشتراه من مالك بن ذعر بثلاثة اعداله من الذهب والعنبر والمسك وحمله مكرما الى قصره واقام وليمة لاستلحاقه واشهد الملك والوزراء واعضاء الدولة على انه اتخذه ولدا يتوارثان ويتضامنان في الاموال والممتلكات والعقد والحل وبعد خروجه من السجن نزل له عن الرياسة وجعله وصيا له بعد موته

واما راعيل فهي اللتي آوت يوسف اليها وقامت بحضانته وكفالته فقد دخل عليها وهو طفل صغير فكانت هي اللتي تغسل ثيابه وتسرح شعره وتهيء فراشه وتعد له كل ما يحتاج اليه من طعام وشراب ولباس مدة عشر سنين فقد دخل عندها وهو ابن سبع سنين وخرج عنها ابن (١٧) سنة وكانت تبعث اليه لما ادخل السجن يا حبيبي يوسف لا تظن انك معذب انما انت مقرب وتأتيه بما يحتاج اليه

وذكر في لئالي الاخبار ١٦٣/١: انها فتنت بحب يوسف حتى بلغ بها الحب انها اذااقتصدتاو احتجمت واهرق دمها على الارض كتب على الارض: (يوسف يوسف) وقد اخذ هذا المعنى الشيخ عبد العظيم الربيعي لوصف حب الانصار في واقعة الطف لسيدنا الحسين (ع) قال:

لو ادعيت بان خط اسمه دمهم على الصعيد لما بالغت في الكلم
فلا عجيب اذا اهتزت جسومهم لصوته هزة العشاق للنغم

ففي البحارة /١٧٩ عن تفسير علي بن ابراهيم قال مات العزيز ايام الجدب فأمت بعده راعيل وذهب مالها وجمالها حتى احتاجت تسأل الناس...اهـ..

فقد اصيبت لما عملت بيوسف (ع) من اتهامه بالخيانة وادخاله السجن بعقوبات (الاولى) سقوط اعتبارها ومنزلتها من اعين الناس باعترافها عند الملك بالخيانة اللتي بهتت بها يوسف قال تعالى (قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق انا راودته عن نفسه..) و(الثانية) وفاة زوجها العزيز ايام الجدب و (الثالثة) نفدت اموالها ايام الجدب في سبيل تحصيل القوت والطعام والغذاء والكساء و

(الرابعة) وهو اشدها فقد البصر فقد اصبحت في قصرها عمياء وقطعها الناس فلا احد يصلها بزيارة ولا صلة

فكان يوسف يصلها بالصدقات في جملة من يطوف عليهم بها في الليل فاذا قال له الخدم: اتصلها بالصدقات وهي اللتي عملت بك ما عملت؟ قال: نحن قوم لا نكافيء من اساء لنا الا بالاحسان. وكانت راعيل تعلم ان يوسف (ع) هو وصي زوجها قطفير على امواله وممتلكاته ولكنها تستحي ان تعرض احوالها عليه وتستجدي نداه

(سابقة (٢)) (مقابلة راعيل ليوسف (ع))

في لتالي الاخبار ١/٢٦٢ عن الامام الهادي (ع) قال لما مات العزيز في السنين المجدبة افتقرت امرأته زليخا حتى احتاجت تسأل الناس فقيل لها ما يضرك لو قعدت ليوسف في طريقه فعرضت حالك عليه فأنه رحيم كريم قالت اني استحي منه لما صار مني اليه قالوا انه من اولياء الله فلا تظني به الا خيرا

وفي ص ٢٦١ انها ارادت ان تقف ليوسف (ع) في طريقه تشكو اليه ما هي فيه من الحدثان وتذكر حاجتها، قالوا انك فعلت معه ما فعلت ولا نأمن عليك منه... قالت اني لا اخاف ممن يخاف الله. وما زالوا يزينون لها مقابلته حتى استجابت لهم

وكان ليوسف (ع) عادة في كل يوم يمر بشارع من شوارع الاسكندرية فيوم السبت يمر بشارع الزيتون ويوم الاحد بشارع النصر ويوم الاثنين بشارع الزمالك. وكان موكبه يتألف من عشرين فرقة بمختلف الازياء والاشكال تتقدمه فرقة المشاة بالموسيقى والصنوج واعلام الدولة وبعدها الحرس والضباط و العرفاء والقواد والامراء والوزراء. اما يوسف فقد دس نفسه في فرقة الملوك الذين البسهم مثل لباسه وشكله حتى لا يعرف من بينهم. وهو في هذه المظاهر الملكية على حد ما

يقال.

اخالط ابناء الزمان بمقتضى عقولهم كيلا يفوهوا بانكاري

فلما علمت راعيل بخروجه امرت جاريتها جوهر ان توقفها وسط الشارع الذي يمر به وهي تقول اما النصر او القبر فلما وصل الموكب بقربها صاحت بها الفرسان الذي تتقدمه: ابعدي يا امة الله يا خرقاء يا حمقاء ان تسحقك الخيل قالت اسحقوني و اقتلوني اني استحق القتل انا الخاطئة انا الجانية فتوقف الموكب لها باجمعه وقالوا ما تريدين قالت اريد مكالمة العزيز يوسف فابلغوه عنها فاتاها وقال انا يوسف يا امة الله فما شأنك؟ قالت انت يوسف قال نعم فشهقت شهقة كادت روحها ان تخرج وقالت سبحان من جعل الملوك بمعصيته عبيدا وجعل العبيد بطاعته ملوكا يا حبيبي انا اسيرة حبك وشهيدة هواك اللتي جنيت عليك وفعلت ما فعلت بك انا امتك راعيل لقد اقتص الله مني ما صنعت بك مات زوجي ونفد مالي وذهب بصري وتعجل شيبي وفني عمري وها انا بين يديك ارملة بائسة عمياء

وفي ص ٢٦٣ قال: يا زليخا اين مالك وجمالك قالت ذهبا في حبك قال واين عيناك قالت ذهبتا في البكاء على فراقك قال فاين عشقك قالت هو في صدري كما كان قال فأين برهانك قالت ناولني سوطك فناولها اياه فتأوهت ونفخت فيه فاحترق السوط من لهيب انفاسها قال لهذا القدر بلغ بك الهيام قالت ليس ما رأيـت الا قبسة من نار وغرفة من بحر

قال وما حاجتك قالت اني اعترفت بالتقصير في حقك والخطأ عليك فهل من توبة هل من غفران قال من تاب تاب الله عليه (ان الله يقبل التوبة من عباده ويعفو عن السيئات) قالت فاني اشهدك واشهد اهل الموكب والذين معك واشهد الله وملائكته وعلى عهد الله ميثاقه اني لا اعود الى خطيئة او سيئة مدى الحياة فهبط الوحي عليه من الله ان الله قد قبل توبتها وغفر لها ذنبها وعفا عنها و هو يعوضها عما نزل بها من البلاء بان لها ثلاث دعوات مستجابة فاخبرها يوسف بذلك قالت فدعوتي الاولى ان يعيد على شبابي وبصري وجمالي قال اجيبت الدعوة

وعاد لها ما طلبت قالت والثانية ان تتزوجني قال معذرة يا راعيل فقد فات الاوان قال جبرئيل اجبها يا يوسف فقد اختار الله لك زواجها قال وكيف اتزوج عجوزا ثيبا عمياء نحيفة قال ان الله سيعيدها لك ليلة الدخول شابة بكرا مبصرة هيفاء لا نظير لها في الحسن والجمال فاستجاب لها قالت و الثالثة ان اكون زوجتك في الجنة قال اما هذه فليست بيدي قال جبرئيل اجبها يا يوسف فقد حملت حبك (١٥) سنة لم يخل نطقها من ذكرك ولم يحل قلبها عن حبك فقد استحقت هذا منك ان تكون زوجتك في الدنيا والاخرة

(عرض فلم سينمائي على يوسف (ع))

قالوا ثم ان جبرئيل لاقناع يوسف بزواج راعيل اظهر له صورة من صور المستقبل - اي لقطة من فلم سينمائي - نظر فيها ملكا جالسا على سرير الملك وعليه تاج من الذهب مرصع باللؤلؤ والياقوت والى جنبه عروس كأنها الشمس الطالعة وعليها كل حلية وزينة وامامها ثلاثة اطفال يلعبون بالهراوي.. قال جبرئيل من هذا الملك يا يوسف؟ قال لا ادري قال تأمل جيدا تعرفه: قال انها صورتي قال اصبت وهذه العروس؟ قال هي امرأة من الحور العين قال لا بل هي هذه زوجتك راعيل وهذه الاطفال هي اولادك منها فقد سبق في علم الله ان تتزوجها وتلد لك هؤلاء الاولاد.

ونقل بعضهم ان هذه اللقطة عرضت على يوسف لما هم ان يبطش بها عندما طلبت منه الخيانة فكان هو البرهان المعني في قوله تعالى (ولقد همت به و هم بها لولا ان راى برهان ربه..)

وقد ظهر ما عرضناه هنا ثبوت ما عرضناه في المرفق العاشر الذي ذكرنا فيه عرض الافلام السينمائية على الانبياء وعلى رسول الله (ص) من قديم الزمان قبل ان يخترعها هؤلاء المخترعون في هذا الزمان

واختيار السيدة راعيل هذه الدعوات الثلاث يعتبر اكبر دليل على جودة فهمها وحسن ذكاءها فكثيرا ما تعطى الفرصة للبعض من عباد الله الصالحين في اجابة دعاءه وتحقيق ما يتمناه ولكنه لا يهتدي لاختيار غايات سامية واهداف عالية

فقد ذكروا ان احد العباد اوحي اليه ان له ثلاث دعوات مستجابة عند الله فادع بما شئت يستجب الله لك فاستشار امرأته فيما يختاره ليسأل الله تحقيقه فقالت لتكن الحاجة في الدعوة الاولى ان يجعلني الله اجمل نساء هذا الزمان على الاطلاق فاجاب لذلك فدعا الله تعالى بذلك فاستجاب اليه وحولها الى صورة اصبحت مضرب الامثال في الحسن والجمال فاشتهر خبرها وشاع ذكرها فسمع بها ملك تلك البلاد فساومه على طلاقها فانتزعها منه كرها وحملها الى قصره. فلما قام في محرابه تلك الليلة جعل دعوته الثانية ان يحولها الله للملك كلبة عقورا فاجيبت الدعوة ولم يشعر الملك الا وتلك المرأة تحولت لصورة كلبة فاستوحش منها وطردها من قصره فعادت الى بيت العابد زوجها. فلما رآها عرفها وجعل الدعوة الثالثة ان يعيدها الله الى سيرتها الاولى فاعادها كما كانت اولا ... وذهبت الدعوات الثلاث في لا شيء

وجاء في الحديث ان الله تعالى لما اخبر نبيه محمدا (ص) بما يجري من بعده على اهل بيته وذريته من ظلم الخلفاء والولاة حزن لذلك واهتم اهتماما بالغا فاتاه جبرئيل وقال يا محمد لا تهتم ولا تحزن فأن لك دعوة مجابة عند الله وان شئت كانت دعوتك لنجاة اهل بيتك من القتل والظلم وان شئت كانت دعوتك ذخيرة لنجاة العصاة من امتك يوم القيامة قال بل احب ان تكون دعوتي لنجاة العصاة واصبر انا واهل بيتي على البلاء

وظهر من هذا ان الواجب في الامر ان لا يضيع الانسان هذه الفرص الغالية عندما تتاح اليه بل عليه ان يختار افضل الغايات واشرف التمنيات

(سابقة (٤) (بناء يوسف بالسيدة راعيل)

عندما تم الاتفاق بين يوسف وراعيل على الزواج جعلت راعيل وليها في الامر الملك الريان ليقوم هو بتزويجها وتقدير الصداق والكسوة وما الى ذلك. فقدر ان يكون صداقها خمسة عقود من اللؤلؤ وعشر قلائد من ياقوت وزبرجد وفيروزج ومرجان وعشرين سوارا من الذهب مرصعة بالمجوهرات ومائة ثوب من حرير واستبرق ووشي منسوج بذهب وعشر جواري من الروم وعشرة غلمان من الفرس ومائة راس من الضان وخمسين راسا من الابقار وثلاثين من الابل وعشرين من جياد الخيل.

واولم يوسف (ع) لزواجه سبع ليال دعا فيها اهل مصر قاطبة وخصّ كل ليلة منها بجماعة منهم فلم يدع منهم احدا الا وحضر وتناول من طعام هذا الزواج السعيد وامر الملك ان تزين المدن والقرى والارياف بكل زينة واقيمت اقواس النصر والاعلام على سطوح المنازل واوقدت القناديل في الشوارع والطرقات من اول الليل الى آخره مدة سبع الليال.

وخلع الملك على يوسف ليلة دخوله باهله قميصا ملكيا يقدر بآلاف الدنانير منسوج من وشي وحرير وذهب وعنبر لا يتبدل لونه ولا يتغير طيبه اذا نشر في الدار شمت رائحته الذكية من مسافة مائة وعشرين مترا وهذا القميص هو الذي دفعه يوسف لاخيه يهودا عندما تعرف بهم واعترفوا بتقصيرهم في حقه وسألوه العفو عنهم فقال له (اذهب بقميصي هذا فألقه على وجه ابي يأت بصيرا واتوني باهلكم اجمعين. فلما فصلت العير قال ابوهم اني لاجد ريح يوسف لولا ان تعندوق فلما جاء البشير القاه على وجهه فارتد بصيرا..)

واعاد الله تلك الليلة راعيل ليوسف شابة بكرا عذراء مبصرة كاجمل ما تكون من الفتيات والحورالعين في سن الـ ١٤) سنة من العمر وفي اللئالي ١/٢٦٢ قال: وجاء بها يوسف الى داره وجاء جبرئيل لها بحلة من حلل الجنة

وفي حديث على بن ابراهيم واللئالي وغيرهما ان يوسف (ع) لما بنى براعيل واصاب منها قال لها اهذا خير ام ما كنت تدعين اليه؟ قالت يا سيدي لا تلمني على ما فرط مني فأن لي فيما فعلت اعذارا ثلاثة (الاول) ما كساك الله به من حلة الجمال الذي لا نظير له في الدنيا فقد شغفت بحبك والتأط بلحمي ودمي عشقك و (الثاني) ما كنت تراني فيه من شباب وترف وغنى ودلال وحسن وجمال فكلها تدفعني لاشباع الغريزة من حلال او حرام و (الثالث) ان زوجي العزيز قطفير كان عنينا لا تتحرك له شهوة ولا يقضي حاجة امرأة وانما صبرت عليه لكثرة امواله وحسن احواله ومحبته لي وعطفه علي. فهل تراني بعد هذه الامور اقدر على الصبر او املك نفسي من السقوط امام اللذة.

وذكر في اللئالي ١/٢٦٢ ان راعيل يوما تواغدت على يوسف بعد زواجهما فقامت في محرابها وانصرفت عنه لعبادتها واغلقت باب المحراب عليها حتى مضى وهن من الليل وشق على يوسف بطؤها وطال عليه انتظارها فلم يأته نوم وظل ساهرا لاتيانها فلما شق عليه الانتظار قام من فراشه واتاها فدق الباب عليها فتشاغلت عنه بالعبادة فكسر الباب قسرا ودخل عليها وجذبها اليه ففرت عنه فعدا خلفها فقد درعها من الخلف حين امسكه ليحبسها ثم وقع عليها ولما قضى وطره منها نزل جبرئيل وقال يا يوسف انحسم النزاع وارتفع الخصام فليس لك اي لائمة عليها عشق بعشق وفرار بفرار وقد قميص بقد قميص

(سابقة (٥)) (ضمان الله بتعويض الاعفاء)

وباعادة راعيل زوجة جميلة حلالا ليوسف لعفته عنها وهي حرام اكبر شاهد ودليل على صدق الحديث الذي رويناه في (كواكب الاشراق) ١/٦٠ عن نهج الفصاحة ص ١٧٧ عن النبي (ص) قال انك لا تدع شيئا اتقاء الله الا اعطاك الله خيرا منه وعن الصادق (ع) قال ان الله اوحى الى نبيه يا محمد وعزتي وجلالي ما

من عبد قدر على مال ان يأكله حراما فعف عنه خشية مني الا كان على ان اعيده عليه حلالا. وما من عبد قدر علي امرأة ان يصل اليها بطريق حرام فعف عنها خشية مني الا كان علي ان اعيدها عليه زوجة حلالا والعاقبة للمتقين.

ومعنى ذلك ان الله يضمن لمجتنب الحرام باعادته عليه من طريق حلال ولكن بهذا الشرط وهو ان يكون اجتنابه له لمحض الخشية من الله وحده لا لخشية جهة اخرى فقد تكون عفته عنه لخوف من السلطات القائمة او من تحمل المسئولية او وقوع ما يمس من كرامته ويحط من قدره او تحمل غرامة اوضريبة، ففي كل هذه الاصناف لا يضمن الله ان يعيد عليه ما عف عنه وانما يضمن ما كانت العفة عنه لمحض الخوف من الله.

اما القصص التاريخية اللتي تشهد على صدق مضمون الحديث فكثيرة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر

(١) (عفة بائع الكتان عن الافرنجية)

في ثمرات الاوراق ١/ ٢٠١ عن شجاع الدين الشيرازي قال: مضيت الى مصر واستضفت عند رجل من اهل الرباط واذا به شديد الادمة ولهم بنون كأنهم اللؤلؤ المكنون جمالا وزهر الورود حسنا ومثالا فسألته عن سبب ذلك قال ان جمالهم موروث من جمال امهم لانها من بنات الافرنج كانت نصرانية فأسلمت قلت وكيف حصلت عليها؟ قال اعلم اني زرعت ذات سنة الكتان فصرفت عليه خمسمائة دينار حتى اذا حصدته عرضته للبيع فلم يسمه التجار الا بخمسمائة دينار فقلت لا ابيعه الا بمصلحه فنقلته الى القاهرة واذا السعر بحاله لم يزد فابيث ان ابيعه فذكر لي ان ببلاد عكة في فلسطين وكانت مستعمرة لاهل فرنسا سعرا غاليا للكتان فحملته اليها واذا السعر بحاله فتمثلت.

قد شاب رأسي ورأس الدهر لم يشب ان الحريص على الدنيا لفي تعب
يرجو بطول العنا رزقا يزيد فلا ينال غير ازدياد الكل والنصب

ورأيت ان ابيعه بالقطاعي ففتحت له دكانا وجعلت اصرفه بما تيسر له من السعر وكان الدكان هو المتجر والمسكن. وفي ذات يوم وافتني امرأة معها غادة حوراء تزهو جمالا وتميس دلالا فسبتني بمحاسنها وسحرتني بمفاتنها وسألتها ان تقبلني زوجا على ما تطلب من صداق فلم تقبل الا ان اتنصر فسألتها عن طريق البغاء فأجابت على ان تكون الليلة بخمسين دينارا ووعدتني العود ليلا فاشتريت لتلك الليلة ما تطلبه دواعي الانس والسرور وجاءت عند الغروب وقضيت معها سهرة ممتعة بانواع الفاكهة و الطعام والشراب وعند المنام تخلت المرأة وبقيت معي الفتاة فبنيت بها ولما هممت بغشيانها آب لي رشدي وتذكرت حديث النبي (ص) من زنى بامرأة يهودية او نصرانية او مسلمة حشره الله يوم القيمة انتن من الجيفة... الخ) فبت معها ولم اتجاوز المقدمات ثم سألتها العود في الليلة الثانية قالت انك عنين ولا جدوى في العود اليك قلت لا والله ما بي من علة ولا داء ولكن خطر بقلبي شيء منعني ما قصدت له وسوف لا يعرض هذه الليلة قالت لا اعود اليك الا بمائة دينار قلت كما تطلبين وجاءت مع المرأة في المساء وقد عملت لهما ما عملت في المرة الاولى واطيب واكثر فلما خلوت بالفتاة واردت ان اصيب منها تذكرت الحديث: لا تزنوا فتزني نساؤكم ومن زنى ببنات الناس زنى الناس ببناته وكما تدين تدان فامتنعت عنها وقنعت بالحديث والمزاح فلما اصبحت سألتها ان تعود قالت لا خير فيك انك انثى واخذت تعيرني وتعذلني وانا اخشع لها واعدها الاقلاع عما وقع ولم تقنع الا بعد لأي شديد وطلبت مائتي دينار فقبلت.

وعادت ليلة الثالثة مع المرأة عند المساء ولما خلوت بها تذكرت ما روته العلماء عن النبي (ص) انك لا تدع شيئا اتقاء الله الا اعطاك الله خيرا منه فرجف قلبي واعتزلتها ثم ودعتها في الصباح لغير رجعة.

وفي ذلك اليوم اعلن رجال الحكم في تلك البلاد حالة الطوارىء وان لا يبقى

فيها مسلم اكثر من ثلاثة ايام والا صادروا امواله واعتقلوه فبعت ما بقي عندي من الكتان واشتريت بثمنه جواري وعدت الى مصر فنلت في بيع الجواري ربحا هائلا وخيرا كثيرا ثم اتخذت بيع الجواري متجرا ومكسبا اعيش به لمدة من الزمان.

وفي ذات يوم بعث الي صلاح الدين الايوبي ان احمل اليه جارية بمئة دينار فحملت اليه اجمل الجواري وحولني على امين الصندوق لقبض الثمن فلم يجد الامين الا تسعين دينارا فقط فعدت لصلاح الدين فاخبرته قال لقد جيء لنا اليوم بشيء كثير من الافرنج فيه جواري حسان فاذهب وخذ لك جارية مكان عشرة الدنانير الباقية فذهبت الى السبي واذا في مقدمته الجارية التي امتنعت عن مساورتها بعكة ثلاث ليال فعرضت الحواله على القائد وقال خذ من تشاء فأخذتها وكانما نلت الدنيا او الجنة باجمعها ، ثم تعارفنا فعرفتني ودعوتها الى الاسلام فاسلمت وتزوجتها وكنت معها بارغد عيش وأهنأ حياة وقلت لها : اهذا خيرا ام الذي كنت تلومينني على تركه.

وبعد ايام اصدرت الحكومة الحاضرة في مصر امرا بأن يرد الناس من في ايديهم من الاسرى من اختار منهم المسير لاهله ومن لم يرد لم يجبر على العودة لبلاد الافرنج لكي تعيد الافرنج من في ايديهم من اسرى المسلمين فاتيتها واخبرتها فاختارت البقاء معي في مصر فحملتها لدار الرياسة واعلنت لهم اختيارها دين الاسلام والبقاء في بلاد المسلمين فسمحوا لها بالبقاء ولما خرجت بها هتف بن هاتف فقلت من انت؟ قال انا رسول لك من ام هذه الجارية في عكة انها تقرئك السلام ونهبك هذه الحقيبة فاستلمتها منه.

ولما عدنا الى الدار فتحت الحقيبه واذا فيها تلك الاموال التي دفعتها لها على الاتصال المحرم كل مرة بحالها لم تفتح فقلت للجارية انظري صدق نبينا محمد (ص) ثم رويت لها الحديث : انك لا تدع شيئا اتقاء الله الا اعطاك خيرا منه واريتها البرهان في نفسها والمال الذي اعيد علينا.

وولدت لي هذه الاولاد مثل البدور والاقمار قد كستهم منها حسنا وجمالا .

(٣) (عفة موسى الكليم عن بنت شعيب (ع)

واعجب من هذا ما حدث لنبي الله موسى بن عمران (ع) فقد غض بصره عن صفورا بنت النبي شعيب (ع) نهارا وما جاء الليل الا وقد ساقها الله اليه عروسا حلالا .

وهو ما حكاه الله عز وجل في قوله (ولما ورد ماء مدين وجد عليه امة من الناس) يسقون ماشيتهم واغنامهم من بئر عذبة هناك (ووجد من دونهم امرأتين تذودان) اغنامهما عن الاختلاط باغنام الناس وقد ضاقت صدورهما من طول الانتظار لفراغ البئر من الرعاة. فاخذته الرقه عليهما وهو يرى مظاهر الفقر والمسكنه عليهما فاتاهما و (قال ماخطبكما) حابستين اغنامكما ان لا ترد (قالتا لا نسقي) الاغنام (حتى يصدر الرعاء)عن المورد فنحن من بنات الانبياء ولا يليق بنا الاختلاط بالرجال (وابونا شيخ كبير) لا طاقة له ان يمضي لسقي اغنامه وهو نبي الله شعيب بن صفوان بن عيفا بن ثابت بن مدين بن اسماعيل بن ابراهيم (ع) وامه ميكيل بنت نبي الله لوط .

وكان شعيب يلقب خطيب الانبياء بعثه الله نبيا ورسولا لاهل مدين واصحاب الايكة يدعوهم للتوحيد وعبادة الخالق فاقام فيهم (١٢) سنة يامرهم باقامة العدل وتوفية الموازين والمكاييل فلم يسمعوا لوعظه قال تعالى (فاخذهم عذاب يوم الظله انه كان عذاب يوم عظيم) ... الشعراء /١٨٩ والظله سحابة اظلتهم في يوم شديد الحر فاخذت تلقي عليهم نسيما باردا فاجتمعوا تحتها يتبردون من الحر واذا قد لفحتهم بالنيران من جميع الاطراف فاهلكتهم ولم يسلم الا النبي شعيب وجماعة آمنوا به فاورثهم الله اموال الذين هلكوا وديارهم ومواشيهم.

فقال موسى للجاريتين هاتيا دلوكما انا اسقي الاغنام لكما وساق الاغنام الى البئر واذا فمها مغطى بصخرة كبيرة وليس فيها الا فتحة ضيقة لاتتسع الا لدلو واحد فقط فانحنى موسى على تلك الصخرة ومكن يديه منها فاقتلعها عن فم البئر

وكانت كبيرة لا يقوى على حملها الا عشرون رجلا او اكثر واخذ ينزح الماء من جانب والرعاء من جانب آخر (فسقى) اغنام الجاريتين كلها تبرعا (لهما) دون اجر (ثم تولى الى الظل) من شجر هناك وهو جائع (قال رب اني لما انزلت الي من خير فقير) يسأل الله ان يمن عليه بمن يضيفه ويطعمه.

ولما عادت الجاريتان لابيهما بالاغنام في وقت مبكر تعجب منهما فسألهما عن ما جرى لهما فاعلمتاه بما كان لهما مع موسى (ع) فبعث ابنته صفورا لاحضاره وضيافته (فجاءته احداهما تمشي على استحياء وقالت ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا) فقام خلفها يمشي وكلما هبت الريح الصقت ثيابها بجسدها فتبين مقاطع الاعضاء والارداف منها فتحرج ان ينظرها من وراء الثياب فقال لها يا امة الله كوني خلفي واحذفي على الطريق بحصاة عن يمين او يسار (فلما جاءه وقص عليه القصص) التي جرت له في مصر مع فرعون واتباعه (قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين) واضافه واكرمه.

(قالت احداهما) اللتي دعته للحضور (يا ابت استاجره) لرعي الاغنام (ان خير من استأجرت القوي الامين) قال كيف علمت قوته قالت بازاحته الصخرة عن باب البئر... قال: وامانته قالت ما رفع بصره الينا قط وامتنع ان امشي امامه حين دعوته اليك.

(قال اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين) وهي التي دعتك الينا وغضضت بصرك عنها (على ان تأجرني) اي تكون لي اجيرا (ثماني حجج) اي سنين (فان اتممت عشرا فمن عندك وما اريد ان اشق عليك ستجدني انشاء الله من الصالحين. قال ذلك بيني وبينك ايما الاجلين قضيت فلا عدوان علي والله على ما نقول وكيل) القصص / ٢٨

وفي الحال عقد له على ابنته وامر ان تزين اليه وادخلت عليه وبنى بها من ليلته فقد غض بصره عنها نهارا وهي حرام وساقها الله في الليل عروسا ادخلت حلالا عليه.

(٣)   (عفة العلوي عن الفتاة اعادتها عليه)

في المذكرات ٧ / ١٦٧ قيل ان احد العلويين استضاف عند احد الاغنياء مرة وكانت للغني غادة حسناء فلما رأت العلوي شغفت به ولما خلا وحده لينام في غرفة الضيافة اقبلت وسلمت عليه وطفقت تسأله عن مسائل دينية ثم اسفرت له عن وجهها ومحاسنها فغض بصره عنها واخذت تراوده عن نفسه وتعرض عليه المال والجمال وتغريه وتمنّيه وهو لا يجيبها لشيء ويعظها ويزجرها فلم تسمع.

وفي الليلة الثانية عرضت له كالاولى فلم يستجب لها فامرت عبدا لهم بطرد العلوي عن الدار فلما خرج العلوي من الباب واذا يرى صاحب الدار المضيف قد اخرجه اللصوص مكتوفا فثار العلوي وكر على اللصوص يضربهم فهزمهم وانقذ مضيفه قال له المضيف اطلب حاجتك كائنة ما كانت قال ان تزوجني ابنتك قال هي لك وزوجه بها وسلم لها الصداق والكسوة والمسكن وقام باعمال الضيافة كلها.

(مرفق (٣٠)   (قدوم اخوة يوسف عليه)

بقيت البلاد المصرية في تلك الايام المحلة محتفظة بتوازنها الاقتصادي وخيراتها المدخرة فهي في عيشه راضية ونعم ضافية وذلك لامور.

(الاول) ان يوسف قد استعد لمقابلة هذا القحط والغلاء باكبر استعداد بادخار الاطعمة وحفظ الحبوب في سنابلها (الثاني) انه دعا الله ان يضع فيها البركة فاستجاب الله له واذا وضع الله البركة في شيء زاد ونما كلما اخذ منه وبالعكس يكون اذا نزعت البركه منّه (الثالث) انه قرر لمن ولاهم تموين الناس ان لا يعطوا المواطن الا ما يكفي عائلته بعد افرادهم ولا يعطوا اهل الخارج الا حمل بعير فقط ايا كان الوافد في منزلته وعدده.

اما الاقطار الاخرى في اسيا وافريقا والشرق الاوسط فقد عم عليها القحط والجدب وزاد في اسعارها الغلاء وعز على الناس حصول اقواتهم وشملتهم مجاعة ساحقة.

وكان ممن شملها الجدب والجوع بلاد كنعان التي يسكنها النبي يعقوب بن اسحاق (ع) واولاده بقرب فلسطين فقالوا له يا ابانا بلغنا ان في مصر كميات وافره من الاطعمه والمواد الغذائية تكفي اهل الشرق كلهم لو قسمت عليهم عشر سنين وعليها ملك كريم يكرم الوفود ويعطيهم ويقبل ما يحملون له من البضائع قل او كثر رخص او غلا فهل تأذن لنا ان نذهب اليه ونفد عليه ونحمل له ما تيسر من بضاعة لنا ونأتي منه بزاد وقوت لاهلنا قال استشيروا خبراء الناس في ذلك فان اشاروا عليكم فلا مانع لكم مني.

وقيل بل ان يعقوب هو الذي جمع اولاده وقال لهم بلغني ان بأرض مصر ملكا صالحا يبيع الطعام كل من اتاه ببضاعة من اهل الامصار فاحملوا معكم بضاعة واذهبوا اليه وامتاروا لنا طعاما فقد عدم الطعام من ارض كنعان بالمرة كما ترون.

فاجابوا لذلك وتجهزوا للذهاب فحملوا بضاعتهم من الادم والمقل ـ وكان كثيرا عندهم ـ والورق والنعال واجمعوا ان يسيروا باجمعهم ليكثر عطاؤهم باعتبار ان لكل واحد اسرة وعيالا تريد القوت ولم يدعوا عند ابيهم الا اخاهم بنيامين لانه الذي يتسلى به ويقوم بقضاء حوائجه.

وقيل انهم استشاروه فيمن يبقونه معه قال دعوا لي بنيامين وخذوا من شئتم وهي كلمة ابي طالب بن عبد المطلب لما اتى اخوته يقتسمون اولاده ليحملوا عنه ثقلهم في ازمة قحط مرت بالحجاز تلك الايام فقال دعوا لي عقيلا وخذوا من شئتم فاخذ العباس طالبا وحمزة جعفرا واخذ الزبيرام هاني واخذ مصعب الفيداق جمانه واخذ رسول الله (ص) عليا (ع).

(سابقة (١)) (كيف عرفهم يوسف ولم يعرفوه)

وتجهزوا بجمعهم وبضاعتهم وساروا من الشام حتى قدموا مصر قال تعالى (وجاء اخوة يوسف) بجمعهم الى القصر الملكي فحطوا رحالهم واستأذنوا للدخول عليه فاذن لهم (فدخلوا عليه فعرفهم) باشخاصهم واعيانهم لانه فارقهم من ايام صغره ولا تزال صورهم منطبعة في مخيلته لم يرد عليها ما يمحوها.

(وهم له منكرون) وانما لم يعرفوه لامور (١ً) طول العهد الفاصل بينهم وبينه فقد مضت على آخر رؤية منهم له نحو اربعين سنة (٢ً) انهم فارقوه ابن سبع سنين لانبات بعارضيه وقدموا عليه رجلا كبيرا قد التحى واشعر وكبر في جسمه واعضاءه وضخم في اطرافه وعضلاته (٣ً) انهم فارقوه في زي اهل الشام وطلع عليهم في زي ملوك مصر والفراعنه ولا نسبة بين الحالتين (٤ً) ان الغربة غالبا تحدث لصاحبها تحجرا في الفكر وتشويشا في البال وارتجاجا في النظر فقد ينكر الغريب في بلاد الغير ما كان يعرفه في بلده ومن هنا قالوا الغريب اعمى وان كان بصيرا (٥ً) يحتمل ان يوسف لما نظر الى اخوته من البعد فعرفهم احب ان لا يعرفوه فتنكر لهم وطلع عليهم في ابهة الملك وثياب الفراعنة وزيهم واقام الخدم والحاشية من حوله وعلق الاستاد امامه ولبس التاج على رأسه وغلظ صوته وغير لهجته ولحنه ولم يخطر ببالهم انه يبلغ هذه المنزلة من العظمة والسلطان في مصر وقد باعوه عبدا على اهل القافلة بعشرين درهما.

(٦ً) كما يحتمل ان تغيرا حدث على محاسنه وشمائله بسبب ما ناله طول هذه المدة من الغربة والحزن باتهامه بالخطيئة وايداعه في السجن سبع سنين وفراق الاهل والوطن وكل هذه الامور مما تغير خلق الانسان وتحول حسنه الى دمامه وجماله الى بشاعه قال المؤلف:

واخـي وداد قـال مالـك لا ارى ... لـك مـا عهـدت مـن الجمال الذاتي
اين المحيا الطلق ايـن الصـوت ذي ... الاجـراس ايـن روائـع البسمات
واذا الشجا قبـل اللسـان يجيبـه ... ويـرد قبـل النطـق بـالعبرات
لا تسـألـن فلـو وعيت لما وعـى ... قلبي فنيـت ولم تـرعك حيـاتي.

(رد اعتراض)

وربما يسأل البعض فيقول كيف جاز ليوسف (ع) ان يتنكر لاخوته وكان الواجب ان لا يتنكر لهم بل يعرفهم بنفسه ويبعثهم رسلا لابيه يبشرونه بانهم

وجدوا حبيبه يوسف على قيد الحياة وحال السلامة ورياسة الملك فيفرج بذلك همه ويطرح آصار الجوى عن كاهله ويبدل احزانه بالافراح وضيق صدره بالانشراح.

والجواب انه كما يحتمل ان يفرحوا بحياة يوسف (ع) وملكه. يحتمل اكثر ان يفروا عن اقترابه ويعرضوا عن الميرة من اجله ولا يرجعوا لابيهم بالمرة لا بميرة ولا غيرها فان حمل الخبر له بحياة يوسف تكذيب لدعواهم بانه اكله الذئب. فكيف يتأتى لهم ان يوقفوا اباهم على كذبهم وخيانتهم وسوء فعالهم واحتمال سخطه عليهم فربما دعا عليهم دعوة لم يفلحوا منها لاخر الحياة. فهذا الذي منع يوسف ان يتعرف لهم ويبلغهم تحية لوالده.

ولكن يوسف عاملهم معاملة الاخوة الكرام من حيث لا يعلمون ولا يخطر في بالهم انه قريب لهم.

(سابقة (٢) (حوارهم مع يوسف للمرة الاولى)

فلما مثلوا بين يدي يوسف (ع) قال لهم من اين انتم؟ قالوا نحن قوم من ارض كنعان من اهل الشام رعاة اصابنا الجهد فجئنا نمتار لاهلنا. قال لعلكم عيون جئتم تتجسسون عورات بلادنا لتغزونا وتغيروا علينا قالوا لا والله لسنا عيون ولا نحن غزاة وما تجسسنا قط بلدا ولا غزونا قوما بل نحن من اولاد الانبياء فابونا نبي الله يعقوب اسرائيل الله ابن اسحاق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله وان لابائنا هؤلاء منزله عند الله لا يبلغها احد من الناس فعليهم ينزل الوحي من السماء وتهبط الملائكة وتجاب منهم الدعوة وتنقاد لهم الكائنات ونحن اثنا عشر سبطا.

قال كلكم لاب واحد؟ قالوا نعم وامهاتنا شتى قال فهل تغيب احد منكم؟ قالوا نعم اصغرنا يسمى بنيامين تركناه عند ابينا يتسلى به عن اخيه الهالك. قال ومن الهالك؟ قالوا اخ له شقيق اكبر منه سنا هلك وهو صغير.

قال ومن يصدقكم فيما اخبرتم قالوا لا نرى احدا يعرفنا في هذه البلاد قال فاجعلوا اية صدقكم ان تاتوني باخيكم الذي خلفتم عند ابيكم قالوا ايها العزيز انه

لا قدرة له على فراقه ولن يسلمه لنا بعد ان ذهب شقيقه معنا ثم عدنا بدونه اليه.

ثم امر باخذهم الى الحمام ليضعوا ما عليهم من وعثاء السفر وغبار الطريق في الحل والترحال وعند خروجهم من الماء امر لهم بالحلل والثياب والطيب ونقلهم الى دار الضيافة وقد اعجبوا بكرمه ونعمائه وامر غلمانه باستلام البضاعة التي اتوا بها ليضعوها في مكان يسهل منه ردها عليهم.

وفي اليوم الرابع طلبوا الاذن للانصراف فامر الغلمان ان لا يكيلوا لهم من الطعام الا قدر ما يبلغهم لبلادهم او يزيد عليه بقليل من تمر وحلوي وفي ما بين ذلك اقبل سرا (وقال لغلمانه اجعلوا بضاعتهم) التي اتونا بها (في رحالهم لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى اهليهم ولعلهم يرجعون) للتعرف عن سبب ارجاعها عليهم.

وانما امر برد البضاعة عليهم لا مور (١) ان يتحرجوا من التصرف في الميرة التي اخذوها في مقابلها بانها بغير عوض وقد يشك النبي يعقوب في حلها بظن انها سرقة ويكون هذا حافزا على ردها ودفع البضاعة عنها (٢) ان اخذ الثمن على الارحام والاخوة في مقابل القوت يعتبر لؤما ومنافيا للمروة فان صلة الرحم واجبة وان قطعت قال تعالى (والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب) (٣) ان يوسف (ع) كان لا يأمن ان لا يجد ابوه واخوته بضاعة اخرى يعودون بها لطلب الميرة مرة ثانية فيمنعهم الحياء ان يعودوا اليه بغير بضاعة وثمن و (٤) ان لا ينسوا كرمه وتفضله عليهم.

(ولما جهزهم بجهازهم) استقلوا ما اعطاهم من الميرة وقالوا ان ورائنا اسرة وعيالا كثيرة وهذا لا يكفي لتموينهم فقال ان هذا الذي اعطيناكم للطريق ولبعض الوقت تقيمون عند اهلكم اما اذا اردتم ان اوفيكم العطاء والميرة فاصدقوني قالوا بماذا (قال ائتوني باخ لكم من ابيكم) الذي تركتموه بكنعان (الا ترون اني اوفي الكيل) والعطاء، (وانا خير المنزلين) والمضيفين (فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي) لو اتيتم تمتارون مرة اخرى (ولا تقربون) فقد

ظهر كذبكم ولؤمكم. وفي هذه الجملة مزج الوعد بتوفير الكيل لهم اذا اتوابه والوعيد بطردهم عن دخول مصر اذا لم يأتوا به... (قالوا سنراود عنه اباه) ونحاول حمله معنا اليك بكل امكان (وانا لفاعلون) كل وسيلة في اقناع ابيه ليسلمه الينا قال فاعطوني ما يطمنني على صدقكم قالوا ماذا تحب قال احب ان تضعوا واحدا منكم يبقى عندنا رهنا لما ضمنتم قالوا تخير من شئت منا يبقى لكم قال احب ان يبقى هذا عندنا واشار الى شمعون وانما اختار شمعون لانه الذي دافع عن قتله حينما عزموا عليه لما خرجوا به الى المرعى وهو صغير. وقيل انهم اقترعوا فخرجت القرعة على شمعون فتركوه عنده وانصرفوا لكنعان.

وهذا القول بان الذي احتجزه يوسف منهم لياتوه باخيه بنيامين هو شمعون هو الذي ذكر في البحاره /١٨٠ عن امالي الصدوق بسنده عن ابن عباس ومثله ذكر الطبرسي.

(مرفق (٣١)   (عودتهم لحمل بنيامين)

ولما عادوا لابيهم في كنعان خرج لاستقبالهم ففقد ابنه شمعون فسألهم عنه فاعلموه بالقصة وان املك استبقاه ليكون ضامنا لرجوعهم اليه وانه منعهم من الميرة والعطاء الا ان يقدموا عليه بأخيهم بنيامين قال ومن الذي اعلمه ببنيامين ليطلبه منكم فحكوا له ما كان له معهم من حوار فعاد يعقوب الى داره بهموم واحزان.

(فلما رجعوا الى ابيهم) يعقوب في داره (قالوا يا ابانا منع منا الكيل) فلم يعطنا ثمن البضاعة التي حملناها اليه الا ما يبلغنا الى كنعان ويرجعنا اليه (فأرسل معنا اخانا) بنيامين هذه المرة (نكتل) الطعام الذي وعدنا به (وانا له لحافظون) يا ابانا ان هذا الملك يشبهك خلقا وخلقا ومنطقا وعرفا ولكنه اساء الظن فينا باننا جواسيس اتينا نتطلع عورات بلاده لنغزوهم او نغير عليهم فلم نجد بدا ان نطلعه على نسبنا واتصالنا بك وبانبياء الله اسحاق واسماعيل وابراهيم وسألنا عن

عددنا فقلنا نحن اثنا عشر سبطا هلك سبط منا في صغره وآخر تخلف عنا مع ابيه يتسلى به عن اخيه المفقود فالح علينا في طلب هذا المتخلف والا فنحن من الكاذبين (قال هل امنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل فالله خير حافظا وهو ارحم الراحمين).

(ولما فتحوا متاعهم) في ارحلهم التي انزلوها من الابل (وجدوا بضاعتهم ردت اليهم) في رحالهم فعجبوا من ذلك واتخذوها شاهد صدق على قولهم فاتوا الى ابيهم و (قالوا يا ابانا ما نبغي) اي لا نكذب عليك وانظر (هذه بضاعتنا) التي حملنا معنا الى مصر (ردت الينا) من حيث لا نعلم فاذا ارسلت بنيامين معنا فانا نربح (نمير اهلنا) اي نحمل لهم ميرة من القمح والطعام (ونحفظ اخانا) بمثل ما نحفظ انفسنا ونحمله معنا سوف (نزداد حمل بعير) لان ملك مصر يعطي كل قادم حمل بعير فقط و (ذلك كيل يسير) فلنا حمل عشرة اباعر وبوجود بنيامين معنا نحصل احد عشر حمل بعير وقد وعدنا اذا اتيناه باخينا بنيامين ان يجعل لكل واحد منا حمل بعيرين فسوف نحمل منه حمل (٢٢) بعيرا.

(قال لن ارسله معكم حتى تؤتوني موثقا من الله لتأتنني به) وتحلفون على ذلك فأجابوه الى ذلك على شرط الامكان قال نعم (الا ان يحاط بكم) فلا يكون في وسعكم رده الينا (فلما اتوه موثقهم من الله) وحلفوا على ذلك (قال الله على ما نقول وكيل) وشاهد ينتقم منكم اذا كذبتم واخلفتم.

وانما نزل على رغبتهم واجابهم لما طلبوا لانه تأثم من التصرف فيما حملوا اليه من الطعام حيث انه برد البضاعة اصبح مبيعا بلا ثمن وعطاء بلا مقابل فهو اما سرقة او صدقة وكلا منهما يعتبره حراما فقد كان رسول الله (ص) يقبل الهدية ويرجع الصدقة كما ان معظم المسلمين كانوا يتأثمون من بيع شيء عليه بثمن او يأخذون في مقابل عمل عملوه له اجرا.

ولما عزم الفتيان على الارتحال من كنعان الى مصر قام ابوهم يعقوب يعرضهم ويوصيهم بما يجلب لهم النفع ويعصمهم من الاضرار فقال (يا بني اني اوصيكم بما اوصت به الانبيا ابناءهم: اياكم والحسد فانه يأكل الحسنات والايمان ويديم على اهله البؤس والاحزان واياكم والكذب فانه مهلكة والنجاة في الصدق واياكم والظلم فانه خراب الديار وتلف الاعمار وريح الاعصار من غش احدا فقد نصحه وغش نفسه ومن مكر عاد مكره الى نحره.

وحين نظر الى اعتدال اجسامهم وجمال وجوههم وحسن شمائلهم واستوائهم في الاجسام والالوان والفصاحة والسجاحة والبسالة والنبالة خاف عليهم من النظرة (وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد) اذا قدمتم بلدا او دخلتم دارا (و) لكن (ادخلوا من ابواب متفرقة) ان لا تسحتكم الناس باعينهم وتزلقكم بابصارهم (وما اغنى عنكم من الله من شيء) بهذه الوصايا (ان الحكم الا لله) لا مرد لقضائه ولا مبدل لحكمه ولكن يجب على الانسان ان يلزم جانب الحذر والاحتياط فلا يحل له ان يعين على نفسه.

وقد استدل العلماء بهذه الآية على ان الاصابة بالعين حق والا لما حكى الله عن يعقوب وصيته لاولاده بالتحفظ منها فلو لم تكن حقا لكانت وصية يعقوب لغوا واذا كانت لغوا امتنع على الله ان يدل بها او يهدي اليها لان الادلاء باللهو اغراء بالجهل وتضليل للفهم.

كما قد ذكرها الله تعالى ايضا في قوله (وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر) فان معنى الزلق الاصابة قال الطبرسي في المجمع وجوز الاصابة بالعين كثير من المحققين ورووا فيه عن النبي (ص) انه قال: العين حق.. والعين تستنزل الحالق والحالق هو المكان الشاهق كذروة الجبل او رأس المنارة واعالي الاشجار اي انها تهوي بذروة الجبل اذا اصابتها الى الحضيض وورد في الخبر ان رسول الله (ص) كان يعوذ الحسن والحسين يقول (اعيذكما بكلمات

الله التامات من شرّ كل هامة وكل عين لامة ونفوس سامة) وان ابراهيم (ع) كان يعوذ بها ولديه اسماعيل واسحاق وان موسى كان يعوذ بها ابني هرون شبرا وشبيرا كما ذكروا ان اسماء بنت عميس قالت يا رسول الله ان ابني جعفر بن ابي طالب وهما عبدالله ومحمد غلامان بيض الوجوه والعين اليهما سريعة اتأذن لي ان استرقيهما من العين - تعني ان تأخذهما الى من يرقيهما اي يعوذهما من اصابة العين - قال: نعم.

وروى ان جبريل كان يرقي رسول الله (ص) ويعلمه الرقي وهي (بسم الله ارقيك من عين كل حاسد الله يشفيك) وروى عن النبي (ص) انه قال لو كان شيء يسبق القدر لسبقته العين وان العين لتدخل الجمل القدر والرجل القبر.

وسمى العيان حاسدا والنظرة حسدا في قوله تعالى (.. ومن شر حاسد اذا حسد) لان الدافع الى الاصابة بها غالبا هو الحسد والحسد هو استعظام النعمة وتمني زوالها عن النعم بها عليه.

وقد افضنا الحديث عن العين والاصابة بها في كتابنا (كواكب الاشراق) ٢/٢٨٤ وذكرنا ان السر في اصابة العين هو ان الاوهام والمخيلات احيانا تتحول الى طاقات فعالة كما تتحول بطريق السحر والتطير ورؤيا المنام ولا يبعد ان تنفصل عن العين سموم تقترن بارواح شريرة فتصيب بها الاهداف التي صوبت لها.

وكما ان النبي يعقوب (ع) امر اولاده بالاحتراز من اصابة العين قدر الامكان فكذلك سيدنا رسول الله (ص) امر بالاحتراز منها في قوله (لعن الله آكل زاده وحده والراكب في الفلاة وحده والنائم في البيت وحده. فقوله اكل زاده وحده يعني خوفا ان تصيبه عين من ينظر اليه من الجائعين فاما ان يشركه في الاكل معه او يبتعد ويستتر بطعامه من نظر الناس اليه فلا يؤمن ان يكون غر ثان يصيبه منه بنظرة.

قد ذكرنا في كواكب الاشراق ٢/٢٨٤ ان علماء الفرس والهند واطباء

اليونان ودهاة العرب يكرهون الاكل بين يدي السباع يخافون عيونها لما فيها من النهم والشره وما ينحل من اجوافها من البخار الرديء وينفصل من انفاسها من السم الذي اذا خالط الانسان نقض بنية قلبه وافسده.

وذكر ان شخصا من اهل البادية استضافَ رجلا في وجبة عشاء فأحضر له ما يكفي لثلاثين شخصا فظن ان له جماعة قد دعاهم وسيحضرون الدعوة فقال اين من دعوتهم؟ قال: لم ادع معك احدا قال وهذا الطعام من يأكله قال كل انت قدر كفايتك ويكفيك امره غيرك قال الشيخ فتقدمت واكلت حتى اكتفيت وبقي صاحب الدعوة يأكل ذلك الطعام حتى احتوى عليه كله فسألته عن سبب هذه النهمة المدهشة قال كنا ذات مرة في سفر فوضعنا المائدة ذات ليلة نتعشى فحضر خلفنا كلب واقعى ينتظر ان نلقي له شيئا فما القينا واكلنا الطعام كله فرفع رأسه الى السماء وانصرف فاصبنا من ذلك الوقت بهذه النهمة التي رأيت واصبحنا نأكل ولا نشبع.

واكثر ما يكون العيان مخالفا بعينه لعيون الناس وقد يكون لونها يميل الى الزرقة وقد جاء في احاديث اهل البيت (ع) نهي عن صحبة ازرق العين واخذ الحيطة عن اقترابه فهو لا يكون في الغالب الا خبيثا شريرا.

(عوفق (٣٢) (عود الفتيان الى مصر للمرة الثانية)

وسار الفتيان من كنعان ومعهم اخوهم بنيامين حتى قدموا به الى مصر (ولما دخلوا مصر من) ابواب متفرقة (حيث امرهم ابوهم (ما كان) ذلك (يغني عنهم من الله) فيما كتب عليهم (من شيء) كتبه او قضاه (الا حاجة في نفس يعقوب قضاها) وهي ان يبقى في اطمئنان واستقرار من قبلهم على صحتهم وسلامتهم اذا عملوا بوصيته (وانه لذو علم لما علمناه) حين اختاره الله لنبوته (ولكن اكثر الناس لا يعلمون) قصدد ما قال.

ولما بلغ الفتيان الى القصر الملكي في مصر كان اخوهم يوسف (ع) قائما في استقبالهم فلما رأوه جعلوا بنيامين امامهم فكان اول من سلم على يوسف وصافحه

وعانقه ثم طاف عليهم ففعل بهم كما فعل بشقيقه ان لا يقع في انفسهم منه شيء.

واخذوا كلهم الى الحمام واعد لكل واحد منهم ثيابا وملابس وطيبا.. ثم اخذوا الى دار الضيافة فاخرجوا ليوسف البضاعة التي تركها في رحالهم في المرة الاولى وعذلوه على اعادتها فاعتذر اليهم انه اعادها لهم خشية ان لا تكون عندهم بضاعة اخرى يحملونها هذه المرة معهم وبعد تناولهم طعام الغذاء والاستراحة سألوا عن العزيز فقيل لهم انه في حديقة القصر فطلبوا الاذن للدخول عليه والتحدث معه فاذن لهم.

(ولما دخلوا على يوسف) في مجلسه بحديقة القصر القى احد الخدم على ثياب بنيامين بعض القذى فلما دخل واتى ليجلس مع الفتيان قال احد اخوته يا اخي لقد وقع عليك بعض القذى فاخرج لتميطه في احد انهار الحديقة ثم عد الى موضعك فقام بنيامين خجلا وخرج من عندهم قال له الخدم الى اين يا فتى قال لاميط عن ثوبي هذا القذى قال هلم معي فاخذه الخادم الى مقصورة في الحديقة قد اعدها يوسف لاستقبال اخيه فلما دخلها قام يوسف و (آوى اليه اخاه) بنيامين واعتنقه وقبله (وقال اني انا اخوك) يوسف الذي اخرجني هؤلاء النفر وارادوا قتلي والقوني في البئر يوما وليلة ثم باعوني على قافلة مصرية حملتني الى هنا وكذبوا على ابي بان الذئب اكلني (فلا تبتئس بما كانوا يعملون) معك فاني سأحتال في صرفهم عنك وبقائك عندنا فاكتم ذلك ولا تبد شيئا لهم مما اخبرتك. اما هذه الصفرة التي علقت بثوبك فانا الذي امرت الخادم فألقاها عليك حتى تخرج من بينهم فالتقي بك وحدك هنا وليست هي من الاقذاء بل من طيب الخلوق فاطرح هذه الثوب عنك والبس بدلها هذه واذهب فاجلس معهم فاذا سألوك فيم كنت فقل كنت اميط القذى عن ثوبي ولما اعياني غسله اتوني بثوب آخر فلبسته.. ثم عاد بنيامين الى مجلسه مع اخوته دون ان يعلم احد او يخبر هو احدا بما كان له مع شقيقه.

وما جاء في بعض الاحاديث انه اجلس كل اثنين على متكأ وبقي بنيامين لم

يجلس معه اخ منهم فجلس معه يوسف وهكذا في الطعام كل اثنين على طبق وفي النوم كل اثنين على فراش ويأتي يوسف مع ابن امه فلا يبعد ان يكون من قصص الخيال حيث لا يعقل ان يقدم نبي الله يوسف بهذه الاجراءات مع اخيه ليحمل بقية الاخوة على حسدهما وربما انكشف امره وظهر سره فلم يتسع له مجال ان يبلغ فيهم ما يريد ان يفعل بهم.

(سابقة (١) (كيف تعارف الاخوان)

واليك الحديث كما يرويه المختلقون

لما كان وقت الطعام احضر لكل اثنين منهم طبقا يأكلان فيه ولبنيامين طبقا برأسه فلما تقدموا يأكلون دمعت عين بنيامين قال يوسف مم بكيت يا غلام قال اما ترى اخوتي كل اثنين منهم على طبق وانا وحدي فلو كان ابن امي يوسف حيا لاكل معي.. قال ومن اخوك يوسف قال هو شقيقي ذهب مع اخوته يوما الى المرعى فأكله الذيب قال: اتقبلني خلفا عن اخيك المفقود اجلس معك على الطبق قال نعم الخلف والاخ الكريم غير انك لم يلدك يعقوب وراحيل وتقدم معه على الطبق يأكلان.

ولما كان وقت النوم اعد لكل اثنين فراش في ناحية وفراش لبنيامين في ناحية وحده فانكسر قلبه وبكى قال له يوسف لم تبكي يا فتى قال ابكي لوحدتي على الفراش ولو كان اخي يوسف حيا لنام معي قال وهل تحب ان اكون معك في الفراش مكان اخيك قال انها والله لمكرمة لك لا انساها مدى الحياة.

واخذ يوسف يسامر اخاه بنيامين في الحديث حتى نام الفتيان كلهم فكان مما دار بينهما قال له يوسف يا غلام ما اسمك؟ قال بنيامين قال وما معنى بنيامين قال: معناه الثكل لاني حين ولدتني امي ثكلتها فماتت في النفاس قال من امك؟ قال: هي راحيل بنت ليان بن ناحور قال فهل تحب ان اكون لك اخا مكان اخيك المفقود قال وانى لي بذلك وما احبه الى قلبي لولا انك لم يلدك يعقوب وراحيل ففاضت عين يوسف بالدموع وقال بلى والله لقد ولدني يعقوب وراحيل

وانا اخوك يوسف المفقود فنهض اليه بنيامين وتعانقا وبكيا مليا ثم قص يوسف على اخيه بنيامين ما فعل اخوته به لما اخرجوه الى المرعى معهم وما كان له مع العزيز وامرأته وما كان له مع اهل السجن.

(سابقة (٣) (حديث يوسف وبنيامين)

في البحار ٥ / ١٨٠ عن الصدوق في الامالي بسنده عن ابن عباس ـ في حديث طويل ـ قال لما التقى يوسف باخيه بنيامين قال له اليس لك ابن ام قال بلى كان لي ابن ام فذهب به هؤلاء الى الصحراء فزعموا ان الذئب قد اكله قال فما بلغ من حزنك عليه قال ولد لي اثنا عشر ولدا كلهم اشتققت لهم اسماء من اسمه قال يوسف كيف تدعي الحزن على فراقه وانت قد تزوجت وعانقت النساء بعده قال ان لي ابا صالحا يقول يا بني مهما استطعت التزويج بالنساء فافعل فلعل الله يخرج منك ذرية صالحة تثقل الأرض بالتسبيح وفي ص ١٨٨ عن قصص الانبياء عن الصدوق بسنده عن ابي بصير عن ابي جعفر (ع) قال لما فقد يعقوب يوسف ـ وساق الحديث... الى ان قال ... قال يوسف لبنيامين فما لك ابن ام؟ قال بلى زعم هؤلاء ان الذيب قد اكله قال فما بلغ من حزنك عليه قال ولد لي اثنا عشر ابنا كلهم اشتققت لهم اسماء من اسمه قال كيف تدعي الحزن على فراقه وانت عانقت النساء وشممت الطيب من بعده قال ان لي ابا صالحا قال لي تزوج لعل الله يخرج منك ذرية صالحة تثقل الارض بالتسبيح.

وفي ص ١٨٣ عن الكليني في الكافي بسنده عن عبد الله بن سنان عن ابي عبد الله (ع) قال جاء رجل الى رسول الله (ص) فقال يا نبي الله ان لي ابنة عم قد رضيت جمالها وحسنها ودينها ولكنها عاقر قال لا تتزوجها ان يوسف بن يعقوب لقي اخاه فقال يا اخي كيف استطعت ان تتزوج النساء بعدي فقال ان ابي امرني وقال ان استطعت ان تكون لك ذرية تثقل الأرض بالتسبيح فافعل.

وذكر في العرائس انه سمى عشرة من بنيه باسماء مشتقة من اسمه وهم ١) بالع

٢) بكر ٣) اشكل ٤) احيا ٥) نعمان ٦) ورد ٧) راس ٨) حيثم ٩) عيثم و ١٠) خير .

ولما اصبح يوسف (ع) حيا اخوته باحسن تحية وقال ايتها الاخوة الكرام ان اخاكم بنيامين هذا قد احبني واحببته وآخاني وآخيته فنحن نشهدكم انا اخوان في الله وفي الدين فلا تسيئوا به ظنا لو دخل على نسائي ولا تحسدوه لو شاركني في طعامي وشرابي او نام معي او على فراشي او قام نائبا عني في اموري .

(سابقة (٣)) (اتهام بنيامين بالسرقة)

ظهرت بوادر الحسد والعداوة من الفتيان لاخيهم بنيامين لما كان بينه وبين اخيه من المآخاة والمسارة والنجوى واستنابته في بعض الامور ودخوله في القصر على نسائه بغير استئذان فلم يأمن يوسف عليه من اخوته لو رجع معهم الى كنعان ان يفعلوا به مثل ما فعلوا بيوسف من قبل فعزم على احتجازه وحبسه عن السفر معهم واتفق معه على ان يحتال في حبسه عن السفر باتهامه بسرقة بعض المتاع فقبل بنيامين بذلك لان حكم السرقة عندهم هو قبول السارق بما يحكم عليه المسروق منه .

فلما كان اليوم الثاني امر يوسف الغلمان فأكالوا لاخوته الطعام حسبما قد وعدهم به وزادهم من العطاء والكسوة وسالهم المعذرة فيما لو حدثت له هفوة او صدر منه تقصير في حقهم فشكروه واثنوا عليه .

(فلما جهزهم بجهازهم) من معدات السفر (جعل) على غفلة منهم (السقاية) وهي صواع الملك الريان بن الوليد الذي اعده لشرابه وهو قدح كالمكيال مصنوع من الذهب مرصع بالمجوهرات ويقال ان فيه صنعة من صنايع علم الجفر والرمل فاذا نقر نقرا خاصا كشف عن بعض الاسرار والامور المبهمة لمن له بصر وخبرة بذلك العلم فكانت بذلك قيمته لا تقدر بالاثمان جعلها (في رحل اخيه) بنيامين ثم ودعهم وشيعهم مسافة قصيرة فركبوا ابلهم ورجع يوسف عنهم بغلمانه .

فلما ركبوا وابعدوا طلب يوسف شرابه من العسل واللبن الذي يعتاده كل يوم في الصباح ففقد الخدم الصواع وهو السقاية فقال الملك الريان لا يبعد ان هؤلاء الكنعانيين قد سرقوه فالحقوا بهم وفتشوهم فركب ثلاثة من الحاشية في اعقابهم وارجعوهم (ثم اذن مؤذن ايتها العير انكم لسارقون. قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون. قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير) من الطعام مكافأة لاحسانه قال يوسف (وانا به زعيم قالوا والله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين) والا لما اعدنا البضاعة التي حملناها لكنعان معنا عليكم لما وجدناها في رحالنا وها انتم ترون افواه دوابنا مكممة بالمخالي لئلا تعتلف مما نمر به في بلدكم من زرع او شجر او نبات.

فتقدم الغلمان وقالوا انا لا نتهمكم بالسرقة ولكن من المحتمل ان احدا وضعه في رحالكم خطأ او اتاكم به فحسبتموه لكم غلطا قالوا وان ما اخذ بالخطأ لهو عندنا غصب وسرقة لا يحل لنا استعماله بل الواجب ان نعيده على صاحبه. (قالوا فما) تعمل بالسارق اذا ظهر منكم وما (جزاؤه ان كنتم كاذبين) في انكار السرقة (قالوا جزاؤه) المقدر عندكم في دينكم وقوانينكم (من وجد) الصواع (في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين) وهو ان يستعبده المسروق منه ان شاء أو يعفو عنه كما هو في حكم القانون عند المصريين وبني اسرائيل وغيرهم مما عرفوه عن انبيائهم.

واستنزل الفتيان احمال الجمال فمنعهم يوسف وقال اتقوا الله انهم ابناء الانبياء ابرار اخيار ولا سبيل لكم عليهم فقال الفتيان وانا غير تاركيكم حتى تفتشوا اوعيتنا وحمولتنا كلها حتى تكونوا على يقين من الامر فاذن لهم يوسف عندئذ بالتفتيش (فبدأ باوعيتهم) يفتشها (قبل وعاء اخيه) حتى لا يكونوا في شك مما اتهمهم به انه امر دبره بهم لغاية يطلبها فيهم. وما زال مع الغلمان يفتش الحمولة (ثم استخرجها) اي السقاية (من وعاء اخيه) بنيامين وقالوا هذه هي السقاية التي فقدناها قد وجدناها في رحل هذا الفتى فنكس الفتيان رؤوسهم حياء وخجلا

وقالوا ماذا صنعت بنا يا ابن راحيل فما زالت البلايا تنصب منكم علينا وعلى ابيكم يعقوب وانهالوا على بنيامين يصفعونه ويلطمونه يقولون: اهذا جزاء الذي احبك واخاك من بيننا وحكمك في قصره ونسائه وهو يقول يا اخوتاه تدبروا فيما تفعلون فليس لي والله علم بالصواع ولا انا الذي وضعته في رحلي فاتقوا الله فيما تصنعون.

وذكروا ان شمعون كان اشد الفتيان غضباً على بنيامين لما ظهرت عنده السرقة فقد احمر وجهه وانتفخت اوداجه لولا ان صبيّامن اولاد يوسف (ع) اقبل اليه فأمسك يده فسكن غضبه فتعجب من ذلك وقال يا بني كانك من ذرية يعقوب فان غضبهم لا يسكنه من كبارهم الا صغارهم.

(سابقة (٤)) (السرقة المنسوبة ليوسف (ع))

واراد الفتيان ان يستروا او يعتذروا عما حدث من اخيهم بنيامين ليوسف (قالوا) يا ايها العزيز (ان يسرق) بنيامين هذا صواعكم فانما جاءته هذه الخليقة من طريق الوراثة (فقد سرق) فيما سبق من الزمان (اخ له) من ابيه وامه (من قبل)...

ففي البحاره /١٨٢ عن الصدوق في العلل والعيون بسنده عن اسماعيل بن همام عن الرضا (ع) في قول الله (ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل) قال كانت للنبي اسحاق (ع) منطقة تتوارثها الانبياء الاكابر وكانت عند عمة يوسف وهو عندها وكانت تحبه محبة عظيمة فبعث اليها يعقوب يسألها ان ترسل يوسف اليه على ان يرده اليها فسألته ان يبقيه عندها ليلة تشمه وتلثمه حتي ترسله غدوة قال فلما اصبحت اخذت المنطقة وشدتها في وسطه تحت الثياب وبعثت به الى ابيه فلما خرج من عندها طلبت المنطقة فوجدت عليه. وكان اذا سرق احد في ذلك الزمان دفع الى صاحب السرقة فكان عبده.

وذكر الطبرسي عن ابن عباس والبحاره /١٧٨ عن علي بن ابراهيم بسنده عن اسماعيل بن همام عن ابي الحسن في قوله (ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل) قال

كانت الحكومة في بني اسرائيل اذا سرق احد شيئا استرق به وكان يوسف وهو صغير عند عمته سارة وكانت تحضنه بعد وفاة امه وتحبه وكانت لاسحاق منطقة البسها يعقوب وكانت عند اخته وان يعقوب طلب يوسف (ع) ليأخذه من عمته فاغتمت لذلك وقالت دعه حتى ارسله اليك واخذت المنطقة وشدت بها وسطه تحت الثياب فلما اتي يوسف اباه جاءت وقالت قد سرق يوسف المنطقة ففتشته فوجدتها معه في وسطه فدفع اليها لتسترقه فلذلك قالت اخوة يوسف (ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل) ومثله روى في الدمعة الساكبه ٣/١٦٩ عن الامام العسكري (ع).

وقد ذكرنا فيما سبق من حديث يوسف مع السجان ان التي اتهمته بالسرقة هي خالته وهو ماروواه في البحاره /١٨٧ عن علي بن ابراهيم في تفسيره بسنده على الرضا (ع) قال السجان ليوسف اني احبك قال ما اصابني البلاء الا من الحب احبتني خالتي فسرقتني واحبني ابي فحسدتني اخوتي واحبتني امرأة العزيز فحبستني اهـ كما ذكرناه في اول الكتاب في (ترجمة يوسف) ان يعقوب بعد وفاة راحيل تزوج اختها حقوين فكانت تأوي يوسف عندها ليلا ويذهب في النهار عند عمته سارة فعز عليها غيابه في النهار فاتهمته بسرقة المنطقه ليتخلي عن عمته ويبقي عندها الليل والنهار..

قال تعالى (فاسرها يوسف) اي حز قولهم (في نفسه ولم يبدها) اي لم يبد تلك الحزازة التي جرحت شعوره (لهم قال انتم شر مكانا) ممن عبتموه بالسرقه لأن قولهم هذا يدل على انهم لايزالون يبطنون العداوة والشحناء ليوسف في صدورهم فهم لايزالون يتحرون الفرصة للنيل من كرامته والحط من شأنه (والله اعلم بما تصفون) من الكذب والاباطيل التي لم تظهر لنا ولم نقف عليها بعد.

ثم قال ما حكم السارق عندكم فقالوا ـ ما تقدم في حديث الرضا (ع) ـ اذا سرق احد شيئا استرق به قال فقد حكم على بنيامين ان لا يخرج من مصر حتى ينظر الملك في امره ويقيم هو الحجة على براءته (قالوا) يا ايها العزيز (ان له ابا

شيخا كبيرا) لا يطيق فقده ولا يصبر على بعده وقد اخذ علينا العهود والمواثيق ان نعيده عليه (فخذ احدنا مكانه انا نراك من المحسنين) للناس عامة ولنا خاصة (قال معاذ الله ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده) ولم يقل: من سرق المتاع احترازا من قول الكذب وتأدبا ان يمس بكرامة اخيه (انا اذا) في اخذنا غيره (لظالمون) لمن نأخذه على غير ذنب وانكم قلتم من قبل: (من وجد في رحله فهو جزاؤه.

(مرفق / ٣٣) (مباحث علمية في الاية)

وقوله (قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل) يشتمل على مباحث.

(سابقة (١) (حمل الغل والحقد في الصدر)

(الاول) حمل الحقد والغل في الصدر وقد استوحاه واكتشفه يوسف في نفوسهم من قولهم (ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل...) فهم يعنون به يوسف في السرقة المنسوبة اليه ايام طفولته من عمته او خالته ويدل هذا على انهم لايزالون يحملون الغل والحقد على اخيهم الذي ارادوا قتله وسلموه بالبيع الرخيص لايدي الحوادث والاخطار تلعب به كيف تشاء ولذلك قال لهم يوسف (انتم شر مكانا اي انكم باحتمالكم هذا الحقد والغل في صدوركم هذه المدة الطويلة على اخيكم المحسود هو شر مما ظننتم باخيكم بنيامين من سرقة المتاع والذي استشعرتم به الذل والهوان. فان استشعار الذل والهوان يمحص الذنوب عن صاحبه ويوجب له المغفرة من الله لقوله تعالى (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو اخباركم) محمد / ٣١ (وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انالله وانا اليه راجعون. اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون) البقره / ١٥٥. اما احتمال الغل والحقد على المؤمنين فانه يرمي صاحبه بآفتين آفة دينية وافة دنيويه اما الافة الدينية فانه يحبط الاجر والحسنات ويبطل الاعمال الصالحه والعبادات ولهذا كان من دعاء الابرار ما حكاه الله عنهم (... ربنا ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا) الحشر / ١٠ وروى ابن طاوس في الاقبال في فضل ليلة النصف من شعبان

عن الشيخ محمد بن الحسن الطوسي باسناده عن حماد بن عيسى عن ابان بن تغلب عن الصادق (ع) قال: ان الله يغفر في تلك الليلة لكل من استغفره الا لمشرك او المشاحن و قاطع رحم او مدمن سكر او ساحر أو كاهن اهـ. فقد ذكر الشاحن - وهو من يحمل الشحناء في نفسه على المؤمنين - في عداد المشرك والساحر والكاهن لان المشاحن لايزال يتحرى الفرصة ويلتمس الغرة للوقيعة بمن يحقد عليه.

وأما الآفة الدنيوية فهي تنغيص الحياة وتكدير الصفاء فلا يزال الحاقد كالحاسد يحتمل الهموم والاحزان لا يهنأ بعيش ولا يلذ بمتعة ولا يأنس براحة ولا ارتياح وقد ذكرنا سابقا في ذم الحسد هذين البيتين:

ان شئت تحيى حياة الانس في دعة … صفوا بلا كدر محضا بلا رنق

فرغ فؤادك من غل ومن حسد … فالغل في القلب مثل الغل في العنق

وقد جعل الله النعمة الكبرى التي انعم بها على اهل الجنة قوله تعالى (ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين) الحجر/٤٧ (ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الانهار..) الاعراف/٤٣.

(سابقة (٢) (الاتهام المفتعل)

(المبحث الثاني) في الآية الكريمة الاتهام المفتعل وهو قسمان جائز وغير جائز (اما الجائز) فهو نظير ما قامت به بنت اسحاق في اتهام ابن اخيها او حفيدها في اتهامه بسرقة المنطقة. وما قام به يوسف في اتهام اخيه بنيامين بسرقة الصواع وانما قلنا بجوازه لانه لم يقصد به تجني على احد ولا تجريم وانما اتخذ وسيلة لغاية نبيلة كحيازة خالة لابن اختها او عمة لابن اخيها او استنقاذ انسان من ايدي قوم عتاة لا يؤمن منهم لو خلوا به ان يقتلوه.

اما ما حدث لاخوته من ظهور خيانة استشعروا منها الذل والهوان... فانهم

لذلك مستحقون بان يوسف لو ارسل معهم [illegible] ان يحملهم الحسد على ان يفعلوا به ما فعلوا بأخيه من قبل [illegible] بالسرقة لاحتباسه في القصر افضل من تخلية سربه معهم فيبوءوا باغتياله [illegible] بالهلاك.

واما تعريض النبي يعقوب [illegible] عليه بسبب حبس ابنه بنيامين عنه فجائز [illegible] والا لتعطلت كل الحدود والعقوبات الشرعية والقانونية [illegible] فيها من حد او عقوبة تقع على احد الا وتعقبها لوعة [illegible] وقريبه.

و (اما غير جائز) [illegible] في [illegible] (من جزاء من [illegible]) فان هذا النوع من [illegible] حتى على الكفار فضلا على المسلمين [illegible] ابيرق في [illegible] اليهودي بانه الذي سرق متاع [illegible] الانصاري الذي سنذكره عن قريب ان شاء الله.

وهو الاتهام الذي كانت [illegible] خلفاء بني العباس في حق الطالبين لاعتقالهم وتجريمهم والتنكيل بهم فلقد كان من سياسة المنصور العباسي ايام خلافته ان يبعث جواسيس الى رجال الطالبين [illegible] والنقود فيأتون العلوي وهو اذ ذاك في ضيق من العيش والبؤس [illegible] انه رسول من اهل خراسان بانهم قد اختاروه ليكون ناصرا ومساعدا [illegible] نظام الحكم وقتل الخليفة القائم وقلب الدولة من عباسية الى علوية [illegible] المبلغ من المال ليستعين به على اموره فيحسب العلوي ذلك حقا [illegible] في تلك الصحيفة بانه قد استلم المال مجيبا دعوتهم مؤيدا ثورتهم [illegible] فيرجع الجاسوس بالسند الى المنصور فيحضر العلوي ويحتج عليه [illegible] فيجرمه ويأمر بحبسه او نفيه او قتله وينتهي بذلك الى تصفية [illegible] جانبهم. وقل من العلويين من يتفطن لذلك لولا ان الامام [illegible] كان هو الذي ينبههم هذه الامور وينقطع على جواسيس طريقهم ان [illegible] العلويين وقد ذكر ذلك ابو الفرج

الاصبهاني .

وبمثل ذلك تقوم ولاة الجور في زماننا الحاضر فاذا كانت هناك شخصية مرموقة من الوجهاء والاعيان ويخشون ان يقوم عليهم بثورة ضدهم بين حين وآخر وضعوا عليه رقابة تراقبه في قيامه وقعوده ودخوله وخروجه فاذا اعياهم امره ارسلوا له ثلة من الضباط ليفتشوا منازله وحجراته وفي ايديهم مطاوي الاتهام فيرمونها خلال التفتيش في احد امتعته او سفط او دولاب له ثم يستخرجونها ويظهرون انهم وجدوها في خلال امتعته فيلقون عليه القبض ثم يحاكم ويحاسب على حيازة ما القوا عنده من الامور الممنوع حيازتها او المحظور قربها .

(ولا تكن للخائنين خصيما)

اما الاتهام المفتعل ايام رسول الله (ص) ونزل الوحي عليه ينهاه ان يجادل عن الخائنين بقوله تعالى { انا انزلنا اليك الكتاب لتحكم بين الناس بما اراك الله ولا تكن للخائنين خصيما . ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما . يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول. ها انتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة ام من يكون عليهم وكيلا . ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا) ذكر الطبرسي : ان السبب في نزول هذه الآيات ان ثلاثة اخوة وهم بشر وبشير ومبشر بنو بيرق بن معن بن سواد بن عدي بن مرة بن كعب وكان بشير يكنى ابا طعمة وكان منافقايقول الشعر يهجو به رسول الله واصحابه ويرمي به غيره من المشركين. وكانوا اهل حاجة في الجاهلية والاسلام فدعته الحاجة ذات ليلة فخرج للسرقة فاتى علية لرفاعة بن زيد الانصاري فنقب عنها ودخلها وسرق طعاما وسيفا ودرعا وذهب به الى بيته .

فلما اصبح رفاعة شكى ذلك لاخيه قتادة بن النعمان فذهبا يتجسسان في الجيران ويسألانهم عن السرقة فقال بنو ابيرق والله ما صاحبكم الا زيد بن السهين اليهودي فذهبا اليه فخرج عليهما مصلتا سيفه وقال لتعالي من دلكما على

قالا: بنو ابيرق فذهب اليهم وقال يا بني ابيرق اترمونني بالسرق وانتم والله اولى به مني فانتم المنافقون تهجون نبيكم وتنسبون الهجاء لقريش لتبينن ذلك او لاضعن سيفي فيكم فتركوه وفروا.

وذهب قتادة فاعلم رسول الله قال سأنظر في امركم واتى اليهودي الى النبي واعلمه بان بني ابيرق اولى بما اتهموه به وجاء بنو ابيرق الى النبي وسألوه ان يجادل اليهودي عنهم. فهم ان يفعل وان يعاقب ابن السهين بانه شهر عليهم سيفه فنزلت الاية (ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم) يعني بني ابيرق بن كعب.. الى قوله (اذ يبيتون ما لا يرضى من القول) وهو هجاء المسلمين ينسبونه الى قريش ولما سمعت بنو ابيرق بما نزل في شأنهم بعثوا اسير بن عروة مع رجال من اهل الدار الى النبي ليدافع عنهم ويتهم قتادة ورفاعة فاتى قتادة ليكلم النبي في ذلك فجاءه النبي واعلمه بما قال فيه اسير بن عروة فندم قتادة فنزل قوله (ها انتم جادلتم عنهم) اي عن بني ابيرق (في الحياة الدنيا) وبرأتموهم من الخيانة (فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة) فلما سمع بذلك ابو طلحة هرب الى مكة وارتد عن الاسلام ونزل على سلافة بنت سعد بن شهيد من بني عمرو بن عوف نكحت في بني عبد الدار قتلت لها اربعة ابناء يوم احد مع المشركين.

وذكرها البرقوقي في ديوان حسان ص ٢٧٠ عن الكشاف بنهج آخر قال:

ان طعمة بن ابيرق احد بني ظفر سرق درعا من جار له اسمه قتادة بن النعمان في جراب دقيق فكان الدقيق ينتثر من خرق فيه وخبأها عند زيد بن السمين رجل من اليهود فالتمست الدرع عند ابي طعمة فلم توجد وحلف انه لم يسرق شيئا فاتبعوا اثر الدقيق فابلغهم الى منزل اليهودي فسألوه عنها فقال: دفعها الي طعمة وشهد ناس من يهود بتصديقه فقالت بنو ظفرا انطلقوا بنا الى النبي وسألوه ان يجادل عن صاحبهم طعمة فهم النبي ان يفعل وان يعاقب اليهودي وقيل هم ان يقطع يده فنزلت الآيات تبرىء اليهودي من السرقة وتجرم طعمة ففر الى مكة وارتد ونزل على سلافة ونقب حائطا بمكة ليسرق اهله فسقط الحائط عليه فقتله

فهجاه حسان بن ثابت بقوله:

وما سارق الدرعين ان كنت ذاكرا	بذي كرم بين الرجال او ادعه
فقد انزلته بنت سعد فاصبحت	ينازعها جلد استها وتنازعه
فهلا اسيدا جئت جارك راغبا	اليه ولم تصمد له فترافعه
ظننتم بان يخفى الذي قد صنعتم	وفينا نبي عنده الوحي واضعه
فلولا رجال منكم ان يسوءهم	هجائي لقد حلت عليكم طوالعه

وقد ذكرنا هذه القصة مذيلة بابيات شعرية في الجزء الرابع من ديواننا (عرائس الجنان).

(سابقة (٣)) (انتقال الصفات بالوراثة)

(المبحث الثالث) في الآية الكريمة (ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل) اثبات انتقال الصفات الخلقية والخلقية من بعض لاخر بالوراثة من طريق التناسل والصحبة والاختلاط فهم يقولون ان يكن بنيامين سارقا فليس هذا بعيدا عنه فان له اخا شقيقا قد مارس السرقة من قبل فليس بعيدا ان تكون هذه الخلة قد انحدرت اليهما من امهما راحيل. وانتقال الصفات بالوراثة قد اثبته العلم القديم والحديث وجاء في القرآن والسنة النبوية.

فقد اثبت العلم التنلوجي والفسيولوجي بان صفات النقص والكمال قد تنحدر من الاباء والامهات الى الاولاد ومن الاقارب والارحام الى اقاربهم وارحامهم في الصورة والسيرة في الخلق والاخلاق فقدذكرنافي كتابنا (ازاهر الجنان) ص ٣٧ مخطوط:

قال الاستاذ سعيد ناصر الدهان في كتابه (القرآن والعلوم ص ٢٧ وعبد الرزاق نوفل في كتابه (القرآن والعلم الحديث) ص ١٠١: ان علم الوراثة منذ قامت اسس الدراسة فيه اتجهت انظار العلماء الى دراسة السلوك الوراثي للصفات واجريت التجارب المختلفة آلاف المرات على مختلف الانواع من البشر والحيوان

فاختلفوا فيما بينهم فمن قائل ان الصفات كلها تورث من الاب ومن قائل ان نصفها من الاب والباقي من الجد للاب ولكل على دعواه ادلة وبراهين يصعب الحكم بصحة بعضها دون الآخر. واخيرا في عام ١٨٩٧ م. توصل العالم المعروف (فرانسيس هولتون الى وضع قانون اسماه (قانون التوارث من السلف) استمده من نتائج ابحاثه ملخصه:

ان الفرد يأخذ صفاته نصفا من الاب ونصفا من الام وكل من هذين يأخذ صفاته من كل من ابويه بالتساوي اذ قد وجد ان كل نواة خلية بشرية تحتوي على (٤٨) طاقة من (الكروموزومات) عدا خلايا البويضة والنطفة فانها تحوي نصف هذا العدد ويتم العدد بتزاوجها وهذه (الكروموزومات) تحوي الجراثيم الموروثة التي تعد اصل وراثة الانسان للصفات ولما كان كل من الابوين قد اسهم بعدد مساو من الجراثيم فان الاب والام يتساويان في توريث ولدهما صفاتهما وقرر القرآن هذه النظرية بقوله (يا اخت هرون ما كان ابوك امرىء سوء وما كانت امك بغيا) مريم / اي ان مريم لم تكن خاطئة ولا آثمة اذ لم يكن هذا الخطأ موجودا في ابيها عمران وهو نبي معصوم ولا امها حنة وهي مضرب الامثال في العفاف والتقوى أهـ.

والظاهر ان مجرد لقاء الابوين لا ينقل صفات الاب للولد ما لم تتشبع المرأة من مخالطة الاب ورؤيته اذ قد تكون في مخيلتها انطباعات من رجل آخر فتنطبع في ولدها وتتغلب على صفات ابيه قال الدكتور (جورج كروسال) في كتابه (العريس في مخدع الحب): ان المرأة في اوعيتها التناسلية بعد النكاح تحتفظ بآثار لقاح الرجل لامد بعيد حتى انها اذا تزوجت من رجل آخر حملت اولادها منه طبائع زوجها الاول حتى لو لم تلد شيئا وكلما كانت معاشرتها من الزوج اكثر كان شبه ظل الرجل في نفسها باقيا مدة اطول.

وقال الدكتور (سيديو) ان الاطفال الذين يولدون بعد تسعة اشهر من ابتداء الزواج لا يشبهون الاب كالاطفال الذين يولدون بعد الزواج بسنوات فان هؤلاء

يحملون شبها ووصفا من الاب اعظم واكثر من اولئك بكثير .

ثم ذكر ما معناه ان مر بي الكلاب اذا طلب اليه ان يخلق لهم ولدا لكلب يحمل صفات ابيه كاملة طلب اليهم ان يسلم اليه الاب ليبقيه مع الكلبة يوما وليلة لترتكز انطباعات منه في نفس الكلبة وحينئذ يكون جروها نسخة مطابقة لذلك الكلب في الصفات والعادات .

وقرر علماء الجنس ايضا ان اتيان المرأة من الخلف في موضع الولد اجمع لذة واكثر شهوة وابلغ تمكينا لوصول القضيب لفضاء الرحم ولكن مع ذلك فان الاتيان من الامام افضل في نقل صفات الاب لولده لانها اذا قابلته وجها لوجه ارتسمت صورته في مخيلتها فتمثلت في الجنين اما اذا كانت لا تراه فان صور الرجال الآخرين تغالب صورة الاب فتغلبه على صورة الولد وهذا هو السر في عدم مشابهة الولد اباه وبعده عنه بما يبعث احيانا على الشك في عفاف المرأة وامانتها .

لا سيما وان صفات النقص ونقاط الضعف هي التي تتغلب غالبا على صفات الكمال والحسن والقوة فلو فرض ان احد الابوين كان دميما او اسود اللون او جبانا او بخيلا او قصيرا وكان الاخر جميلا او ابيض اللون او شجاعا او كريما او طويلا فان الولد يتصف باحدى تلك الصفات الاولى لا الصفات الثانية ومما يدل على ذلك ما رواه في ذخيرة الدارين ص ١٤٢ عن احمد بن على الداوودي في عمدة الطالب ان امير المؤمنين (ع) قال لاخيه عقيل بن ابي طالب - وكان نسابة عالما بانساب العرب واخبارهم - انظر الي امرأة قد ولدتها الفحولة من العرب لاتزوجها فتلد لي غلاما شجاعا فارسا فقال تزوج ام البنين فاطمة بنت حـــرام بن خالد ...) فقوله (ع) قد ولدتها الفحولة من العرب اشارة الى ان الشجاعة التي كـان يتحلى بها هو (ع) لا تكفي في اتصاف الولد بها الا اذا كانت صفة في طرفي الاب والام فان الولد يكون شجاعا ،اما اذا كان الاب شجاعا والام من سلالة جبناء فان الولد يكون جبانا لان صفات النقص هي التي تتغلب في الوراثة قال

الشاعر :

لا تخطبنّ سوى كريمة مربع ... فالعرق دساس من الطرفين
او ما نظرت الى النتيجة انها ... تبع الاخس من المقدمتين

وذكر ابن ابي الحديد في شرح النهج ١ / ٨٣ : ان رجلا قال للنبي (ص) اني احب ان انكح سودة بنت عمرو بن شريق الا ان في اخلاق اهلها رقة قال: اياك وخضراء الدمن اياك والمرأة الحسناء في بنت السوء ورواه الصدوق في معاني الاخبار بسنده عن محمد بن ابي طلحة الصيرفي عن الصادق (ع) عن ابائه عن النبي (ص) بنهج آخر وفسروا خضراء الدمن بانها الشجرة النابتة في مواطن الابل وابوالها وارواثها والاصح انه يعني الحية التي تتولد من العطن فهي تكون جميلة ذات الوان شتى ولكن لسعتها فيها الهلاك واليها يشير المؤلف في عرائس الجنان ٢/٢٦٦.

واياك ان تغتر يوما بغادة ... مهفهفة ليست سليلة ابرار
فتلك من الاشجار خضراء دمنة ... لها حسن زهر فوق بؤرة اقذار
او الحية الرقطاء شكلا وشيمة ... لها شكل طاوس ومهجة جزار
وعما قليل سوف تلقى وراثة ... بابناك ما فيها من النقص والعار

ومن القرآن الكريم يستدل عليه بقوله تعالى حكاية عن اهل مريم ابنة عمران (ع) لما جاءتهم بابنها عيسى (ع) وظنوا بها الفاحشة (قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا يا اخت هرون ما كان ابوك امرئ سوء وما كانت امك بغيا) مريم / اي لو كان ابوك امرئ سوء او كانت امك بغيا لم نتعجب ان ينتقل لك ذلك النقص بالوراثة ولكن اباك نبي معصوم وامك مضرب الامثال في التقوى والايمان. فهو يعني ان صفات النقص هي التي يتغلب ظهورها في الوراثة على صفات الكمال.

ومن الشواهد على ما قلناه في التاريخ ما ذكره ابن هشام والحلبي في السيرة

النبوية ان زيد بن حارثة الكلبي لما تزوج ام ايمن بركة الحبشية فاولدها اسامة خرج شبيها بامه في السواد دون ابيه فكان الناس يطعنون في نسبه فكان رسول الله (ص) يتألم لذلك فروى الشيخان عن عائشة قالت دخل علي رسول الله (ص) مرة وهو جذل مسرور فسألته عن سبب سروره قال الم تري ان مجزر المدلجي - وهو احد القافة - قد دخل علي فرأى اسامة وزيدا عليهما قطيفة قد غطيا رأسيهما وبدت اقدامهما فقال ان هذه الاقدام بعضها من بعض.

ومثله ما حدث للامام ابي جعفر بن محمد الجواد بن علي بن موسى الرضا (ع) قال ابن جرير الطبري في دلائل الامامة باسناده عن ابن محمد الحسن بن علي قال كان ابو جعفر شبيها بامه درة النوبية شديد الادمة حتى قال فيه اشاكون انه ليس من ولد الرضا (ع) وقالوا انه من سنيف الاسود مولاه او من لؤلؤة فحمله ابوه الى الحج وعمره (٢٥) شهراً فاتى به المسجد الحرام ذات يوم فلما قام الرضا يصلي ويطوف بالبيت اخذوه وعوضوه على القافة فلما نظروه خروا لوجوههم وقالوا ويحكم امثل هذا الكوكب الدري يعرض على امثالنا ما هو والله الا من ذرية رسول الله وامير المؤمنين.

وروى في الدمعة الساكبة عن الكليبي بسنده عن علي بن جعفر قال ان اخوة الرضا واعمامه قالوا له ما كان فينا امام قط حالك اللون فقال انه ابني قالوا فان رسول الله (ص) قد قضى بالقافة فاجعلهم حكما بيننا قال ابعثوا انتم اليهم ولا تعلموهم لماذا دعوتموهم ولتكونوا في بيوتكم. فلما جاءوا قعدونا في البستان واصطف عمومته واخوته واخذوا الرضا والبسوه جبة صوف وقلنسوة ووضعوا على عنقه مسحاة وقالوا له ادخل البستان كأنك تعمل فيه ثم جاؤا بابي جعفر وقالوا للقافة الحقوا هذا الغلام بابيه فقالوا ليس له ههنا اب ولكن هذا عمه وهذا عم ابيه وهذه عمته وان يكن له ههنا اب فهو صاحب البستان فان قدميه وقدمي هذا واحدة فلما رجع ابو الحسن قالوا هذا ابوه.

وقال المؤلف:

لو خالف الاب في الخلق ابنه شبهـا ... يوما فلا ترمه بالطعن في النسب
فـانـه بعـد حين سـوف يشبهـه ... كهلا وشيخا وان جافاد وهو صبي
وقـد يكـون لـه شبـه بـذي رحـم ... من عصبة الام او مـن عصبـة لاب
وكم ترى تـوأمين اشتـق مـن رحـم ... هـذا منير وهـذا حـالـك الاهـب

(مرفق (٣٤) (رجوع الفتية بدون بنيامين)

قال تعالى (فلما) فشلت محاولات ابناء يعقوب في الدفاع عن اخيهم بنيامين لاثبات براءته من السرقة التي اتهم بها و (استيأسوا) من انقاذه مما وقع فيه (خلصوا) اي اعتزلوا الناس وانفردوا فيما بينهم (نجيا) يتناجون ويأتمرون فيما يصنعون ويدبرون (قال كبيرهم..) في السن والعقل وهو روبيل الذي نهاهم عن قتل اخيهم يوسف لما خرجوا به الى المرعى نقله الطبرسي عن قتاده والسدي والضحاك وكعب. وقيل هو كبيرهم في العقل والذكاء والذي بيده القيادة وهو شمعون عن مجاهد وقيل كبيرهم في الجسم والاعضاء وهو يهودا عن وهب والكلبي. وقيل هو لاوي عن محمد بن اسحاق وعلي بن ابراهيم (... الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله) على ان تعيدوا بنيامين عليه (و) تذكروا (من قبل ما فرطتم في) اختطاف (يوسف) من ابيه وابعاده عنه وعدم اعادته اليه فقد تكررت المأساة والثانية تجدد ذكرى الاولى فاما انا (فلن ابرح الارض) ارض مصر (حتى يأذن لي ابي) بمغادرة مصر والرجوع اليه (او يحكم الله لي) بـذلـك (وهو خير الحاكمين. ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق) صواع الملك (وما شهدنا) عليه بالسرقة (الا بما علمنا) ورأينا من اخراج الصواع من رحله عند تفتيش الامتعة (وما كنا للغيب حافظين) ولا عالمين بصدق الامر او بطلانه (واسأل القرية التي كنا فيها) عندما اوقفنا عن المسير وطلب الينا تفتيش الظعن والرحال وهي قرية (الفيوم) سابقا (والعير التي اقبلنا فيها) من مصر لكنعان فان اهل الجمال قد شاهدوا ذلك (انا لصادقون) فيما ننقل من اخبار ذلك اليك.

(فلما رجعوا الى ابيهم اخبروه بما جرى لهم فقال ان ابني لم يسـرق) وهذه الجملة قد ذكرها في البحار ٥/١٨١ عن الصدوق في الامالي بسنده عن ابن عباس - في حديث طويل وذكر انها قد سقطت من المصحف الكريم خطأ من النساخ الذين اوعز لهم عثمان كتابة القرآن وان الحرف الاول في الآيات هكذا (واسال القرية التي كنا فيها والعير التي اقبلنا فيها وانا لصادقون. فلما رجعوا الى ابيهم اخبروه بما جرى لهم فقال ان ابني لم يسرق بل سولت لكم انفسكم امرا) تريدون به مساءتي (فصبر جميل والله المستعان على ما تصنعون) من اعذار بعيدة وانباء مجهولة.

(سابقة (١))　　　(تبرير بكاء يعقوب (ع))

(وتولى عنهم) اي انفرد بنفسه وقد هاج به الحزن الى اعظم ما يتصور (وقال واأسفاه على يوسف) وبنيامين وفقدهما وبعدهما عني (و) اخذ في البكاء والنحيب ومواصلة النوح والسهر حتى انهار جسمه (وابيضت عيناه) اي اصيبت بداء البياض وفقد النور الذي يبصر به (فهو كظيم) غيظه وقرين حزنه.

وابيضاض العين المذكور يمكن توجيهه بان لا يقصد به البياض الذي يحول سواد العين الى بياض وهو المرض المعروف. اذ لو كان ذلك لم يعقل ان يزول بمجرد اتيان قميص يوسف له. اذ لم يرد ان بصره رد عليه من طريق الاعجاز. وانما المفروض - كما هو ظاهر سياق الآي - ان ذهاب بصره كان نتيجة الفراق وعوده نتيجة العود في الوصل وانما المراد الى ابيضاض العين بما حولها من الدموع الجامدة وان ذلك يحول وضعها الى لون ابيض.

وتحليله على الوجه الطبيعي هو ان القلب اذا التهب بالغم والحزن ارتفع له قتار غليظ الى محاجر العين فتحول ماء تصبه العينان وهو الدموع. فاذا كثر وروده وهو حار بسبب فوران القلـب اوجـب تموج دم العين وبسبـب هـذا التمـوج يحدث الاحمرار فيهما حتى تكون العين كعلق الدم ويمتنع حينئذ النظر والرؤية منها. ولكن زوال هذا الاحمرار لا يستوجب الا برودة الدمع لذلك انه لما ورد عليه القميص

وبرد قلبه بالفرحة والابتهاج برد معه فسكن دم العين عن التموج وبسكونه زال ذلك الاحرار .

وقد تأولنا هذا الحزن الذي وقع يعقوب فيه في المرافق السابقة انه حزن وبكاء لضيعة الدين الذي يحمله ولده يوسف (ع) والرسالة التي يبلغها عن الله لعباده فهو داخل في نوع البكاء من خوف الله وخشيته والبكاء من هذا النوع يحتل اعلى درجات الفضل والثواب عند الله تعالى ففي الحديث عن النبي (ص) قال كل عين باكية يوم القيمة الا ثلاث اعين عين غضت عن محارم الله وعين بكت من خشية الله وعين باتت ساهرة في مرضاة الله .

وربما تقدم اولاده او اصدقاؤه يلومونه على كثرة بكائه (قالوا تالله) انك لا تزال ولا (تفتأ تذكر يوسف) فتبكي كثيرا (حتى تكون حرضا) اي هرما باليا (او تكون من الهالكين. قال انما اشكو بثي) اي ابث شكواي (وحزني الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون) من اللطف والرحمة بعباده الصابرين على بلائه .

وذكر الطبرسي عن النبي (ص) انه لما قال ذلك اتاه جبرئيل فقال: (ان الله يقرؤك السلام ويقول لك ابشر فوعزتي وجلالي لو كان ولداك يوسف وبنيامين ميتين لاحييتهما لك فاصنع طعاما للمساكين فان احب عبادي الي من يطعم الفقراء والمساكين... اوتدري لم اذهبت بصرك وقوست ظهرك لانكم ذبحتم شاة واتاكم مسكين صائم فلم تطعموه.. وذكر الثعلبي ان الله اوحي اليه: اتدري لم ابتليت بفقد الولد لانك اشتريت مرة جارية صغيرة ثم فرقت بينها وبين ابويها فلم ترحمها لصغر سنها..

وقد استعرضنا هذه الاحاديث في اول الكتاب عند ذكر (السبب في ابتلاء يعقوب بفقد يوسف) وتأولناها بما يناسب مقام النبوة ولا يقدح في العدالة ... قالوا فاعتق يعقوب (ع) عند ذلك كل من عنده من الرقيق وامر ان ينادى عند كل وجبة طعام او افطار من صوم بان يحضر مائدته كل مسكين وفقير ويحضر فطوره كل صائم وجائع .

(سابقة (٢)   (ابتداء دخول الفرج دار يعقوب)

كان ابتداء دخول الفرج والاغاثة في دار النبي يعقوب (ع) هو دخول اضياف الفقراء والمعوزين الى داره وتناولهم من طعامه وعتقه الرقاب من الرق الى الحرية... ولا شك ان في الصدقات واطعام الفقراء وعتق الرقاب اكبر الاثر لتفريج الكروب وتنفيس الهموم ونزول الفرج بعد الشدة واليسر بعد العسر فمما ينسب لامير المؤمنين (ع):

رب امر ضاقت النفس به   جاءها من قبل الله فرج
لا تكن في العسر يوما آيسا   من يسار تنجلي فيه الرتج
بينما المرأ كئيب مدنف   جاءه الله بروح وفرج

ففي البحار ٥/١٧٧ عن تفسير علي بن ابراهيم عن ابي جعفر (ع) قال: كان دعاء يعقوب للقاء يوسف (ع): (باحسن الصحبة يا كريم المعونة يا خير اله اتني بروح وفرج من عندك) فهبط عليه جبرئيل وقال: الا اعلمك دعاء يرد الله به عليك بصرك وابنيك؟ قال نعم. قال قل (يا من لا يعلم كيف هو الا هو يا من سد الهواء في السماء وكبس الارض على الماء واختار لنفسه احسن الاسماء آتني بروح منك وفرج من عندك.

فلما قارب الطعام الذي حملوه من مصر لهم النفاد لما كان يبذل من الصدقات والضيافة والعطاء دعا يعقوب ابناءه لاستئناف الرحلة الى مصر لامتيار طعام آخر ببضاعة مناسبة فذكروا ان بضاعتهم هذه المرة كانت من الصوف والقطن وخلق الفوارة والحبال ورث الحبال ولم يحملوا من ذلك الا القليل وكتب معهم كتابا الى ملك مصر وهو يظن ان الملك هو الذي يبيع الطعام ويقسمه على الناس وانه الذي احتجز ولديه بنيامين وروبيل.

وقد ذكر في المجمع عن كتاب النبوة بسنده عن طربال عن الصادق (ع) قال: ان يعقوب كتب الى ملك مصر: بسم الله الرحمن الرحيم من يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم خليل الرحمن الى عزيز مصر مظهر العدل وموفي الكيل.

ايها العزيز انا اهل بيت لم يزل البلاء الينا سريعا من الله ليبلونا في السراء والضراء وقد تتابعت علي المصائب منذ عشرين سنة فكان لي ولد كان من بين ولدي سروري وقرة عيني طلب اخوته الي يوما ان ارسله معهم الى المرعى فاجبتهم وعادوا بدونه يزعمون ان الذئب قد اكله فاشتد لفقده حزني وطال سهري وبكائي وكنت اتسلى عنه بأخ له شقيق كنت به معجبا وكان لي انيسا فكنت اذا ذكرت اخاه ضممته الى صدري فسكن ما اجد في نفسي وقد طلبته من اخوته ومنعتهم الطعام حتى يحملوه اليك فلما حملوه اليك احتجزته عندك بدعوى انه سرق مكيال الملك ونحن اهل بيت لا تجوز علينا النقائص والسرقات فقد اشتد لفراقه حزني وتقوس ظهري واشتدت بليتي فمن علي بتخلية سبيله واطلاق سراحه وجد لنا بالقمح واسمح لنا في السعر واوف لنا الكيل وعجل سراح آل ابراهيم انا نراك من المحسنين والله يجزيك خير جزاء المكرمين انه جواد كريم والسلام).

وفي البحار ١٧٧/٥ عن تفسير علي ابن ابراهيم بسنده عن حنان بن سدير عن ابيه عن ابي جعفر (ع) - في حديث طويل - ان يعقوب كتب الى عزيز مصر (بسم الله الرحمن الرحيم من يعقوب بن اسحاق الى عزيز مصر ... الخ

وفي ص ١٨٣ ذكره عن امالي الشيخ عن زياد بن المنذر عن الباقر (ع) وكل الروايات التي ذكرت في الكتاب بدأته بالبسملة وهي تعارض الاحاديث التي تروى ان البسملة لم تكن لاحد من الانبياء الا لسليمان بن داود (ع) قد خص بها دون الانبياء.

ثم ختمه بخاتمه وطواه بيده وسلمه لبنيه وقال (يا بني اذهبوا فتحسسوا عن يوسف واخيه) بنيامين اي استعلموا واسألوا عن خبرهما.

والفرق بين التحسس بالحاء المهملة والتجسس بالجيم المعجمة ان الاول هو استطلاع الامور بالسمع والفكر ولا يكون الا في مقاصد الخير والثاني هو الاستطلاع بالنظر واليد ولا يكون الا في مقاصد الشر وقد جمع المؤلف المعنيين في

قوله :

ولم انس لما كنت في الماء سابحا مع الحب نستوحي الوداد كلاما
تحسست في الصوت الرخيم هوى به تجسست في ما قيل عنه حراما

(سابقة (٣) (تحريم اليأس من روح الله)

(ولا تيأسوا من روح الله) عند البلاء والشدة وغفرانه وعفوه عند التوبة (انه لا ييأس من روح الله) وتوبته وعفوه (الا القوم الكافرون) قال الطبرسي : فيه دلالة على ان اليأس من روح الله عند البلاء والقنوط من الرحمة عند التوبة من الكبائر التي لا غفران لها فهنا بحثان .

(البحث الاول) اليأس من روح الله عند نزول البلاء وهو من كبائر الخطايا حيث ان الواجب على المؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر ان يركز في قرارة نفسه عندما يقع في البلاء والشدة ان له الها رحيما يسمع شكواه ويكشف بلواه ويستجيب دعوته وانه انما ابتلاه ليمتحن ايمانه ويعلم مدى صبره (كما قال تعالى (ولنبلونكم حتى نعلم الصابرين منكم ونبلوا اخباركم) محمد / (ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون . اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون) وقال الشاعر

ولرب طارقة يضيق بها الفتى ذرعا وعند الله منها المخرج
طرقت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكنت اظنها لا تفرج

وقال تعالى (فان مع العسر يسرا . ان مع العسر يسرا) الانشراح / ٦ قال الشاعر :

اذا ضاقت بك الدنيا تفكر في الم نشرح
تجد عسرين مع يسرين لا تحزن ولا تفرح

وقال الصادق (ع) ان الله تعالى جعل في مقابل العسر هنا يسرين ليعلم الناس ان العسر مهما تفاقم وعظم فلا بد ان يمحوه اليسر والرخاء من الله تعالى ومما ينسب لامير المؤمنين (ع):

وكم لله من لطف خفي ... يدق سناه عن فهم ذكي
وكم امر تساء به صباحا ... وتأتيك المسرة بالعشي
اذا ضاقت بك الاحوال يوما ... فثق بالواحد الفرد العلي

ولكن الله جعل لاستنزال الفرج والرخاء وسائل منها (١) الاستغفار قال تعالى (وقل استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنان ويجعل لكم انهارا) نوح/.

(٢) الدعاء قال تعالى (واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداعي اذا دعاني فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون) (ادعوني استجب لكم...) وانما جعل سورة يوسف من افضل السور في قوله تعالى (نحن نقص عليكم احسن القصص..) لما فيها من المواعظ والعبر والدروس النافعة والتعاليم الحكيمة ومن جملتها استنزال الفرج والخلاص من البلاء والشدة بالمسألة والدعاء فبالدعاء خلص يوسف من الجب سالما من المكاره وبالدعاء سلم من كيد راعيل وظهرت براءته وعفته وبالدعاء اطلق سراحه من السجن الذي حكم عليه به وبلغ الى الملوكية والرياسة وبالدعاء استعاد يعقوب اولاده يوسف الذي آيس من وجوده وبنيامين الذي اتهم بالسرقة وحكم عليه في مصر بالاقامة الجبرية وروبيل الذي تخلف في مصر حياء من لقيا ابيه وبالدعاء عاد اليه بصره الذي ذهب نتيجة طول السهر والبكاء لغيبة اولاده الثلاثة.

(٣) التوسل الى الله عند مسألته بما يحب من الاعمال الصالحة وبمن يحبه من عباده المخلصين فان اصحاب الكهف توسلوا الى الله بايمانهم بوجوده وتوحيده قال تعالى: (واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فآووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من

رحمته ويهيء لكم من امركم مرفقا) فانجاهم الله من كيد دقيانوس وضرب على اذانهم بالنوم وسد عليهم باب الكهف.

وتوسل اصحاب الرقيم الذي سدت الصخرة عليهم باب المغارة باعمالهم الصالحة اولهم توسل بالامانة واعادة الحق لصاحبه والثاني توسل بالعفة والتقوى والثالث ببر الوالدين فانزاحت الصخرة عن باب المغارة اثني عشر مترا.

وبعض اهل الايمان والتقوى يرون سلامة ذلك لهم اهم من سلامة انفسهم من الهلاك فيتوسلون الى الله بتعريض انفسهم للبلاء ليسلم لهم دينهم وتقواهم فيقدم بعضهم على ان يخصي نفسه لتسلم له عفته وايمانه فينشق له الجدار ويخرج سالما بدينه وصحته. ويقدم آخر على ان يلقي بنفسه من الطابق الاعلى الى الارض فيبعث الله له طائرا يحمله على جناحيه فيهبطه الى الارض بأمان.

وفي المرافق الاولى من هذا الكتاب ذكرنا في دعاء يوسف لما القي في البئر ان جبرئيل امره ان يتوسل الى الله في دعائه بوجوه آباءه يقول (اللهم ان كانت ذنوبي قد اخلقت وجهي عندك وحالت بيني وبين رحمتك فاني اتقرب اليك بوجوه ابائي ابراهيم واسحاق ويعقوب الا فرجت عني وخلصتني مما انا فيه) وقد قيل للامام الصادق (ع) أيدعي به كما دعا يوسف؟ قال نعم ولكن قولوا (فاني اتوجه اليك بوجوه اوليائك محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين (ع) الا فرجت عني..).

(البحث الثاني) القنوط من رحمة الله وعفوه عند التوبة من عمل الجرائم والسيئات فقد نهى الله تعالى عنه وعده من الضلال قال تعالى (قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون) الحجر/٥٦ (قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم) الزمر/٥٣.

وفي الحديث عن الامام الصادق (ع) قال اتدرون من اعظم الناس ذنبا؟ من طاف بهذا البيت أسبوعا وصلى ركعتيه وسعى بين هذين الجبلين ووقف في مزدلفة وعرفات ثم ظن ان الله لم يغفر له فهو اعظم الناس ذنبا اهـ لانه يعتبر بذلك

مكذبا لله في قوله (ان الحسنات يذهبن السيئات) فيجب على المؤمن اذا اتى باعمال التوبة وصدق في انابته واستغفاره ان يتيقن في قرارة نفسه ان الله تعالى قد غفر له.

(اسلام وحشي بن حرب)

ذكر الطبرسي في تفسيره ٢/٥٦ في سبب نزول قوله تعالى (ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر دون ذلك لمن يشاء...) النساء/ ٤٨.

ان وحشي بن حرب قاتل حمزة بن عبد المطلب في واقعة احد وقد جعل له على قتله ان يعتق من الرق فلم يوف له بذلك. فلما قدم مكة ندم هو واصحابه على صنيعهم فكتبوا لرسول الله (ص): انا قد ندمنا على ما كان منا وليس يمنعنا من الاسلام الا انا سمعناك وانت بمكة تقول (والذين لا يدعون مع الله آله آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما. يضاعف له العذاب يوم القيمة ويخلد فيه مهانا) وقد دعونا مع الله اله اخر وقتلنا النفس التي حرم الله وزنينا فلولا هذا لاتبعناك فنزلت الآية التالية (الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما. ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله مثابا) الفرقان/ ٧١ فبعث بها رسول الله الى وحشي واصحابه فلما قرأوها كتبوا اليه: ان هذا شرط شديد نخاف ان لا نعمل عملا صالحا فلا نكون من اهل هذه الآية فنزل قول الله (ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر دون ذلك لمن يشاء..) فبعث بها اليهم فقرأوها فبعثوا اليه: انا نخاف ان لا نكون من اهل المشيئة فنزلت (يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا..) فلما قرأوها دخل وحشي واصحابه في الاسلام ورجعوا الى رسول الله (ص) فقبله منهم.

(مرفق (٣٥) (قدوم الفتية بكتاب ابيهم الى يوسف)

وتفصيل القول عن هذا المرفق يستدعي تقديمه في ثلاث سوابق :

(سابقة (١) (شكواهم حال ابيهم الى يوسف)

وسار الفتيان الى مصر حتى قدموها للمرة الثالثة وقصدوا القصر الملكي لمقابلة الصديق (ع) (ولما دخلوا عليه) اي على يوسف (قالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا الضر) فقد كان البلاء من قبل مختصا بأبينا يعقوب لحزنه على فراق ولده المفقود حال الصغر اما الآن فقدَ عم البلاء علينا كلنا بالحزن والاسى لما حل بأبينا لفقد ولديه فهو لا ترقى له عبرة ولا تخمد له زفرة فنحن لا نتهنى بطعام ولا شراب ومنام ففارقناه ولا امل لنا في حياته (وجئنا ببضاعة مزجاة) اي قليلة ورديئة (فاوف لنا الكيل) في الطعام الذي تسوقه الينا .

ثم تنازلوا في التذلل والاستعطاف فقالوا (وتصدق علينا) اي تفضل وتكرم . . وليس المراد به الصدقة التي بمعنى الزكوة والتبرعات المالية ليستدل بها على جواز الصدقة على الانبياء فالمعروف ضرورة من الدين الاسلامي هو تحريم الصدقة على النبي واهل بيته اعزازا واجلالا لهم عن هذه الفضول من الاموال لانها تعتبر كسواقط الخوان وفضلات الطعام فالاكل منها ذل وهوان وانحطاط وامتهان ولا بد ان الانبياء يشاركون اهل البيت (ع) في هذه المأثرة التي اثرهم الله بها وهي ابعادهم عن اموال الصدقات وتخصيصهم باخماس الاموال قال تعالى (واعلموا ان ما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى) اي قرابة الرسول وذريته من ابنته فاطمة الزهراء (واليتامى والمساكين وابن السبيل) ممن ينتسبون لاهل البيت (ع) بطريق الآباء .

. . علينا باطلاق سراح اخينا بنيامين عسى ان يدرك اباه فيراه ولو مرة قبل الوفاة (ان الله يجزي المتصدقين) المحسنين الى الناس .

واعلم ان ابانا يعقوب نبي الله بن اسحاق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله يقرؤك السلام وهو يسألك ان تطلق سراح اخينا بنيامين فانه لا طاقة لنا بفراقه وقد بلغ

به الحزن ان شاب رأسه وتقوس ظهره واحمرت عيناه من البكاء وكتب اليك كتابا.

والقوا اليه الكتاب فوضعه امامه فأخذه وفضه وقرأه ودمعت عيناه وقال ان اباكم في كتابه هذا ابكاني مما وصف لي من افعالكم السيئة بانكم طلبتم اليه ان يرسل معكم الى المرعى ابنه الحبيب الى قلبه والعزيز عنده فعدتم تزعمون ان الذئب قد اكله فاشتد لفقده حزنه وطال سهره وبكاؤه فقالوا ذلك مما قدره الله فلم يكن بيد احد رد لقضاء الله.

(سابقة (٣) (قالوا انك لأنت يوسف؟)

ذكر المؤرخون ان الفتية اخذوا يتهربون عن الاعتراف بما عملوا بيوسف (ع) ولكن يوسف اخذ يسد عليهم السبل ويقيم عليهم الحجة قال تعالى:

(قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف) انكم كذبتم على ابيكم بزعمكم انه اكله الذئب فان الذئب لا يأكل لحوم الانبياء وانما عزمتم على قتله فدافع عنه روبيل ثم اتفقتم على القائه في البئر وقطعتم الحبل به وجردتموه من ثيابه ثم حصبتموه بالاحجار فمنعه الله منكم. ثم اتيتم في اليوم الثاني وقد اخرجته القافلة فزعمتم انه عبدكم وشهرتم عليه السلاح ان انكر العبودية لقتله ثم بعتموه بعشرين درهما واقتسمتموها درهمين درهمين...

قالوا ومن اعلمك بهذا فان كان روبيل فانه كذاب قال كلا لم يكذب بل انتم الكاذبون ارأيتم ما حدث بكم من قحط وجوع وذل وهوان هو جزاء ما فعلتم بيوسف من المهانة والضرب والابعاد والتغريب (واخيه) بنيامين مما زرع الحسد له في نفوسكم فلو اعدناه ليسير معكم الى كنعان لفعلتم به ما فعلتم بأخيه (اذ انتم جاهلون) عواقب الحسد ان لا يقع بلاؤه الا على رأس حامله فيهلكه. قالوا وهل جعلك الله علينا حسيبا تحاسبنا على اعمالنا ام جعلك يوسف واخوه محاميا عنهما فماذا وضعا لك من المال على ذلك؟ فتبسم يوسف حينئذ وارخى اللثام عن وجهه واسفر عن محاسنه فتحقق لهم انه اخوهم.. (قالوا أأنك لانت يوسف؟ قال انا

يوسف وهذا اخي) بنيامين اللذان انجيا من كيدكم وسلما من مكركم (قد من الله علينا) بالسلامة والاجتماع بعد البعد والفرقة من ظلمكم (انه من يتق الله) مؤمنا به (ويصبر) على قضائه (فان الله لا يضيع اجر المحسنين)..

وفي البحار ١٧٧/٥ عن ابن عباس انه لما اجتمع يوسف باخوته في المرة الاخيرة تبسم فنظروا الى ثناياه كاللؤلؤ المنظوم فعرفوه.. وقيل انه رفع التاج عن رأسه فعرفوه ـ ذكره في الهامش ـ..

.. فوقعوا عليه يقبلون يديه ورجليه وهم يبكون حياء وانكسارا لما قصروا في حقه قال ولم تبكون يا اخوتي (قالوا تالله لقد آثرك الله علينا) بما وهبك من العلم والصبر والايمان والملك والسيادة (وان كنا لخاطئين) فيما فرطنا من امرك وجهلنا من حقك وقصرنا في شأنك وقد ملكك الله نواصينا وحكمك فينا وامرك علينا فاسمح عنا ما فعلنا واعف عن جهلنا فقد كفى والله ما نزل بسببك علينا وانتقم الله لك منا فان تعف عنا فبفضلك وان تعاقبنا فنحن مستحقون (قال لا تثريب) اي لا تعيير ولا توبيخ (عليكم اليوم) فيما فعلتم اذ اعترفتم بالخطأ واقررتم بالتقصير واستحقاق العقاب فاني عفوت عنكم وغفرت لكم وادعو وارجو (يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين) فقد قال جدي ابراهيم الخليل: اذا امكنك الله ممن ظلمك فاجعل العفو عنه شكرا لقدرتك عليه.

مكارم الاخلاق في ثلاثة منحصرة
لين الكلام والندى والعفو عند المقدرة

(سابقة (٣) (اقتداء النبي (ص) بيوسف)

وقد ذكر المؤرخون كابن اسحاق وابن هشام في السيرة النبوية ان سيدنا رسول الله اقتدى بالصديق يوسف (ع) في كرمه وحلمه وعفوه عمن اساء اليه.

ذكروا ان رسول الله (ص) لما خرج في شهر رمضان عام الثامن من الهجرة

بجموع المسلمين لفتح مكة المكرمة وافاه في طريقه عند (نيق العقاب) ـ موضع بين الحرمين ـ صهره عبد الله بن ابي امية بن المغيرة المخزومي واخوه من الرضاعة ابو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب ـ وامه عدية بنت قريش بن طريف من ولد فهد بن مالك ـ ومعه ابنه جعفر وهو يومئذ غلام يفع وهم يومئذ مشركون يطلبون مقابلة النبي (ص) ليدخلوا على يديه في الاسلام ففرح بهم المسلمون.

وقد نزل الركب في ذلك الموضع وضربت للنبي (ص) خيمة فدخلها مع زوجه ام سلمة هند بنت ابي امية بن المغيرة المخزومية فأتى النفر يستأذنون ليدخلوا عليه فلم يأذن لدخولهم ولا خرج لمقابلتهم فعجبت من ذلك ام سلمة وقالت قد ادهشني امرك يا رسول الله فما كان لك مثل ذلك مع غيرهما اما ابو سفيان فاخوك وابن عمك واما عبد الله فصهرك وابن عمتك فلا يكونا اشقى الناس بك. قال اني لا انكر قرابتهما لكني لا اطيق مقابلتهما ولا الحديث معهما اما ابو سفيان فقد والله هتك عرضي بما كان يهجوني به من الشعر ويأمر فواحش مكة تتغنين به الم تسمعي ما تغنت به سلافة بنت سعد بن شهيد من شعره:

فما بال اقوام يحبون محمدا ... فلم ادر ماذا منه اضحى محببا لهم
امن حبه مس النساء فانه لم يزل ... في حبهن معذبا مدى الحياة(١)

واما عبد الله اخوك فهو الذي اخجلني بمقالته امام قريش ورؤسائهم فهو الذي حكى الله تعالى عنه (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا. او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا. او يكون لك بيت من زخرف او تأتي بالله والملائكة قبيلا او ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرأه قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا) الاسراء/٩٣.

---

(١) هو شعر منظوم ولكن رسول الله (ص) اذا حكى الشعر لا ينطق به الا منثورا كما هي عادته لقوله تعالى (وما علمناه الشعر وما ينبغي له..)

وقد ذكر هذا الشعر الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد وابو الفداء في تاريخه وهو هذا:

فلما بلغهما قول النبي (ص) ورفضه مقابلتهما اشعرا بعظم الجريمة التي وقعا فيها بايذائهما للنبي وردهما عليه فقال ابو سفيان اما انا فاذا لم يقبلني رسول الله (ص) فاني سأسلك هذا البر مع هذا الغلام حتى تأكلنا السباع او نهلك عطشا وجوعا وقال عبد الله مثل ذلك. فأشار الناس عليهما ان يتوسلا للنبي (ص) بأخيه علي بن

فما بال اقوام تحب محمدا ... فلم ادر ماذا منه اضحى محببا
امن حبه مس النساء فلم يزل ... في حبهن مدى الحياة معذبا
نبي النسا والحرب ليس سواهما ... يحب ولا في غير حبهما صبا
اذا عاد من حرب اعد جمزعه ... لاخرى ومن قوم لقوم توثبا
واما اشتفى من زوجة مال قلبه ... لاخرى ومن ردف لردف تقلبا
فلما قضى من عائش مد صرفه ... لزوجة مولاه فاعره زينبا
وفي عوده من خيبر حط رحله ... ليبني في عرض الطريق بمن سبا
يلفق قرانا على وفق رايه ... ويزعمه وحيا اتاه مرتبا
يبدله ما بين حين وآخر ... ويأتي لما ينساه منه مكذبا
يحرم ما يأبى ويوجب ما هوى ... ومن شاء اقصاه ومن شاء قربا

وقد رد عليه حسان بن ثابت بقصيدة مماثلة ولما اسلم ابو سفيان اعتذر الى النبي مما قاله في حقه فأمر حسانا ان يلغي ما رد عليه به وقد اتخذ الملحدون والزنادقة من هذا الشعر وامثاله قواعد واسسا لتكذيب القرآن وادعاء وجود النقص والتحريف والتناقض فيه. وتكذيب الرسول الكريم وانه لا فرق بينه وبين مسيلمة وسجاح وامثالها الا بأن الحظ وافقه وخالفهم وانه لم يكن في حسبانه ان تبقى الناس على دينه بعد موته لقوله (.. افأن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم..)

ابي طالب (ع) لانه اعز الناس عليه واحبهم اليه ولا يرد شفاعته فلما اتياه قال لا حاجة ان اشفع لكما عند النبي (ص) انه اكرم واحلم من ان يستشفع اليه. ولكن اذهبا في طريقكما الى مكة فتكونا على ضفة الجادة - اي حافة الطريق - فاذا مر بكما النبي على راحلته فقفا امامه وقولا له مقالة اخوة يوسف لما عرفوه واعتذروا اليه عما فعلوا به (تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين) فانه لا يقبل ولا يرضى ان يكون احد افضل اجابة منه.

فلما فعلا ما امرهما به امير المؤمنين (ع) واستقبلا رسول الله بمقالة بني يعقوب لاخيهم يوسف، قال (لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين) واسلما وقبل النبي اسلامهما وصحباه لفتح مكة.

(مرفق (٣٦) (تدارك حياة يعقوب بالبشارة)

لما تعرف يوسف (ع) باخوته سألهم ان يبادروا لانقاذ ابيهم من الهلاك بأن يركب احدهم مسرعا اليه بالبشارة والحديث في هذا يدور حول ثلاث سوابق.

(سابقة (١) (من سار بالبشارة الى كنعان)

دارت بين يوسف واخوته الاحاديث الودية وسألهم عن حال ابيه فاعلموه انه من لدن ثلاثين سنة لا يتهنىء بطعام ولا شراب ولا منام وقد اشتد بلاؤه مؤخراً عندما فقد سلوته عن ابنه المفقود فما زال باكي العين حزين القلب لا ترقى له عبرة ولا تخمد له زفرة فلو تفضلت بكتاب منك نوصله اليه لعلنا ندركه قبل الوفاة فتعود له حياته وترجع له روحه قال لا حاجة الى كتاب (اذهبوا بقميصي هذا) الذي خلعه علي الملك الريان بن الوليد ليلة بنائي براعيل مضمخا بالعطر والطيب منسوجا من الحرير والذهب (فالقوه على وجه ابي يأت بصيرا) بقدرة الله تعالى. فقد كان ابتداء بلاءه برؤية قميصي السابق ملطخا بالدم فليكن انتهاؤه برؤيته مضمخا بالطيب والعنبر.

فقال اخوهم يهودا - كما قال الطبرسي والثعلبي وغيرهما - اذنوا لي ان اركب سابقا من الخيل واسبقكم ببشارته عسى ان ادركه قبل الوفاة. فلئن بقي على حالته

حتى تقضوا ضيافتكم وتكملوا راحتكم فارقت روحه الحياة.

وانا الذي احزنته بالقميص ملطخا بالدم فعراه ما هو فيه من الاسى والاحزان فهبوني اذهب له بهذا القميص المعطر فيعود له السرور والافراح فاغسل تلك المسيئة المريرة بهذه الحسنة النضيرة (ان الحسنات يذهبن السيئات). فأمر له يوسف بسابق من الخيل وماء وزاد فيه (١٦) رغيفا فقال لا احمل معي الا سبعة ارغفة فقط ولن استكمل اكلها حتى اصل كنعان وادخل فلسطين.

وجاء في حديث ابي حمزة عن علي بن الحسين (ع) ان المسافة بين مصر ومنزل يعقوب بفلسطين مسيرة (١٢) يوما قال في البحار ١٨٥/٥ وهو مروي عن العلل وتفسير العياش ـ وقال آخرون كانت المسافة بين مصر وكنعان ثمانين فرسخا اي (٤٣٢) كيلومترا [١].

وودعهم يهودا واطلق عنان فرسه فقطع هذه المسافة في مدة ثلاثة ايام فقط ولم يأكل من الخبز الا ستة ارغفة فقط. حتى بلغ الى ادنى المياه فلقي هناك عيرا عائدة من مصر فنزل وسقى فرسه وغسل جسمه من وعثاء السفر ولبس الحلة اللتي خلعها عليه يوسف كجائزة له على تبليغ البشارة بحياة يوسف لابيه يعقوب.

(ولما فصلت العير) التي فيها يهودا من تلك المناهل (قال ابوهم) يعقوب لمن حوله من اسرته (اني لاجد ريح يوسف لولا ان تفندون) اي تسفهوني.

ويمكن ان يكون هذا الاخبار لا عن طريق الاعجاز وعلم الغيب بل عن طريق وحي الحب فان المحب اذا كان حبه مفرطا قدر بواسطته على اكتشاف المعلومات الخفية عن حبيبه فقد ذكروا ان مجنون ليلى وهو قيس بن الملوح كان في اليمن واشعر بوفاة حبيبته ليلى بنت مهدي العامرية وهي في ا لعراق واخبر الناس به. وسار على هذا الوحي من الحب اليها ولما بلغ محلتها سأل عنها فأخبروه بموتها

فسألهم عن قبرها فكتموه خوفا عليه من الهلاك فأتى المقابر وجعل يشم تربها الواحد بعد الآخر حتي اهتدى اليه يشم ريحه وانشأ :

ارادوا ليخفوا قبرها عن محبها ولكن تراب القبر دل على القبر

ولكن اسرة يعقوب استبعدت ان يبلغ حبه ليوسف (ع) الى مستوى يكتشف به اخبارا بعيدة عن محبوبه بمحض الخيال والشعور فلما قال لهم اني لاجد ريح يوسف اي طيبه وعرقه قد حملته الريح نحونا (قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم) اي انحرافك العقلي السابق بسبب تغلغل الاوهام في عقلك وفكرك وانما نسبوه الى الضلال والجهل لاعتقادهم هلاك يوسف بافتراس الذئب له لما اخبر به اخوته الغائبون فكيف عاد الى الحياة وشم عرقه على متن الرياح فلو قال اني لاجد ريح بنيامين لم يكن ذلك بعيدا حيث انه على قيد الحياة.

فهم يظنون ان برحاءه على فقد بنيامين قد جددت ونزلت اليه برحاءه الاولى على فقد يوسف كما قال سابقا لما اخبر باعتقاد بنيامين في مصر (وتولى عنهم وقال وااسفي على يوسف) بدل ان يقول وااسفي على بنيامين قال الشاعر :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب الا للحبيب الاول

وقال آخر

لقد لامني عند القبور على البكا رفيقي لتذراف الدموع السوافك
فقال اتبكي كل قبر رأيته لقبر ثوى بين اللوى والدكادك
فقلت له ان الاسى يبعث الاسى فدعني فهذا كله قبر مالك

(سابقة (٢) (القاه على وجهه فارتد بصيرا)

قال تعالى (فلما ان جاء البشير) يهودا بقميص يوسف الملكي المعطر بعطر الزفاف لابيه يعقوب (القاه على وجهه) وقال هذا قميص حبيبك يوسف انه على

قيد الحياة ولم يكن من الهالكين انما اغوانا شيطان الحسد والحقد وحملنا على ابعاده عنك والكذب عليك بانه قد اكله الذئب. فشهق يعقوب شهقة كادت روجه ان تخرج واخذ يشمه ويلثمه ويضمه ويمر به على جسمه وبصره وجوارحه فما مسح به بصره الا وعيناه تلتمعان نورا وحورا. وما مر به على جوارحه الا وقد عادت لها صحتها ونضارتها (فارتد بصيرا) صحيحا سليما من جميع ما حدث به من سقام وعلل واعراض وسجد شكرا لله و (قال الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون) ان ما يكون منه مصدر البلاء يكون به منتهاه فقد كان مصدر بلائي من رؤية قميص يوسف ملطخا بالدماء وارتفع البلاء برؤيته وشم عرقه وهو مضمخ بالطيب والشذى. كما ان مصدر البلاء على آل يعقوب برد السائل دميال بجوعه وطواه وارتفع عنهم باطعام الفقراء والعفاة قال المؤلف:

اذا نلت من باب من الدهر شدة — فكن راجيا منه الرجاء يثوب
الم تر في يعقوب من رد سائل — عراه على فقد الحبيب لغوب
واطعامه المسكين يوما اعاره — مباهج لم تخطر بهن خطوب
اتته البلايا من قميص ملطخ — دما وبدعوى القتل بان كذوب
واذ جاءه ذاك القميص مطيبا — له انشرحت بالطيبات قلوب
اتاه العمى من ذاك اذ صب دمعه — وابصر من ذا الطرف وهو طروب

(ما هو القميص الذي بعثه يوسف لابيه)

واختلف المفسرون في هذا القميص الذي ارتد به يعقوب بصيرا على اقوال:

(القول الاول) انه القميص الذي القى به ابراهيم الخليل (ع) في نار النمرود فكانت عليه بردا وسلاما وان يعقوب طواه في قصبة فشدها في عنق يوسف عندما اخرج مع اخوته الى المرعى والقي في البئر وهو معه.

وهذا القول بعيد الصحة من جهتين (أ) طي القميص حتى يصير في قصبة

و (ب) بقاء القميص معه وقد سلبته اخوته كلما كان عليه حتى شهروا عليه السلاح لينزع سراويله فأقسم عليهم بوجه ابيهم يوسف فكفوا عنه كما نبهنا عليه في محله.

و (القول الثاني) انه قميص الذي نزل به عليه جبرئيل من الجنة لما انزل في البئر عاريا فحمل الى مصر وهو معه وما زال محتفظا به في جميع ادوار حياته والمواطن التي نزل بها قصر العزيز وقاعة السجن وقصر الملك الريان فبعث به اخاه يهودا ليلقيه على وجه أبيه لينال به البصر والقميص هذا ثابت ولكن ليس هو الذي بعث به يهودا. لانه من مواريث الانبياء التي تنقل من الانبياء لاوصيائهم حتى انتقل الى حيازة سيد المرسلين ثم وصية امير المؤمنين ثم الى ابنائه المعصومين (ع) وهو اليوم في حيازة سيدنا الامام المنتظر (ع) كما ذكرناه في موضعه.

و (القول الثالث) انه القميص الذي خلعه عليه الملك الريان عند اطلاق سراحه من السجن او ليلة زفافه على السيدة راعيل فقد ذكر ابن كثير في (قصص الانبياء) ٢٠٨/١ أن راعيل بنت قيطور هي ابنة اخت الملك الريان بن الوليد صاحب مصر أهـ وهذا الذي نختاره.

وقد سبق القول ان قميص الزفاف هذا كان منسوجا من اجود الحرير والوشي والذهب يقدر ثمنه بآلاف الجنيهات وكان مضمخا بأطيب انواع العطر والند والطيب حتى انه اذا اخرج من السفط الذي هو فيه عبق القصر كله طيبا وعطرا وندا وقد باعه يعقوب بعدما شفي به من سقامه على امير كنعان فتصدق بثمنه على الفقراء والضعفاء عندما عزم على الخروج من فلسطين للالتحاق بيوسف في مصر.

ونحن لا ننكر القميص السماوي فهو مذكور في مواريث الانبياء وانما ننكر ان يكون هو الذي بعث به يوسف اخاه يهودا لابيه يعقوب (ع) وذلك لامرين (الاول) انه لا يسلم الا نبي او وصي نبي ولم يكن يهودا منهما و (الثاني) ما سمعت ان يعقوب باعه من امير كنعان وتصدق بثمنه ولو كان

القميص السماوي لم يستسع بيعه.

(سابقة (٣)) (اقمصة يوسف (ع))

واتضح مما ذكرناه ان ليوسف (ع) عدة اقمصة ولكل قميص اية معجزة:

(القميص الأول) هو الذي البسه ابوه اياه حين طلب الخروج مع اخوته الى المرعى فنزعوه منه لما انزلوه الى البئر ولطخوه بدم شاة واتوا به اباه يزعمون ان الذئب قد افترسه. وكانت الآية فيه على كذبهم سلامته من الخرق والمزق فلو فرض ان الذيب قد افترسه كان من المحتم ان يمزقه ويخرقه في تمزيق من هو عليه.

و (القميص الثاني) هو الذي كان عليه حين راودته التي هو في بيتها عن نفسه فانفلت عنها هاربا نحو الباب مبادرا للخروج فعدت من خلفه وامسكته من قميصه فقدته من الخلف. وكانت الآية فيه ما ذكره الشاهد (ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين. وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين. فلما رأى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم..).

و (القميص الثالث) هو قميص الزفاف الذي خلعه عليه الملك الريان ليلة بناءه براعيل منسوجا من الحرير والوشي والذهب مضمخا بالطيب والعطر يقدر بآلاف الجنيهات وكانت الآية فيه انه لما اتى به البشير يهوذا والقاه على وجه ابيه يعقوب ارتد بصيرا واشتفى من كل سقام والم فيه.

وهذه الاقمصة الثلاثة قد ورد ذكرها في البحار ٥ / ١٨٠ عن الصدوق في الخصال بسنده عن هشام بن سالم عن الصادق (ع) قال: كان في قميص يوسف ـ من حيث النوع لا الذات ـ ثلاث ايات في قوله تعالى (وجاؤوا على قميصه بدم كذب) وقوله (انكان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين) وقوله (فلما ان جاء البشير القاه على وجهه فارتد بصيرا).

و (القميص الرابع) هو القميص السماوي الذي نزل به جبرئيل (ع) عليه

من الجنة لما القي في البئر مجردا من ملابسه فالبسه اياه وذهب الى مصر مع اهل القافلة وهو عليه وكانت الآية فيه سلامة صاحبه من جميع الآفات والعاهات لا تعرض له السباع ولا يؤثر فيه النار والسلاح وهو من مواريث الانبياء تتناقله من نبي الى وصي وحتى صار في حيازة سيد المرسلين ثم لاهل بيته حتى وقع الى المهدي صاحب الزمان (ع).

(مرفق (٣٧) (شرائط غفران الذنوب)

ولما عاد الركب بالفتية من مصر الى فلسطين ودخلوا على ابيهم يعقوب (ع) وجدوه افضل ما كان جسمه عليه فوقعوا عليه يقبلون اقدامه واطرافه وهم يبكون نادمين على ما فرطوا في امره وجهلوا من حقه (قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين) فيما فعلنا بك وبابنك يوسف من المكاره (قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم).

وفي الآية الكريمة دلالة على امكان قبول التوبة وحصول العفو من الله على الخطايا والذنوب مهما يكن نوعها ويعظم وزرها فان خطيئتهم في يوسف (ع) قد اشتملت على عدة جرائم (١) خديعتهم اباهم يعقوب لان يرسل ابنه معهم (٢) استقبالهم اخاهم بشتى اصناف العداء والعنف والشدة لما ابعدوا به عن القرية (٣) نهبهم زاده وماءه وما زوده به ابوه (٤) عزمهم واتفاقهم على قتله (٤) سلبهم ملابسه وثيابه وعزمهم الكشف عن عورته (٦) القاؤه في البئر بقصد ان يهلك وقطعهم الحبل المدلى به ليصطدم بما هناك من صخور واحجار تتكسر عليها عظامه (٧) حصبهم له بالاحجار ليقضوا على حياته (٨) كذبهم على ابيهم بانه اكله الذيب وتعريضه لهذا الحزن والاسى الطويل (٩) تهديده في اليوم الثاني لما اخرجه اهل القافلة بالقتل ان لم يعترف لئم بالعبودية وشهرهم السلاح عليه (١٠) ادعاؤهم ملكيته وبيعه بثمن كلب الماشية عشرين درهما واتهامهم له بالكذب والتزوير والاختلاف.

ومع هذا فقد وعدهم ابوهم بان يستغفر الله ليغفر لهم وامكان حصول

العفو لهم من الله عز وجل قال تعالى (يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا وهو الغفور الرحيم).

ولكن الذنوب تختلف في نوعها واثمها فلا يعقل ا ن تكون كلها صالحة للمغفرة وقابلة للعفو عنها.

فمنها ذنوب لا يغفرها الله الا بان يتحرر صاحبها من جميع متعلقاتها كالكفر بالله والشرك به قال تعالى (ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا) اما قول ابراهيم فيما حكى الله عنه (واغفر لابي انه كان من الضالين) فمعناه: احمل ابي على ما يستحق به الغفران وهو الايمان بالله والاستقامة قال تعالى (وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عند موعدة وعدها اياه) انه سيتحول من الكفر الى الايمان (فلما تبين انه عدو لله تبرأ منه ان ابراهيم لأواه حليم) التوبة/١١٤ والوعدة هي التي ذكرها في قوله (قال سلام عليك) اذا آمنت بالله (ساستغفر لك ربي انه كان بي حفيا) مريم/٤٧ وقوله تعالى (الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك) ان آمنت بالله عما اجرمته في زمان كفرك (وما املك لك من الله من شيء) ان بقيت على الكفر وعبادة الاوثان (ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير) الممتحنة/٤.

ومنها (٢) ما لا يغفره الله الا بالتكفير عنها والكفارات على اقسام:

(الاول) كفارات دموية وقد فرضت على جرائم شتى منها (أ) قتل النفس المحرمة عمدا بغير حق فانه لا يغفر الا ان يسلم القاتل نفسه لاولياء المقتول لان يقتلوه او يكتفوا منه بالدية.

و(ب) الارتداد والخروج عن الاسلام ان كان عن ملة فان حكمه الاعدام. وهو الحكم الذي انزله الله على نبيه موسى بن عمران في حق الذين ضلوا مع السامري فعبدوا العجل الذي صنعه لهم مما قد سلبوه من الحلى من الذهب والفضة من الاقباط عندما عزموا على الفرار من مصر مع الكليم قال

تعالى (واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم ذالكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم) البقرة/٥٤ فقد امرهم موسى ان يقوموا في الظلام فتشتبك الفريقان بالسلاح الابيض فأيهم قتل او جرح او سلم فقد تاب الله عليه وغفر له.

و (ج) الزنا مع الاحصان فانه لا يغفر الا بالاعدام رجما بالاحجار.

(د) اللواط فانه لا يغفر الا بالاعدام ضربا بالسيف او القاء من علي شاهق الى الارض او احراقا بالنار.

و (هـ) السرقة فان ذنبها لا يغفر الا بالقطع قال تعالى (والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله) ويلحق بها الاعتداء على الغير بقطع او جرح بعض الاعضاء فانه يقتص بمثل ما فعل كما في قوله (ان النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف.. الخ) واغتصاب المال او العرض بالقوة والسلاح كالصعالكة وقطاع الطريق في قوله (انما جزاء الذين يحاربون الله.. ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف..)

ولكن هذه الجرائم الزنا وما بعده انما يشترط غفرانه باسالة الدم اذا طالب اهل الحق بذلك وقامت البينة او اعترف المجرم بما فعل اما اذا لم يطالب اهل الحق باقامة الحد او لم تقم البينة فان للمجرم الفرصة في حصول المغفرة من الله بمجرد التوبة والاستغفار كبقية الذنوب.

(القسم الثاني) كفارات مالية كعتق رقبة وهو كفارة امور اربعة (أ) قتل الخطأ و (٢) الافطار في نهار رمضان بغير عذر و (٣) الظهار و (٤) بمخالفة العهد والنذر واليمين فان كلا منها لا يغفر الا بعتق رقبة ولا يجزى غيره لمن كان قادرا عليه. واطعام ستين مسكينا وهو كفارة هذه الامور لمن عجز عن عتق رقبة وفي مخالفة العهد واليمين اطعام عشرة مساكين او كسوتهم.

(القسم الثالث) كفارات تعبدية كصيام شهرين متتابعين في قتل الخطأ وافطار رمضان والظهار لمن عجز عن العتق والاطعام وصيام ثلاثة ايام في

مخالفة العهد واليمين لمن عجز عن العتق والاطعام.

ويلحق بهذه الذنوب شق الرجل ثوبه في المصاب والفاجعة وجزّ المرأة شعرها وخمش وجهها.

اما بقية الذنوب والمعاصي والسيئات فانها تغفر بالتوبة منها وطلب العفو والمغفرة من الله ولكن لصدق التوبة اركانا اربعة ولقبولها شرائط اربعة.

اما اركان صدق التوبة فهي (١) اظهار الندم والاسف على ما صدر من العصيان (٢) عقد العزم على عدم العود الى الخطيئة مدى الحياة (٣) القيام بقضاء الواجبات والفرائض الدينية التي اهملها زمان العصيان و(٤) القيام بقضاء حقوق الناس التي يتبع التائب بها من دين او امانة او حق او قصاص.

واما شرائط قبول التوبة فهي (١) ان يذيب اللحم الذي نبت في جسمه من اكل الحرام العيني كلحم الخنزير وغير المذكى والحيوانات المحرمة والمغصوب والحرام المعنوي وهو ما خذ من طريق غير مشروع كالمحصولات من طريق الربا والسحت والغش والاحتكار والمعاملات المحرمة وشرب الحرام كالمسكرات والنجاسات بمداومة الصوم ومكابدة الجوع والعطش سيما في ايام الصيف الطويلة.

و(٢) ان يذيق الجسم من الم العبادة واتعابها كصيام الهجير وقيام الليل واعمال الحج والعمرة وتجهيز الموتى وحفر القبور مثل ما ذاق من الراحة والارتياح في زمان العصيان.

و(٣) ان تكون توبته عن الذنب مع قدرته على اتيانه اما اذا لم تكن له قدرة على فعل المعصية فلا يعتبر تركها توبة بل عجز وقصور كتوبة الشيخ عن الزنا والاعرج عن الصعلكة والاعمى عن نظر العورات والاهدم الذي لا اسنان له عن الغناء.

و(٤) ان يوقع التوبة قبل الوقوع في مرض الموت والاحتضار قال تعالى: (انما التوبة للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون عن قريب فاولئك يتوب

الله عليهم. وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار..) وبذلك يرد القول بتوبة الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله عن اشتراكهما في قتال امير المؤمنين (ع) يوم الجمل فلو قبلت توبتهما عند الموت لقبلت توبة فرعون مصر ايام موسى الكليم فقد اخبر الله عنه (حتى اذا ادركه الغرق قال اني آمنت بالذي آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين) فاجابته الملائكة: (الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين).

اما ما ورد في بعض الاحاديث ان الله يقبل التوبة حتى قبل خروج الروح بلحظة فهو محمول على ان التائب قد اتى بالتوبة حسب اركانها وشرائطها ثم فاجأه الموت فان توبته مقبولة لا انه قضى حياته بالعصيان وعند الموت تاب.

(سابقة (١)　　　　(اقسام الذنوب والتوبة منها)

وتختلف التوبة بحسب اختلاف الذنوب والسيئات فكل قسم من الذنوب له توبة خاصة لا يمكن ان ينال صاحبها العفو الا من طريق تلك التوبة.

فالشرط الاساسي في حصول التوبة ان يكون الذنب الذي اجرم به مما يمكن تداركه فاذا كان من حقوق الناس تجرد منه فان كان حقا ماليا اعاده على صاحبه او كان اجتماعيا طلب الاباحة منه او كان جنائيا سلم نفسه ليقتص منه او يعفو عنه.

اما اذا لم يمكن تداركه كما لو كان قاطع طريق فقتل وسلب وهتك جمعا من الناس لا يحصيهم ولا يعرف اقاربهم ولا اسماءهم وبلدانهم ليسلم نفسه للاقتصاص او العفو او فرط في حق انسان بالجناية عليه فمات الجاني او المجني عليه. او قتل وليا من اولياء الله او اذاه بسجن او تعذيب او مهانة. او ترك واجبا محددا بوقت معين ثم ذهب وقته والداعي اليه.

فمن القسم الاول ما قامت به ام المؤمنين مع طلحة والزبير في حرب الجمل فقد بلغ عدد القتلى ثلاثة عشر الفا وقطعت على امساك خطام الجمل

اربعماة كف فالذين قتلوا يصنع الله بهم ما يشاء والذين سلموا ومنهم ام المؤمنين كيف يمكن حصول التوبة لهم بغير ان يسلموا انفسهم للامام الحجة ليحكم فيهم بما فيه العفو والغفران لهم من الله. ورواية التوبة من ام المؤمنين يعارضها سجودها شكرا لله حين بلغها قتل امير المؤمنين (ع). وخروجها يوم وفاة الحسن (ع) على بغل تمنعهم عن دفن الحسن (ع) عند جده.

ومن القسم الثاني ما عمله عبد الملك بن مروان حين طلب من اهل المدينة ان يبايعوا لولديه الوليد وسليمان فبايعوا الا سعيد بن المسيب فصدر امره الى الوالي ان يعرضه على السيف فان مضى ضربه خمسين سوطا في ايام شتاء وصب عليه الماء البارد وطاف به على اتان في نواحي المدينة ففعل الوالي ذلك به. فلما مات عبد الملك وقام الوليد بعده بذل لابن المسيب ثلاثين الف درهم ليعفوا عن ابيه فلم يقبل.

كما ان يزيد بن معاوية مد الانطاع وصب عليها الاموال بعد قتل الحسين لنساءه واسرته وقال خذوا منها ما يرضيكم عن ما جرى عليكم فقالوا لو حولت لنا جبال مكة كلها ذهبا ما ساوت انملة من انامل عبد الله الرضيع ابن الحسين.

ومن القسم الثالث ما قام به وحشي بن حرب يوم احد من قتل الحمزة بن عبد المطلب وما قام به هبار بن الاسود حين هز الرمح في وجه زينب بنت رسول الله (ص) حين اخرجها زوجها ابو العاص ليلحقها بأبيها فداخلها الخوف والرعب وما اجهضها واسقط حملها ونزفت دما كثيرا اودى بحياتها فقد اتيا بهذا الاجرام وهما على الشرك فلما اسلما لمايطالبهما النبي (ص) بالقصاص لان الاسلام يجب ما قبله.

ومن القسم الرابع) ما قام به جماعة من المسلمين من القعود عن الجهاد والتخلف عن الخروج مع رسول الله (ص) في غزوة تبوك فانزل الله في حقهم (فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم

وانفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون) التوبة / ٨١.

كان منهم ابو لبابة بن عبد المنذر وثعلبة بن وديعة واوس بن جذام وكردم وابو قيس فلماسمعوا ما انزل فيهم اسقط في ايديهم وندموا ندما بالغا وايقنوا بالهلاك في الآخرة فاوثقوا انفسهم بسواري المسجد فلم يزالوا كذلك حتى قدم رسول الله (ص) فسأل عنهم فذكر له انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى يكون رسول الله يحلهم بيده فقال (ص) وانا اقسم ان لا احلهم الا اذا اومر فيهم فلما نزل قول الله (وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم ان الله غفور رحيم) التوبة / ١٠٢ اتى رسول الله (ص) فحلهم فاتوه باموالهم يقولون هذه التي خلفتنا عنك فخذها وتصدق بها عنا فنزل قول الله (خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم والله سميع عليم) التوبة / ١٠٤.

وكانت لابي لبابة قبل هذا عثرة في بني قريظة لما عتوا على النبي (ص) وحاصرهم فقال لهم ان نزلتم على حكم محمد فانه الذبح، ثم تخلف عنه في غزوة تبوك فشد نفسه بسارية المسجد (ولا زالت تعرف الى عهد طويل (سارية ابي لبابة) و (سارية التوبة) فلما حله منها رسول الله (ص) قال يا رسول الله ان من توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي كله.

فاخذ النبي من اموالهم الثلث ومنه استنبط الفقهاء ان الميت اذا اوصى بماله لان ينفق في سبيل الله لم يكن له منه الا الثلث والباقي للورثة.

ومن هؤلاء المتخلفين كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية فلما عاد النبي (ص) من تبوك اتوا يعتذرون اليه بما حكى الله عنهم (سيقول لك المخلفون من الاعراب شغلتنا اموالنا وأهلونا فاستغفر لنا يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان اراد بكم ضرا او اراد

بكم نفعا بل كان الله بما تعملون خبيرا بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول او المؤمنون الى اهليهم ابدا وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا) الفتح/١٢ (يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين. قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبانا الله من اخباركم.. فاعرضوا عنهم فانهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون) التوبة/٩٥.

فاعرض عنهم النبي (ص) ولم يكلمهم وتقدم الى المسلمين بان لا يكلمهم احد منهم فهجرهم الناس حتى الصبيان وجاءت نساؤهم الى النبي (ص) فقلن يا رسول الله انعتزلهم قال: لا. ولكن لا يقربونكن فضاقت عليهم المدينة فخرجوا الى رؤوس الجبال ثم تهاجروا لا يكلم بعضهم بعضا ولا يجتمع منهم اثنان وبقوا على ذلك خمسين يوما وهم يتضرعون الى الله ويستغفرون ويبكون نادمين ضارعين فنزل فيهم قوله تعالى (وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه تاب الله عليهم ليتوبوا) عن معاودة هذه الذنوب مرة اخرى (ان الله هو التواب الرحيم) فبعث لهم النبي واستتابهم واعاد لهم مكانتهم عند المسلمين.

وعلى هذا المنهاج جرى التوابون من اهل الكوفة الذين كتبوا للامام الحسين (ع) لئن يتحول اليهم فيبايعوه وينصروه وهم سليمان بن صرد الخزاعي ورفاعة بن شداد البجلي وعبد الله بن وال التيمي والمسيب بن نجبة الفزاري في جماعة من الشيعة فلما اتاهم خذلوه واسلموه الى اعدائه حتى قتل مع اخوته واولاده واهل بيته وحملت رؤوسهم ونساؤهم الى الكوفة فاستشعروا عظم الجريمة ورأوا ان جريمتهم لا تغفر الا بمثل ما غفر للمتخلفين عن الخروج مع رسول الله (ص) او الذين اتخذوا العجل يعبدونه من قوم موسى فجمعوا بين الكفارتين وهي هجر المنازل والاهل من الاولى والقتال في طلب ثأر الحسين حتى القتل من الثانية.. فخرجوا من الكوفة وهم اربعة آلاف نفر متجهين نحو الشام فمروا في طريقهم بقبر الحسين (ع) بكربلاء فعكفوا عليه

يوما وليلة يبكون ويتأسفون ثم انطلقوا نحو الشام فوافاهم جيش عبيد الله بن زياد في اربعين الفا بعثه عبد الملك بن مروان لاحتلال العراق فحاربهم التوابون في موضع يسمى (عين الوردة) حتى قتلوا كلهم.

(سابقة (٢)) (مغفرة ما لا يتدارك من الذنوب)

فالجرائم التي لا يمكن تداركها للجهل بمن يتبع الجرم فيها او ذهاب الوقت الذي يمكن فيه تداركها كقطع الطريق والصعلكة والقعود عن الجهاد حتى يذهب وقته والتقصير في حق انسان قد توفي وليس له من يقوم مقامه لا سبيل الى التخلص منها الا بما عمله المتخلفون عن غزوة تبوك والتوابون الذين سبق ذكرهم او بتكرار الحج والعمرة كل عام عسى ان ينال حجة مبرورة تضمن له غفران ذنوبه كلها من اي نوع كانت فقد جاء في الحديث عن النبي واهل بيته (ع) ان الله يضمن لمن قبل حجه اذا كانت عليه تبعات للناس الرضا من اهل التبعات. وذلك بان يتوسط يوم القيمة بين التابع والمتبوع فيعطى التابع من الفضائل والدرجات في الجنة ما يرضيه عن خصمه فاذا رضي قيل له خذ بيده وادخل معه الجنة.

او يقوم بعمل انساني مقرب الى الله فينال به مغفرة ذنوبه والتوبة عفوا من الله وتسمى (التوبة العفوية) مقابل (التوبة التحصيلية) التي لا تحصل الا بالاستغفار والانابة.

ففي عرائس الجنان/٢ ان احد قطاع الطريق قضى نحو عشرين سنة في هذا العمل الاجرامي فقتل وسلب وهتك ما لا يحصى من الناس ولما ذرف على الموت بداله ان يتوب فأتى يسأل اهل العلم عما اذا كانت هناك وسيلة لنيل المغفرة من الله يقوم بادائها فاجمعوا كلهم على انه لا غفران له لان قتل نفس زكية بغير حق يوجب تخليد صاحبه في النار فكيف بمن قتل وسلب وهتك نفوسا لا تحصى. والعالم الاخير منهم خشي من شره واراد التخلص منه فدفع له قدوما وقال اذهب بهذا القدوم واغرسه في ارض المقبرة ليلا ونم عنده فان رأيته في الصباح قد اورق فان لك توبة والا فلا.

فذهب القاطع ليلا الى المقبرة وغرس القدوم ونام تحته. وعند السحر سمع غناء وطربا فاستغرب وجود الغناء والطرب ليلا في المقبرة عند السحر ونهض من فراشه وتبع الصوت فأذا هو بنباش قد نبش قبرا واخرج منه فتاة طرية لم يمض على موتها وقت طويل فجردها من اكفانها والبسها حللا وحليا وعبقها طيبا واسندها الى صخرة وجلس اليها يعانقها ويقبلها وهو يغني

يا ظبية لن ترهقا   من بين غزلان النقا ... الخ

فوقف بعيدا وجعل يراقبه فيما ينتهي اليه واذا به قد اضجعها وبدا يساورها فوثب القاطع عليه وزبره وزجره فلم يقلع عن غيه فحمل عليه بالسيف فقام النباش اليه يحاربه وغلب القاطع النباش وقتله ثم عاد للفتاة واعاد عليها اكفانها وانزلها في قبرها وحفر للنباش قبرا فواراهما وسوى قبريهما. وعاد الى موضعه فنام حتى الصباح ولما اصبح وجد عود القدوم قد اورق فعلم ان الله قبل توبته وغفر له خطيئاته جزاء لعمله الانساني المجيد.

واصبح هذا العمل الانساني قائما مقام الاسلام بعد الشرك فقد جب جميع ما كان من الذنوب قبله واوجب لصاحبه التوبة العفوية وهي التي ينالها المذنب بغير حساب.

(سابقة (٣)   (ما عمله يعقوب من الاستغفار لبنيه)

ولكن قاصد التوبة المجد في طلبها لا يصح له ان يتكل على امل حصول عمل يوجب له التوبة العفوية فهو كمن يجلس في بيته اتكالا على ان يتيح الله له من يمن عليه برزق او عطاء. فالله تعالى كما امر عباده بالسعي وراء الرزق بقوله (هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور) الملك / ١١٥ امرهم ايضا بالاستغفار لحصول المغفرة فقال تعالى (فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا) نوح / ١٠.

كما ان الاستغفار لا يكفي في حصول التوبة والمغفرة من الله للعاصي الا

بتكراره وترديده مدة طويلة يحتمل منها حصول المغفرة فقد ورد في قول يعقوب لبنيه الخاطئين (قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم) انه كان يستغفر لهم عند السحر كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة وقيل انه كان يقوم ويصف اولاده خلفه عشرين سنة يدعو ويؤمنون على دعائه واستغفاره لهم حتى نزل قبول توبتهم.

وروي ان جبرئيل علم يعقوب هذا الدعاء (يا رجاء المؤمنين لا تخيب رجائي ويا غوث المؤمنين اغثني ويا عون المؤمنين اعني ويا حبيب التوابين تب علي يا ارحم الراحمين).

وروى ابن كثير في قصص الانبياء بسنده عن محارب بن دثار ان عمر بن الخطاب مرة خرج سحرا الى المسجد فسمع من دار عبد الله بن مسعود داعيا يقول (اللهم دعوتني فاجبت وامرتني فأطعت وهذا السحر فاغفر لي فقد وعدت فيه عبادك بالمغفرة فقلت (والمستغفرون بالاسحار). فلما حضر ابن مسعود الصلوة سأله عمر قال: ان يعقوب لما وعد بنيه بقول (سأستغفر لكم ربي) اخرهم الى اوقات السحر قال وجاء في الحديث: ان الله تعالى يفتح لعباده ابواب الاجابة في الاسحار فيقول: هل من تائب فأتوب عليه هل من سائل فأعطيه هل من مستغفر فاغفر له.

(مرفق (٣٨) (اجتماع آل يعقوب بمصر)

ولما استقر آل يعقوب في الانس والارتياح وزال ما يعانيه يعقوب من الام وعلل واوهام وما عند اولاده من القلق والاضطراب وتحسب ما يحل بهم من الانتقام مما عملوه بيوسف من الاجرام اتفقوا على الارتحال من فلسطين ليلتحقوا بأخيهم في مصر. وكان الصديق (ع) حينما خرج الركب من عنده قد طلب اليهم ان ينتقلوا بجمعهم اليه فقال (.. فألقوه على وجه ابي يأت بصيرا واتوني باهلكم اجمعين) وزودهم للارتحال من كنعان بمائتي راحلة لحمل اثقالهم وافرادهم من رجال ونساء وعشرين غلام لتحميل امتعتهم وفرشهم وآنيتهم على الدواب.

فاتفقوا على المسير بعد سبعة ايام من قدومهم وفي ذلك اليوم حملوا نساءهم ورجالهم واثقالهم على الدواب واقلعوا من كنعان فقطعوا المسافة في تسعة ايام ولما قربوا من دار الملك سبقهم لاوي على فرسه فبشر الصديق بمقدمهم. قال الثعلبي فخرج يوسف وبنيامين مع الملك الريان في اربعة آلاف من الجند وركب اهل مصر معهما لاستقبال ركب آل يعقوب.

ولما وصل الركب ترجلوا للصديق كلهم عن دوابهم وسعوا على اقدامهم امام يعقوب وحقوين وهم حانون رقابهم اعظاما واجلالا له وهو معنى السجود في قوله تعالى (... وخروا له سجدا) فان السجود بمعنى الخضوع كما في قوله تعالى (والله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها.) الرعد/١٥.

وانكر يعقوب ابنه يوسف فقال لمن حوله من هذا الملك الذي يستقبلنا بموكبه وحاشيته وجنده قالوا هذا ابنك يوسف عليه ملابس الوشى المحبر وثياب الخز الموشى وعلى رأسه تاج من الجوهر مرصع باللؤلؤ والياقوت ومشى يوسف لابيه وسلم عليه يقول انا ابنك يوسف فشهق يعقوب واعتنقه وعلا البكاء والنحيب منهما حتى ضج الركب كله بالبكاء.

(بكاء الفرح والتبعية)

فاما بكاء الحبيبين فهو بكاء الفرحة والابتهاج فان القلب اذا غلب عليه المؤثر من حزن او فرح غلا عليه الدم فتحول بخار الغليان ماء يسفح من العين فان كان لالم واسى كان حارا وان كان لفرح وسرور كان باردا. واما بكاء الركب فيسمى بكاء التبعية وذلك ان الانسان اذا رأى قوما يضحكون انشرح صدره فضحك مثلهم واذا وجدهم يبكون غلب عليه البكاء بالتأثر والانفعال ولا يخرج من هذه العادة والطبع الا قساة القلوب الذين وصفهم الله بقوله (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة) واغلب ما يكون هذا النوع من البشر اهل الظلم والجور كاللصوص وقطاع الطريق والجزارين والسلابين والجبابرة امثال عمرو بن براق وتأبط شرا وبشر بن عوافة العبدي والحجاج بن يوسف الثقفي وذلك

لغلبة عنصر السبعية في طباعهم لزيادة خلط النار على العناصر والاخلاط الاخرى فهم سباع وحشية في صور بشرية وقد استعاذ رسول الله (ص) من هذا التحول الرهيب من انسان لسبع فقال (نعوذ بالله من قلب لا يخشع وعين لا تدمع وبطن لا يشبع ونفس لا تقنع) وهذه الصفات هي صفات هذا النوع من الناس.

وانما يحمل قلب الانسان على التحجر الحقد والضغن وحب الانتقام والحرص ولهذا منع الله الناس عنها لانها تخرج الانسان عن طبيعة الملكية والروحانية الى طبيعة الوحوش والسباع.

(تنزيه يوسف (ع) عن النقائص)

اما ما ذكره الثعلبي في العرائس ورواه الطبرسي عن الصادق (ع): ان يوسف (ع) لما هم ان ينزل لاستقبال ابيه منعته هيبة الملك وابهته فلم يترجل فاستل جبرئيل من يديه نور النبوة لان لا يلد نبيا فلم تكن من صلبه انبياء فهو موضوع مختلق لانه ينسب الصديق الى الكبر والبطر وقد نهى الله عنه بقوله (اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين) القصص/٧٦ فان المراد بالفرح هنا البطر قال الشاعر:

ولست بمفراح اذا الدهر سرني

فمع انه يعارض العصمة عن الاخطاء الثابتة للانبياء لا يندمج مع ما عرف به يوسف من سجاحة الاخلاق ودماثة النفس ولين الجانب والتواضع وحسن الاداب.

وكذا ما ذكره الثعلبي ان يوسف هم ان يبدأ اباه بالسلام فمنعه الله من ذلك فهو ايضا كذب وافتراء لان الله لا يمنع من تعظيم الابناء للآباء بل يأمر به ويحض عليه قال تعالى (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا).

كما ذكروا ان يوسف (ع) لم يتطيب ولم يدهن ولم يلبس جديدا او زينة من لدن فارق اباه حدادا لفراقه حتى قدم عليه فانه ايضا من اعمال الجزع والهلع وترك السنن الحنفية وهو لا يجتمع مع النبوة وقد نهى الله عنه بقوله (لكن لا تأسوا على

ما فاتكم) كما نهى عن البطر الذي سبق ذكره بقوله (ولا تفرحوا بما اتاكم والله لا يحب كل مختال فخور) الحديد / ٢٣.

(دخول آل يعقوب في القصر الملكي)

قال تعالى (ولما دخلوا) اي دخلت آل يعقوب (على يوسف) في القصر الملكي حين قدموا عليه في مصر (آوى اليه ابويه) اي ضم ابويه يعقوب وحقوين اليه وحقوين هي خالته لان امه راحيل توفيت عند نفاسها ببنيامين وتسمية الخالة اما من باب التغليب كما يذكر العم احيانا في عداد الاباء واما لان الخالة بمنزلة الام وقد جاء في الاحاديث النبوية ان حق الخالة على ابن اختها مثل حق الام على ولدها (وقال) يوسف لاسرته (ادخلوا) اي اسكنوا وتوطنوا (مصر ان شاء الله آمنين) من الاحداث.

(ورفع ابويه) يعقوب وحقوين (على العرش) اي المنصة التي يجلس عليها مع الملك الريان ودخل يوسف حجرته الخاصة فنزع الملابس التي استقبل اسرته بها ولبس ملابس ملكية اخرى للجلوس لاستقبال الناس الذي يأتون لتهنئته بقدوم اسرته فلما طلع من باب الديوان اصطف الخدم امامه وقام اهل المجلس كلهم على الاقدام تعظيما له ولما قرب من اسرته رحبوا به (وخروا له سجدا.

(حكم السجود لغير الله)

وقد اختلف المفسرون في هذا السجود الموجه ليوسف (ع) من اسرته على اقوال:

(الاول) انه السجود الحقيقي وهو وضع الجبهة والاطراف على الارض. وهو بهذا المعنى لا يجوز ولا يحل الا لله وحده لقوله تعالى (.. لا تسجدوا للشمس والقمر واسجدوا لله الذي خلقهن ان كنتم اياه تعبدون) حم السجدة / ٣٧ اي ان السجود يختص بالله لا يجوز ان يوجه لغيره وقول النبي (ص) لو جاز السجود لغير وجه الله لامرت المرأة بالسجود لزوجها.

ويكون حينئذ معنى فخروا له سجدا: ان اسرة يوسف (ع) لما اجتمعوا به في

مصر متحابين متآلفين حمدوا الله تعالى (وخروا له سجدا) شكرا على هذه النعمة التي جمعتهم بعد الفرقة واغنتهم بعد الفقر وقربتهم بعد البعاد وقد روى الطبرسي في المجمع عن علي بن ابراهيم بسنده عن الامام الهادي (ع) انه سئل عن هذا السجود فقال (ع) انهم سجدوا شكرا وطاعة لله وتحية ليوسف كسجود الملائكة طاعة لله وتحية لآدم.

و (القول الثاني) ان السجود هنا هو السجود المجازي اي انهم لما طلع عليهم يوسف بملابسه الرسمية ليجلس على المنصة نهضوا له ومالوا برقابهم وطأطأوا رؤوسهم له ولعل ذلك هو تحية الناس لملوكهم وعظمائهم على نحو الاجلال والاكبار في ذلك العهد قال اعشى بن ثعلبة.

فلما اتانا بعيد الكرى سجدنا له ورفعنا العمادا

ولعل من هذا القسم ما يقوم به الهنود والاعجام من قديم الزمان الى يوم الناس هذا عام ١٩٨٣ م من الانحناء والركوع امام الملوك والامراء. ولا يبعد ان يكون قد انتحلوه من جيرانهم الوثنيين عندما يقومون امام الاصنام فانهم ينحنون امام الصنم ويمدون ايديهم قد اصفقت اليمنى على اليسرى مبالغة في الخضوع والخنوع له. وقد ورد النهي في الاسلام عن استعمال مثل هذا الخضوع من مسلم لآخر ففي الحديث عن النبي (ص) انه قال لاصحابه اذا طلعت عليكم فلا تقوموا امامي صفا ولا تحنوا ظهوركم وتطأطأوا رؤوسكم كما تفعل الاعجام مع ملوكهم فيسخط الله عليكم كما انه (ص) نهى عن تقبيل الايدي فقال (ص) لا يحل تقبيل يد الا يد الله او يد يحبها الله. كما انه يمتنع عن اعطاء يده لاحد يقبلها.

وقد اعتبر الفقهاء هذه العادات مرجوحة لان ادلة المنع قاصرة عن اثبات التحريم فحملها على المرجوحية احوط في نظرهم.

و (القول الثالث) ان معنى السجود هنا هو الخضوع وامتثال الامر كما في قوله

تعالى (الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس) بالانقياد والطاعة.

والسجود بمعنى الانقياد والطاعة والتقدير جائز ومباح بل هو الراجح المطلوب من الولد لوالديه والمرأة لزوجها والموالي لسادتهم ومن الطلاب لمعلميهم ومشايخهم ومن الشعوب والرعايا لملوكهم وامرائهم فقد جاء في الحديث : ان ابراهيم الخليل (ع) لما مشى مع ملك مصر اوحى اليه ان تأخر يا ابراهيم ودع الملك يمشي امامك فانه لا بد في الارض من امرة برة او فاجرة يجب على الناس تعظيمها .

بل قد يجب هذا الخضوع والتقدير اذا توقف اداء الواجب عليه.

ومن هذا الخضوع والتقدير ما يقوم به البعض من الشيعة من تعظيم رسول الله (ص) واهل بيته عندما يتشرفون بزيارة ضرائحهم المقدسة فقد ترى البعض منهم من يقع على عتبة الباب يقبلها ويلثمها فهم لا يقصدون من ذلك الا اظهار الولاء والحب والاخلاص لهم.

وقد ظن البعض انهم يقصدون به السجود امام القبر فقال:

يا اولى الرفض قد وربي اتخذتم ... آل طه وتربهم اوثانا
ولهم تسجدون اما اتيتم ... نحو اجداثهم بهم ايمانا

في ابيات ذكرناها في عرائس الجنان ٢ / وقد رد عليهم المؤلف فقال:

لم نصل ترب آل طه غلوا ... بل ودادا اجر الرسالة كانا
فسجدنا لله شكرا لنحظى ... مثل شان اسجدوا لآدم شانا

(مرفق (٣٩)) (ما كان لآل يعقوب في مصر)

ودارت بين يوسف(ع) واسرته الاحاديث الودية وفي مقدمتها ما حدث به اباه (وقال يا ابت هذا) الذي وقع ورأيته هو (تأويل رؤياي) التي رأيتها ايام طفولتي

معكم (رأيت احد عشر كوكبا) فهم هؤلاء الاخوة (والشمس والقمر) انت وحقوين (رأيتهم لي ساجدين (قد جعلها ربي حقا وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد ان نزغ الشيطان) من الحسد والمنافسة (بيني وبين اخوتي ان ربي لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم) قالوا: وكان بين الرؤيا المذكورة وتحققها نحو اربعين سنة.

وذكر الطبرسي في المجمع انهم دخلوا مصر على يوسف وهم (٧٣) انسانا من ذكر وانثى ثم خرجوا مع موسى الكليم وهم ستمائة الف وخمسمائة وبضع وسبعون من رجل وامرأة ورواه الثعلبي في العرائس عن وهب.

(سؤال يوسف عما فعل به)

وفي مجمع البيان عن كتاب النبوة ان يعقوب سأل ابنه يوسف لما التقيا في مصر عما صنع به اخوته لما اخرجوه معهم الى المرعى وعادوا اليه بدونه فاعتذر اليه بانه لا يقدر على سماع الحديث عن ذلك فاقسم عليه بحقه الا اخبره فجعل يصف له فعلهم معه.. حتى قال... فاقعدوني على حافة البئر وقالوا انزع قميصك قلت اسألكم بحق وجه ابي يعقوب ان لا تكشفوا عورتي فرفع احدهم السكين علي وقال انزع والا نزعنا روحك من جسدك... فصاح يعقوب واصر قلبه.. ووقع مغشيا عليه..

ورواه في البحار ٥ /١٧٩ عن تفسير علي بن ابراهيم وص ١٨٥ على الهامش: عن الطبرسي قال كان يوسف (ع) يحدث اباه بما صنع به اخوته فقال:... ونزعت القميص والقوني في الجب عاريا فوقع يعقوب مغشيا عليه.

... ولما افاق يعقوب قال وماذا فعلوا بك يا بني بعد ذلك؟ قال يا ابت اني اسألك باله اباءك ابراهيم واسماعيل واسحاق الا اعفيتني فتركه.

وروى ايضا ان يوسف (ع) قال لابيه يا ابه لا تسألني عن صنع اخوتي بي وسل عن صنع الله بي فقد انجاني من الجب وكيد المرأة واخرجني من السجن وولاني الملك وجمعكم كلكم الي.

(حديث يوسف مع بنيامين)

وذكر في مجمع البيان ان يوسف رأى ما بين اسرته ثلاثة ابناء لاخيه بنيامين كانهم الاقمار وقد سمى احدهم (يوسف) والثاني (فراق) والثالث (الغلام) فقال لابيهم : كيف اخترت لهم هذه الاسماء قال لكي لا انساك فهم اذا اجتمعوا الفوا جملة (فراق الغلام يوسف)[1] .

قال يا اخي وكيف استطعت ان تتزوج النساء من بعدي قال لان ابي قال لي كلما استطعت التزويج فافعل لعلك ترزق نسمة تثقل الارض بقول لا اله الا الله .

وقد سبق عند اجتماع يوسف باخيه بنيامين لهما احاديث في هذا المضمون .

(اكرام يوسف لاسرته)

وعند ذلك قال يوسف ـ وهو يشكر الله على ما حوله من النعماء (رب قد اتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث) يعني تفسير الرؤيا والاحلام سبحانك انت (فاطر السموات والارض انت ولي في الدنيا والآخرة توفني مسلما والحقني بالصالحين) .

كان يعقوب غالبا يسأل يوسف (ع) عن احواله لما قدم مصر وما جرى له مع امرأة العزيز وعن احواله في السجن وما قدمه خلال ذلك من هداية الناس وارشادهم فكان يوسف يخبره بكل تلك الحالات التي مرت وما قام به فيها من هداية وارشاد فقال ان ربي (قد احسن بي) صنعا (اذ اخرجني من السجن) عزيزا موقرا مكرما عند جميع العالمين والحمد لله الذي دلكم علي (وجاء بكم من البدو) يعني البادية اذ كانوا يسكنون الجانب الشرقي من فلسطين وهو موضع

١) ونظير هذا ان لابنتنا السيدة نجاة صالح عدنان الموسوي احدى الطبيبات في مستشفى السلمانية بالبحرين والمولودة عام ١٣٦٥ هـ ثلاثة اولاد من زوجها السيد ابراهيم السلمان سمت احدهم وهي انثى عالمة والثاني سلام والثالث رائد فاذا ارادت ان تدعوهم للحضور عندها صاحت بهم (يا رائد السلام العالمي) .

قاحل لا شجر ولا زرع فيه وكانوا يرعون اغنامهم فيما حولهم من النبت والكلأ.. وفي سني القحط هلكت اغنامهم ومواشيهم لجفاف النبت والكلأ بانقطاع المطر فأغناهم الله بقدومهم على يوسف في مصر.

فقد عين الصدّيق (ع) لكل واحد من اسرته ضيعة وقصرا يسكنه وخدما وجواري ومنصبا من مناصب الدولة يشغله براتب مقدر كبير له فيه دخل عظيم ومن هنا يظهر ويعلم ان اولياء الله لا يكافئون من اساء اليهم الا بالاحسان.

(وفاة يعقوب وعيص ابني اسحاق)

ذكرنا في اول الكتاب على الصدوق في العلل بسنده عن ابن عمارة عن ابيه عن الصادق (ع) قال كان عيص ويعقوب ابنا اسحاق بن ابراهيم (ع) توأمين فولد عيص اولا ثم ولد يعقوب في عقبه فسمي يعقوب لذلك ويعقوب هو اسرائيل ومعنى اسرائيل عبد الله لان الاسرى عبد و(ايل) هو الله وروى في آخر ان (اسرا) هو القوة و(ايل) هو الله فمعنى اسرائيل قوة الله.

قال الطبرسي قال ابو حمزة بلغنا ان يعقوب دخل مصر على يوسف وهو ابن (١٣٠) سنة وبقي مقيما عند يوسف في مصر سبع عشرة سنة وقال ابن اسحاق (٢٤) سنة وتوفي وعمره (١٤٧) سنة او (١٥٤) سنة. وفي ذلك اليوم توفي اخوه عيص بفلسطين فكان كلاهما بعمر واحد.

قال ابن جبير فأمر يوسف بان يحنط جثمان ابيه ولف بالحرير والديباج ووضع في تابوت من ساج وخرج به في جمع كبير من اولاده وحاشيته ونقله الى بيت المقدس فواراه في القبر الذي دفن فيه اخوه عيص في بيت المقدس.

ومن اجل هذا صارت اليهود تنقل موتاهم الى بيت المقدس من كل الاقطار.

بعثة يوسف بالرسالة

وبعد تشييع يعقوب الى فلسطين عاد يوسف واخوته الى مصر عن وصيته تقدمت من ابيه اليه فبعثه الله نبيا رسولا وهو اول رسول بعثه الله في بني اسرائيل.

وفي المجمع عن كتاب النبوة باسناده عن محمد بن مسلم قال قلت لابي جعفر (ع): اخبرني عند اجتماع يعقوب ويوسف من كان منهما الحجة لله في الارض؟ قال: يعقوب الحجة وكان الملك ليوسف وبعد يعقوب كان يوسف الحجة. قلت وهل كان يوسف نبيا رسولا؟ قال نعم الم تسمع قول الله (ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب) المؤمن/٣٤.

وقال الطبرسي في معنى قوله تعالى (ولقد مكنا ليوسف في الارض...) انه قال للملك الريان اني لم اصلح هؤلاء الناس لافسدهم ولم انجهم من البلاء لاكون بلاء عليهم ولكن الله انجاهم على يدي فقال الملك: الرأي لك. قال اني اشهد الله واشهدك اني قد اعتقت اهل مصر كلهم ورددت عليهم اموالهم وعبيدهم ورددت عليك ايها الملك خاتمك وسريرك وتاجك على ان لا تسير الا بسيرتي ولا تحكم الا بحكمي فقال الملك ان ذلك زيني وفخري ان اسير بسيرتك واحكم بحكمك فلولاك ما قويت عليه ولا اهتديت له وقد جعلت سلطانا عزيزا لا يضام وانا اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وانك رسوله فاقم علي ما اوليتك فانك لدينا مكين امين.

واقام يوسف بعد ابيه (٢٣) سنة وولد له من راعيل منشا وافرايم ورحمة زوجة النبي ايوب (ع) كما نقله الطبرسي والثعلبي.

وذكر الطبرسي عن الصادق (ع) ان يوسف (ع) عاش بعد خروجه من السجن ثمانين سنة ومات وعمره مائة وعشر سنين وقال الثعلبي عمره (١٢٠) سنة.

(مرفق (٤٠)) (وفاة يوسف ومثواه (ع))

واختلفوا في سبب وفاة يوسف الصديق (ع) فقيل انه مرض بالحمى سبعة ايام وتوفي بعدها متأثرا بها.

وقيل ان ملك الموت سأل ربه يوما فقال: يا رب انك وكلت الي قبض ارواح بني الانسان وكتبت اسماءهم في هذا اللوح عندي فاذا حضر اجل احدهم ظهرت

علامة على اسمه اعرف بها حضور اجله فابادر الى قبض روحه ولست ارى في اللوح اسما لحبيبك يوسف بن يعقوب فكيف اعرف حضور اجله او ان قبض روحه موكول اليك؟ فقال يا عزرائيل اني لم اضع ليوسف اجلا ينتهي اليه في حياته او وقتا يموت فيه فمتى ما احب الحياة احييته ومتى ما اراد الموت كتبت اسمه في اللوح فتوفيته. فاعتقد ملك الموت في نفسه ان يوسف لن يطلب الموت مهما طالت به الحياة وتقدمت به السن وانتابته المحن والارزاء فعلم الله ما خطر له فأوحى اليه يا عزرائيل من الذي حبب الحياة الى الناس؟ قال: انت يا رب قال: افليس الذي حبب لهم الحياة بقادر ان يبغضها لهم ويحبب الفناء؟ قال بلى ولكني ارى من احوالهم لا يتمنون الموت مهما دهمتهم البلايا وتعمقت بهم الاسقام..

ويدل على ما ادعاه ملك الموت قوله تعالى (قل يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين. ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين) الجمعة / قال يا ملك الموت انه سيطلب الموت بعد ثلاثة ايام ويرى ان المصير الى الدار الآخرة خير من البقاء في الدنيا.

وفي اليوم الثالث وفد على يوسف شيخ هرم ضعيف منهار فسأله عن عمره فقال بلغت من العمر مائة وخمس عشرة سنة فقط فقال اذن ليس بيني وبينك الا خمس سنين ثم اصير الى هذه الحال؟ قال: نعم ولقد كنت في هذه الخمس سنين اصح منك جسما واصلب منك عودا وانعم منك بالا ولكن في خلال ذلك توالت علي العلل والاسقام وتعاقبت المحن والآلام حتى صرت الى هذه الحال. فقال يوسف في نفسه وما قدر هذه الخمس سنين اذا بقيت فيها ثم صرت الى هذا الضعف والانهيار فتملني احبابي وتشمت بي اعدائي واعود ذليلا بعد عزي وحقيرا بعد شرفي ومرغوبا عني هلا احتفظ بعزي وكرامتي واموت والناس كلهم يحزنون لموتي... فدعا ربه حينئذ بقوله (رب قد اتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث فاطر السموات والارض توفني مسلما والحقني بالصالحين) من ابائي واجدادي. فاستجاب الله له والحقه بهم.

واذا ملك الموت يرى اسمه مكتوبا في لوحه فخر ساجدا لله معترفا بقدرته تائبا مما خطر في نفسه.

وقال الطبرسي: ان الله لما وسع عليه في ملك الدنيا ونعيمها علم ان ذلك لا يبقى له ولا يدوم فطلب من الله نعيما لا يفنى وتاقت نفسه الى الجنة فتمنى الموت ودعا به ولم يتمن الموت نبي قبله ولا بعده غيره عن ابن عباس.

والآية لا تدل على انه تمنى الموت او سأله دلالة معينة بل يحتمل انه دعا الله وسأله ان يتوفاه على الاسلام ويلحقه بالقوم الذين صدقوا في ايمانهم وصلاحهم ويكون معناه حينئذ ان يثبته الله على الايمان به حتى الممات.

(سابقة (١))　　　(وصية يوسف عند وفاته)

قال الثعلبي وروى ان يوسف (ع) لما حضرته الوفاة جمع اليه قومه من بني اسرائيل وهم ثمانون رجلا واعلمهم بحضور أجله. فقالوا يا نبي الله نحب ان تخبرنا بما يكون حال الناس من بعدك قال: انكم تقيمون على دينكم الى ان يبعث فيكم جبار عنيد فيدعي الربوبية ويذبح الابناء من مواليدكم ويستحيي البنات. لان المنجمين يخبرونه بأن نبيا يولد تلك السنة من بني اسرائيل اسمه موسى بن عمران يكون زوال ملكه على يديه فيقتل المواليد الذكور لعله ان يقع به فيهلكه قبل ان يخرج عليه. ولكن الله يحفظه من كيده ويجعل حضانته في حجره وتربيته على يديه حتى يكبر فيخرج عليه وهو رجل جعد طوال ادم اللون فينجيكم الله على يديه من ايدي الاقباط.

ومن ذلك الوقت اخذ كل من ولد له غلام من بني اسرائيل يسميه عمران ومن اسمه عمران يسمي ابنه موسى لان يكون ذلك النبي من ذريته.

ثم اوصى يوسف الى اخيه يهودا واستخلفه على بني اسرائيل. وعن الطبرسي قيل افضت النبوة بعد يوسف الى روبيل ثم الى يهودا.

وفي هذا الحديث دلالة على ان الانبياء قبل البعثة لا يجب ان يكونوا معصومين عن الصغائر من الذنوب فان روبيل ويهودا ابني يعقوب كانا ممن اشترك

في اختطاف يوسف والعزم على قتله وابعاده عن ابيه وبيعه على القافلة ثم اختارهما الله للنبوة بعد يوسف فنص يوسف بالوصية عليهما. كما هو الحال في آدم (ع) فقد خالف النهي قبل النبوة واكل من الشجرة ثم تاب توبة صادقة فاختاره الله لنبوته قال تعالى (وعصى آدم ربه فغوى. ثم اصطفاه ربه فتاب عليه وهدى.)

قال الطبرسي: وكان من وصية يوسف (ع) لاخوته ان يدفنوه عند قبور ابائه في فلسطين وروي عن النبي (ص) ان بني اسرائيل لما خرجوا مع موسى من مصر ضلوا عن الطريق واظلم عليهم الليل فقالوا ما هذا؟ فقال علماؤهم ان يوسف لما حضرته الوفاة اخذ علينا موثقا من الله ان لا نخرج من مصر حتى ننقل عظامه معنا الى فلسطين.

(سابقة (٢)) (مواراة يوسف ونقل جثمانه)

قال الطبرسي في مجمع البيان ٣/٣٦٦ والثعلبي في العرائس ص ٨٣:

قالوا لما توفي نبي الله يوسف الصديق (ع) تنافس الناس في مدفنه فكل فرقة او طائفة وقبيلة احبت ان يكون قبره عندهم ليتبركوا به ويستنزلوا رحمة الله به عليهم. وكثر الشجار والنزاع منهم في ذلك وكادت الاغنياء ان تتغلب على الضعفاء باغتصابه منهم وكاد ان يكون بينهم قتال لولا ان الله هداهم فاتفقوا واجتمع رأيهم على ان يودع جثمانه الشريف في صندوق من رخام ملفوفا بحرير مضمخ بالمسك والعنبر وان يدفن على ساحل النيل من قصره حتى تمر مياه النيل به فتتفرق على نواحي مصر كلها فتعم عليهم بركته ويصبح الكل شرعا فيه وبذلك رضي الجميع. فنحتوا له صخرة كبيرة وحنطوا جثمانه بالمسك والكافور ولفوه في الحرير واودعوه الصخرة وسدوها عليه ووضعوها على ساحل النيل من قصره وبقي في تابوته بذلك القبر حتى بعث موسى بن عمران.

فروى عن النبي (ص) ان بني اسرائيل لما خرجوا مع موسى بن عمران من مصر ضلوا الطريق فقالوا ما هذا؟ واظلم عليهم الليل ولم يهتدوا سبيلا فقال علماؤهم: ان نبي الله يوسف الصديق (ع) لما حضرته الوفاة اخذ علينا موثقا من

الله ان لا نخرج من مصر حتى ننقل عظامه معنا قال موسى (ع) فمن يعلم موضع قبره؟ قالوا عجوز من بني اسرائيل.

فدل على بيتها ودخل عليها واذا هي عمياء مسنة مقعدة فسألها عن موضع قبر يوسف قالت اضمن لي ثلاث حاجات وانا ادلك عليه فتحرّج (ع) من الضمان فأوحى الله اليه ان اضمن لها ما سألت وانا اوفيها ذلك عنك. فضمن لها ما سألت فأتت بهم الى الصخرة واوقفتهم عليها فاستخرجوا التابوت منها وسأل موسى المرأة عن الحاجات الثلاث قالت (الاولى) ان تعيد علي بصري وشبابي و(٢) ان تشفيني من الاقعاد والشلل و(٣) ان اكون معك يوم القيامة في الجنة فوفى لها الله بذلك.

قال الثعلبي وروى يونس بن عمران عن ابي موسى قال نزل رسول الله (ص) في بعض غزواته باعرابي فاضافه واكرمه واحسن اليه فلما هم بالانصراف قال انك يا فتى قد اكرمتنا واحسنت الينا فوجب حقك علينا فسل حاجتك قال حاجتي اليك ناقة في نرحلها وعنز نحلبها لا اطلب غيرهما فامر له النبي بهما. ولما فارقه قال (ص) اعجز هذا الاعرابي ان يكون مثل عجوز بني اسرائيل لما سألوها عن قبر يوسف (ع) ثم ذكر القصة. وقد اشرنا الى هذه العجوز عند ذكر الطلبات التي سألتها راعيل من يوسف عليه السلام. وان الواجب على الانسان في هذه الفرص الثمينة ان لا يضيعها او يصرفها الا في الامور التي تستحق صرفها فيها.

قالوا: فاحتمل موسى تابوت جثمان يوسف (ع) معهم من مصر الى الشام فواراه في ارض فلسطين عند ابيه بأرض كنعان من خارج الحصن حيث هو اليوم. فلذلك تنقل اليهود موتاهم الى الشام.

وذكره الصدوق في الفقيه في آخر الحديث عن احكام الموتى ص ٣٨ وفي كتابي وقائع الايام - مخطوط - ص ٦١: ان يوسف الصديق (ع) توفي بمصر يوم الاحد (١٧) رجب عام ٢٠٥ من وفاة ابراهيم الخليل وقبل الميلاد المسيحي بنحو (٢٠٣٠) سنة وعمره (١٢٠) عاما كما تقدم.

(مرفق (٤١) (حكم نقل الموتى في الاسلام)

ونتم كتابنا هذا (مرافق التحقيق) بالحديث عن حكم نقل الموتى من مضاجعهم الى اماكن اخرى في الاسلام وهل ذلك مما يسوغه علماء الدين كما يظهر جوازه في الشرائع الاولى من حديث نقل يوسف (ع) جثمان ابيه يعقوب من ارض مصر التي توفي بها الى كنعان. ونقل موسى الكليم جثمان يوسف (ع) من مثواه في مصر الى قبور آبائه في فلسطين.

فلا يزال الكتّاب قديما وحديثا يزرون علينا معشر الشيعة الامامية في نقل موتانا من الاقطار لتوضع في جوار امير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) بوادي السلام في النجف الاشرف بالعراق فيقول بعضهم:

لبئس ما كان اهل البيت قد حصلت   منكم اولى الرفض او قد نالت النجف
فهؤلاء غدوا للنقص مهزلة   وتلك مزبلة تهدى لها الجيف

ويقول آخر في نهج الطلاسم:

مسجد الاقصى له تنقل موتاها اليهود   مثلما للنجف الشيعة بالموتى تعود
وبكل يدعي كل حمى اهل اللحود
فمن المخطيء ام كل مصيب؟ لست ادري
واذا كنتم ترون النقل ذخرا للنجاة   فجوار المرتضى من سقر ينجي العصاة
لم لا ينجي جوار المصطفى من في حماه   ام علي من رسول الله خير؟ لست ادري

وفي ديواننا (عرائس الجنان) ١/٩٣ قصيدة لبعضهم هاجم فيها اعمال الشيعة قال في اولها:

عجبت لاهل الرفض وهي عصابة   اقامت صفات الشرك في دين جعفر
كما تنقل الموتى اليهود لقدسهم   غدت تنقل الموتى الروافض للغري
وتزعم في وادي الغربين جنة   وليس سوى واد من النار مسعر

سموم لـه يشـوي الوجـوه ولافـح من الحر ان ينفخ على الصخر بفطر
الم يكفهـم مـا اخـرج السيـل مـرة مـن الجيـف الموتـى بـأبشـع منظـر

وقد رد عليه صاحب الديوان بقصيدة مماثلة قال لها :

ومـا ذنبهـم ان اليهـود لقـدسهـم قـد احتملـوا الموتـى واهـل التنصر
اكـلّ الذي قـال اليهــود ضلالــة فقد نبـأوا مـوسى وقـالـوا بمحشر
وفي نبش موسى جسم يوسف قادمـا بـه الشـام مـن مصر الورى لم تحيّـر
الم تنقـل الامـوات بغـداد غـالبــا لارض الزبير ـ احمد لجهلك واشكـر ـ
ودفن الورى عنـد الغــري ليـأمنـوا بقــرب علي مـــن نكير ومنكـــر
ليثبتـــه الذكـــر الحكيم فـــانما الولاء لطـــاهـــا والالـــه وحيـــدر

وافاضة الحديث حول نقل الموتى تقتضي عرض سوابق.

(سابقة (١) (شرائط جواز نقل الموتى)

في كتابي (النمارق الفاخرة) ٣/١٥٤ مخطوط.

نقل الشيخ عبد الحسين الاميني (رح) في موسوعة الغدير ٥/٦٦ : تجويز ائمة المذاهب الاربعة نقل الموتى قبل الدفن وبعده من مكان لآخر بشروط ثلاثة (١) ان لا ينفجر حال نقله (٢) ان لا تنتهك حرمته بان ينقل على وجه يكون فيه تحقير له (٣) ان يكون نقله لمصلحة كأن يخشى طغيان البحر على قبره او يراد نقله الى مكان ترجى بركته. او الى مكان قريب من اهله. او لاجل زيارة اهله اياه فان فقد شرط من هذه الشرائط حرم النقل.

وهذا ما تذهب له علماؤنا الامامية اما الشرطان الاولان فقد ذكر الشيخ عبد المحسن الخاقاني في خير الزاد ص ١١٢ جواز النقل قبل الدفن ان لم يستلزم هتك الحرمة بشق بطنه او ظهور رائحة تنفر النفوس منها ولو، بعدت المسافة اهـ

قال السيد مهدي بحر العلوم في الدرة النجفية

والنقل مكروه وللمشاهد ينـدب بالاجماع والشواهد

فقد نقل في المواهب السنية ـ في شرح الدرة النجفية ـ عن الكليتي بسنده عن هارون بن خارجة قال، سمعت الامام الصادق (ع) يقول: من دفن في الحرم ـ يعني حرم مكة ـ امن من الفزع الاكبر قلت من برهم وفاجرهم؟ قال نعم. وفي خبر علي بن سليمان كتبت اليه اسأله عن الميت يموت بمنى او عرفات ايدفن فيها ام ينقل الى الحرم؟ قال: ينقل الى الحرم ويدفن فيه افضل.. اهـ.

قال صاحب المواهب: فاما منى فتبعد عن الحرم بمسافة فرسخ واما عرفات فتبعد عنه باربعة فراسخ.

اما اذا استلزم النقل هتك الحرمة للميت بتغير رائحته او انتفاخ بطنه او جري الصديد منه او استلزم ايذاء المشيعين. او كان نقله بغير جدوى وفائدة قال الخاقاني فالمنع من النقل وتحريمه قام الاجماع عليه المعتضد بالاخبار المستفيضة التي تحث على تعجيل الاموات الى مقابرها.

قال في المواهب السنية: الظواهر المفيدة بوجوب تعجيل الميت منافية لجواز النقل ومانعة منه لما رواه في دعائم الاسلام انه رفع الى امير المؤمنين (ع) ان رجلا مات بالرستاق فحملوه الى الكوفة فانهكهم عقوبة وقال ادفنوا الاجساد في مصارعها ولا تفعلوا كفعل اليهود ينقلون موتاهم الى بيت المقدس. وما رواه في لآلىء الاخبار ٤/٢٦٨ عن الصادق (ع) عن النبي (ص) قال: لا الفين منكم رجلا مات له ميت ليلا فانتظر به الصبح او مات نهارا فانتظر به الليل لا تنتظروا بموتاكم طلوع الشمس ولا غروبها عجلوا بهم الى مضاجعهم رحمكم الله وذكرهما الخاقاني في خبر الزاد ص ١١٢ وروى عن السكوتي ايضا عن الصادق (ع) قال: قال رسول الله (ص) اذا مات الميت اول النهار فلا يقبل الا في قبره. وسأل بعضهم الامام الباقر (ع) قال اذا حضرت الصلوة على الجنازة في وقت المكتوبة

فبأيهما ابدأ؟ قال عجل بالميت الى قبره الا ان تخاف فوت وقت الفريضة ولا تنتظر بالصلوة على الجنازة طلوع الشمس ولا غروبها. وقال النبي (ص): كرامة الميت تعجيله الى قبره. وفي حديث مشهور عن النبي (ص) قال: العجلة مذمومة الا في خمسة مواطن: الدين اذا حل اجله ان يعجل قضاؤه والضيف اذا نزل ان يعجل طعامه والفتاة البكر اذا بلغت ان يعجل زواجها والصلوة اذا حان وقتها ان تؤدى والجنازة اذا حضرت ان يعجل تجهيزها ودفنها.

قال في خير الزاد ص ١١٣ ومن الاخبار الدالة على حرمة النقل الموجب لاهانة الميت نهى النبي (ص) المهاجرين والانصار في واقعة احد ان يحملوا موتاهم الى المدينة فقد امر مناديا ينادي: ايها المسلمون ادفنوا الاجساد في مصارعها.

قال الخاقاني: وما كان سبب ذلك الا المسارعة في حفظ ابدانهم عن المثلة وحفظا لحرمتهم لان حرمة المؤمن ميتا كحرمته حيا. بل ان فعل الائمة مع بعضهم البعض وبشيعتهم في ايامهم من مبدأ الاسلام الى ايام الغيبة الكبرى كله قائم على الاسراع بالموتى الى مضاجعهم وعدم التريث في تأخيرهم او نقلهم وهو كاف في المنع وعدم جواز النقل مطلقا ولم يرد حديث يشعر بجواز النقل الا حديث نقل اليماني الى الغرى واستقبال امير المؤمنين (ع) له الذي سنذكره قريبا ولا دلالة فيه على الجواز لانه اجتهاد من الميت نفسه ولم يكن فعله بامر الامام واخبار وجوب تعجيل مواراة الميت كما تراها عامة ولم يستثن منها الا من اشتبه موته كالغريق والمطعون واشباههما فانه يترك حتى يعلم موته.

اقول واستثني منه من توفي في منى او عرفات فقد ورد الاذن بحمله الى الحرم بمكة ليدفن فيها. وهو ان صح يقتضي - بجامع التماس البركة - اولوية جواز النقل الى بقاع المشاهد المشرفة بل رجحانه واستحبابه مضافا الى اجماع ائمة المسلمين على الجواز مع امن وقوع شيء من المحذورات وقد نقل الاميني في الغدير ٥/٦٨ نحوا من ثمانين ميتا نقل من موضع موته ليدفن في مكان آخر على مسافات نائية وكان بعضها في ايام النبي (ص) والخلفاء الراشدين والصحابة الكرام دون

ان يتصدى احد من الائمة والصحابة الى النهي عنها او التثريب عليها .

(سابقة (٢)   (فضل نقل الميت لجوار اهل البيت (ع))

في التمارق ٣/١٤١ حكى جمع من الثقاة ان رجلين من اهل الايمان والتقوى تعاهدا ان يزور من يسبق بموته الآخر في منامه فيعلمه بما لا قاه في موته وقبره ليكون على استعداد لمواجهة تلك الاخطار بالاعمال الصالحة . فمات احدهما وبقي الآخر في انتظار زيارته والوفاء بوعده واخذ يعمل الرياضات المحضرة لارواح الموتى في المنام مدة طويلة فلم يحضر له ولم يظهر له في نوم ليل ولا نهار فظن انه لم يسمح له بذلك او حيل بينه وبين ما اراد او انه نسي ما وعد .

وفي ذات ليلة من الليالي وبغير احتساب طرق صاحبه في المنام قال له : اين كنت يا اخي وكيف لم تف بما تعاهدنا عليه ووعدتني به قال يا اخي اني لم اخلفك وعدا ولكن حيل بيني وبين الوفاء فاني من لدن فارقت الدنيا الى يوم امس لا ازال قائما في الحساب على الاعمال والاقوال التي ملئت بها صحائفي في الحياة فكلما حاسبني الملك على سيئة وثبت التجريم خيرني في العقاب عليها بين ايقاعه في عالم البرزخ او القيمة فاختار عالم البرزخ تحريا للستر وقصر المدة والابتعاد عن النار فما زلت في العذاب والتنكيل حتى كانت ليلة امس فبينا كان الملك يحاسبني واذا به قد طوى الصحايف كلها وفرقها وختم لي ببراءة من النار والحساب يوم القيمة وفتح لروحي بابا الى الجنة وقال قد غفر الله لك ذنوبك كلها وقبل اعمالك وكتب لك الجنة تدخلها بغير حساب فنم آمنا قرير العين قلت وكيف وما سبب ذلك ؟ قال ان امرأة من اهل القرية مؤمنة صالحة تقية توفيت فحملت الى جواركم وبجوارها لكم رفع الله العذاب والحساب عن اهل المقبرة كلها كرامة لها ..

فاذا كان جوار امرأة من اهل الايمان والتقوى اوجب رفع الحساب والعقاب عن الموتى الذين في مقبرتها فما ظنك بجوار ائمة الاسلام والمسلمين وخلفاء الله في ارضه وحججه على عباده فقد دلت الاحاديث الصحاح عن اهل البيت (ع) على افضلية جوار امير المؤمنين (ع) في الغريين وانه وادي السلام مأوى الاولياء

والصلحاء والاتقياء والنبلاء قال الشاعر :

اذا مت فادفني الى جنب حيدر ... ابي شبر اكـرم بـه وشبير
فتى لا يخاف النار من كان جاره ... ولا يختشي من منكـر ونكير

ففي النمارق ٣/١٢٣ عن فرحة الغرى عن الصادق (ع) قال: ان الكوفة - يعني ظهر الكوفة النجف الاشرف - روضة من رياض الجنة فيها قبر لنوح وآدم وقبور ثلاثمائة وسبعين نبيا وستمائة وصي من الاوصياء اخرهم امير المؤمنين (ع).

وعن البرجندي ان ابا البشر آدم اخرج ابنه شيت جثمانه بعد اربعين يوما من موته فوضعه في تابوت من خشب ونقله لجوار بيت الله الحرام ثم احتمله نوح (ع) لما بلغت به السفينة ايام الطوفان الى مكة فوضعه حاجزا بين الرجال والنساء ثم اهبطه الى الغرى. ولما توفي النبي نوح اودعه اولاده بازاء جثمان آدم في الغرى ثم نزلها النبي هود والنبي صالح (ع) حتى توفيا فدفنا فيها.

وذكر ان ابراهيم الخليل اشترى بقعة الغرى من اهلها الذين يسكنون فيها بأغنام عوضهم بها عن الارض وقال انه يحشر منها سبعون الف شهيد يدخلون الجنة بغير حساب يشفع الرجل منهم لمثل ربيعة ومضر.

وعن فرحة الغرى ان امير المؤمنين (ع) اشترى ما بين الخورنق الى الحيرة ومنه الى الكوفة من الدهاقين بأربعين الفا واشهد على شرائه وقال سمعت رسول الله (ص) يقول: ان كوفان يرد اولها على آخرها يحشر من ظهرها سبعون الفا

يدخلون الجنة بغير حساب واشتهيت ان يحشروا في ملكي[1].

وكان ابتداء نقل الموتى الى الغريين ودفنهم فيها من عهد امير المؤمنين (ع) وكان هو (ع) اول من استقبل جنائز الموتى المنقولة اليها ففي البحار ٩/٧٧٠ والديلمي في الارشاد ٢/٤٣٦ وابن طريح النجفي في المنتخب /٢١٣.

قالوا كان امير المؤمنين (ع) ايام اقامته خليفة في الكوفة يأتي هذه البقعة الشريفة ـ الغريين ـ ويصلي فيها فبينما هو ذات يوم يصلي بالغري اذ اقبل رجلان معهما تابوت على ناقة فحطا التابوت واقبلا اليه وسلما عليه فقال من اين اقبلتما؟ قالا من اليمن قال وما هذه الجنازة؟ قالا: كان لنا اب شيخ كبير فلما ادركته الوفاة اوصى الينا ان نحمله وندفنه بالغري فقلنا يا ابانا انه موضع شاسع بعيد عن بلدنا وما الذي تريد بذلك؟ قال: انه سيدفن هناك رجل يدخل في

(١) كما ورد ايضا ان الامام الحسين (ع) لما نزل كربلاء بأهل بيته واصحابه اشترى الارض التي ضرب فيها بيوته من سكانها بني غاضرة الاسديين بستين الف درهم واباح لهم ان يسكنوها على ان يرشدوا الزوار الى قبره ويضيفوهم ثلاثة ايام. وعن الصادق (ع) ان مساحة تلك الارض اربعة اميال في اربعة هي حلال لشيعتهم ولهم فيها الخير والبركة وحرام على اعدائهم حتى ان يطأوها بأقدامهم او يشربوا من مائها.

وكذلك ورد في ارض الكاظمية من بغداد ان الامام موسى بن جعفر (ع) قد اشتراها قبل وفاته واعتقاله بمائتي الف درهم من اهلها واعدها ليكون قبره وقبور اهل بيته فيها معقلا للزائرين من شيعته واتباعه.

وفي هذا دلالة على ان كل مراقد اهل البيت (ع) قد اعدت لتجاورهم فيها شيعتهم واتباعهم فيأمنوا بجوارهم من حساب البرزخ واهوال يوم القيمة كما ذكروا ان الشيخ يوسف صاحب الحدائق عندما حضرته الوفاة في كربلاء طلب من اسرته ان يحملوا جثمانه للنجف ليأمن من حساب القبر فأتاه الحسين في المنام وضمن له الامان من الحساب اذا دفن في جواره فلما انتبه اخبر اهل بيته بما ضمن له الحسين والغى وصية حمله للنجف فدفن في جوار الحسين (ع).

شفاعته مثل ربيعة ومضر.. فقال امير المؤمنين (ع): الله اكبر الله اكبر انا والله ذلك الرجل انا والله ذلك الرجل ثم قام وصلى عليه ودفناه ومضيا من حيث اقبلا.

وانما قطع الامام (ع) بانه ذلك الرجل الذي يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر لما رواه في فرحة الغري عن ابن عباس قال: ان رسول الله (ص) قال لعلي (ع) يا علي ان الله عز وجل عرض مودتنا اهل البيت على السموات فاول من اجاب اليها السماء السابعة فزينها بالعرش ثم السماء الرابعة فزينها بالبيت المعمور ثم السماء الدنيا فزينها بالنجوم ثم ارض الحجاز فزينها بالبيت الحرام ثم ارض الشام فزينها ببيت المقدس ثم ارض طيبة فزينها بقبري ثم ارض كوفان فزينها بقبرك يا علي فقال يا رسول الله ادفن بكوفان العراق؟ قال: نعم يا علي تقبر بظاهرها قبلا بين الغريين والذكوات البيض.. اهـ.

وهذا هو الذي حمله على شرائها من الدهاقين النازلين بها كما قدمنا الحديث عنه قال صاحب الفرحة: وذكر ظاهر الكوفة اشارة الى ما خرج عن الخندق وهي عمارة اهلها الى اليوم وانما اشترى ما خرج من العمارة فدل على انه اشترى ما خرج عن الكوفة العامة وعن الكوفة التي تمصرت عام ١٧ من الهجرة لعزمه ان يدفن في ملكه ويدفن الناس من حوله.

(سابقة (٣) (اثبات قبر علي (ع) في النجف)

اما ما يعترض به البعض على صحة نسبة هذا القبر الذي في النجف لامير المؤمنين (ع) بان للمؤرخين شكوكا فيه واقوالا شتى وذلك بسبب اخفائه. لان عليا (ع) كان قد اوصى اولاده باخفاء قبره لعلمه بان الخلافة ستفضي من بعده الى بني امية وانهم سيحملون الناس على سبه وبغضه والبراءة منه فلو علموا بموضع قبره لم يؤمن منهم ان ينبشوه ويصنعوا به ما صنعوا بزيد الشهيد.

من هنا كانت لاهل الخلاف الفرصة في التشكيك في صحة نسبة هذا القبر لعلي (ع) فبعضهم زعم انه قبر المغيرة بن شعبة وبعضهم قال ان قبره الصحيح هو الذي في كابل عاصمة افغانستان قال شاعرهم:

على ان هـذا القبر ليس بثـابـت — لحيـدرة لـولا دعـايـة مفتري
ففـي كـابـل قـوم يقـولـون قبره — وقبر لـه عنـد الزبير بمحنفـر
لقـد اخفـت الابنـاء قبر ابيهـم — بعهـد اتـى منـه اليهـم مقـدر
فـأي دليـل ان هـذا ضريحه — والف احتمال حـولـه وتصـور

فأجابه المؤلف ـ في ديوانه عرائس الجنان ١/

وقبر علي اثبتتـه دلائـل — بموضعـه لم تبـق شكـا لمنكـر
فقـد زاره اهلـوه فيـه وجلجلـت — بـه آي فضـل للحقيقـة مسفـر

فان اخفاءه انما كان عن العامة من الناس اما الاقرباء والخواص من اصحابه وشيعته فانهم على علم ويقين بموضع القبر فهم يتعهدونه بالزيارة في اوقات الخلاء وليالي الظلام وقد نصبوا له علامات يهتدون بها اليه فقد زاره الحسن والحسين مدة اقامتهما في الكوفة وزاره علي بن الحسين في مقدمه من الشام الى كربلاء بزيارة اولها (السلام عليك يا امين الله في ارضه...) فلما مر به الركب اظهر لهم انه يصلي فانصرف عن خطاب صاحب القبر (... مع مالك من الحجج البالغة على جميع خلقه) الى الدعاء والابتهال فقال (اللهم اجعل نفسي مطمئنة بقدرك راضية بقضائك ... الخ) وكان الامام الباقر والصادق (ع) يأتيان العراق يقيمان فيها مدة طويلة في الحيرة لزيارة قبر ابويهما امير المؤمنين والحسين (ع) ثم يرجعان الى المدينة.

اما ظهور القبر علنا واشتهاره لجميع الناس فكان ذلك ايام هرون الرشيد كما نقله المؤرخون من العامة كالطبري والمسعودي والدميري ومن الخاصة المجلسي في البحار ٩/٧٤٠ والديلمي في الارشاد ٢/٤٢٧ والنقدي في الانوار العلوية ص ٢٩١ عن المفيد في الارشاد بسندهم عن عبد الله بن حازم قال خرجنا مع هرون الرشيد يوما من الكوفة نتصيّد وصرنا الى ناحية الغريين فرأينا ظباء وحمرا وحشي

فأرسلنا عليهم الصقور والكلاب فجاولتها ساعة ثم لجأت الى أكمة فصعدت عليها فسقطت الصقور ناحية ورجعت الكلاب فتعجب الرشيد من ذلك.. ثم هبطت الظباء والحمر من الاكمة فنهضت لها الصقور والكلاب فرجعت الى الاكمة فتراجعت الكلاب عنها... هكذا ثلاث مرات فقال الرشيد انظروا هل يسكن بهذا الموضع اسد فنظرنا فلم نجد شيئا قال اهبطوا هذه الناحية فمن ترون فاتوني به قال ابن حازم: فرأينا جماعة من اهل البادية قلنا اجيبوا امير المؤمنين ولما احضروا سألهم عن رجوع الكلاب والصقور عن الظباء والحمر قالوا ما لنا بذلك من علم ولكن ههنا شيخا كبيرا قد سكن الارض قبلنا لعل عنده علما مما تسأل عنه فمضينا واحضرناه وهو من بني اسد فلما سأله الرشيد قال: اقسم بالله ان في هذه الاكمة قبر علي بن ابي طالب (ع) جعله الله حرما لا يأوي اليه خائف الا امن قال: صدقت ما هذا في شأن على بعظيم.

اما الحديث عن اول من اظهر القبر الشريف وبنى عليه فهو حديث طويل ذكرناه في كتابنا عقود الجمال في وقائع شهر رمضان عند ذكر وفاة امير المؤمنين (ع) في الـ (٢١) منه.

(سابقة (٤)) (وادي السلام مقر ارواح المؤمنين)

وانما قامت شيعة اهل البيت (ع) بنقل موتاهم الى الغريين في النجف لانه مقر ارواح المؤمنين حسبما صرحت به احاديث اهل البيت (ع) فاحبوا ان يلحقوا الاجساد بأرواحها لتحشر معها من هناك يوم القيمة.

فان قلت ان الاحاديث تدل على ان هناك ملائكة تنقل الموتى من مقابرها التي لا تستحق او لا يليق لهم الدفن فيها الى المواضع التي تستحق او تليق ان يكونوا فيها فلا حاجة لان تنقلها اهلها الى الغريين ولعل اهلها لا تستحق الدفن فيه.

قلنا ان الملائكة النقالة لم توقف لنقل جميع من يستحق النقل والا[لم يبق احد من اهل الايمان في قبره وانما خصهم الله بنقل موتى العلماء العاملين والاتقياء العارفين ومن بلغوا في التقوى والايمان مبلغ ابي ذر الغفاري وسلمان المحمدي. اما

سائر شيعة اهل البيت فقد لا يستحقون ان تنقلهم ملائكة الرحمة لتلك المواطن المقدسة لكنهم لو نقلوا اليها فان الموكلين بتلك البقاع الطاهرة لا تردهم ولا تطردهم كما في حديث جنازة العاصي الذي اتى امير المؤمنين (ع) الكليداد يمنعه في المنام ان يقبل دفن تلك الجنازة في جواره. ولما جاؤا بها واغروه بالاموال خالف الامام وقبلها على نية ان ينبشها ليلا ويبعدها عن موضعها فلما اتى ليلا لنبشها وجدها قد شدت بسلسلة من نحاس يتصل آخرها بقائمة الشباك الذهبي الموضوع على القبر المقدس فعلم ان امير المؤمنين (ع) قد اجاره وانه لا يطرد او يرد من حمل الى جواره ولو لم يستحق ذلك.

والظاهر ان الملائكة النقالة انما خصصت لنقل الموتى الذين وضعت اجسادهم في غير مواضعها المقررة لها كما لو دفن مؤمن في جبل صجنان او في برهوت فانها تحمله الى موضع يليق به وكما لو دفن كافر او ملحد في الغريين او حائر الحسين فانها ترفعه لموضع هو من اهله ويدل على ذلك جملة من اجساد جماعة يتظاهرون بالايمان والصلاح كشف عنها فوجد مكانهم اجساد اخرى. وجملة من اجساد مؤمنة طيبة دفنت في مقابر اليهود او النصارى وجدوا مكانها بعد الكشف قوما آخرين كما في حديث الفتاة الروسية الذي ذكره الواعظ الاصفهاني في كتابه الواعظ.

وهذا المعنى الذي ذكرناه هو الذي ذكرناه في القصيدة التي سبق ذكر بعض منها:

فـان قلـت ان المرتضى قـــد زعمتم	لكـــم يحضر الموتـــى بقبر ومحضر
فما الوجـه في نقـل الذي مـات نحوه	اذا كـان مضمـــونـــا بحب وعنصر
نقـول بـــان الروح لما لـــه انتهـت	اردنـــا بـــان الجسم للـــروح ينبري
وليس بحتم ثم نقل ملائـــــك	لمن مـــات الا للنقـــي المطهـــر
لهذا لـه الموتـــى نقلنـــا رجـــاء ان	تجار ومن يحنط على الاجـر يـؤجـر

اليس ابو بكر وتاليه اوصيا ... بان يدفنا عند الرسول المبشر
وهمت بدفن السبط قرباه عنده ... فقامت لهم آل الطريد بمدحر

اما الدليل على ان الغريين مقر ارواح الاولياء فهو ما ذكره العلامة الشيخ يوسف احمد المحدث البحراني صاحب الحدائق (رح) في انيس الخاطر ١٨٣/٢ ان اخبار اهل البيت صريحة دالة على ان الارواح بعد مفارقة الاجساد العنصرية تتعلق بأشباح مثالية يخلقها الله بقدرته تشابه تلك الابدان بحيث لو رأيت واحدا منهم لقلت هو فلان. وان ارواح اهل الايمان والصلاح تنقل الى وادي السلام بجوار امير المؤمنين (ع) في النجف الاشرف وانهم يجلسون حلقا حلقا يتحدثون في وادي السلام بظهر الكوفة وهو بقعة من جنات عدن.

ففي الكافي بسنده عن حبة العدنى قال: خرجت مع امير المؤمنين (ع) الى الظهر فوقف بوادي السلام كانه يخاطب اقواما فقمت بقيامه حتى عييت فجلست وقلت يا امير المؤمنين لقد اشفقت عليك من طول القيام قال يا حبة ان هي الا محادثة مؤمن او مؤمنة ولو كشف لك لرأيتهم حلقا حلقا يتحدثون فقلت: اجسام ام ارواح؟ قال: ارواح وما من مؤمن يموت في بقعة من بقاع الارض الا قيل لروحه الحقي بوادي السلام وانها لبقعة من بقاع جنة عدن.

وروى الشيخ محمد بن الحسن الطوسى في التهذيب عن مروان بن مسلم قال قلت لابن عبد الله (ع) ان اخي ببغداد واخاف ان يموت بها قال لا تبالي حيث ما مات.. اما انه لايبقى في شرق الارض وغربها مؤمن الا حشر الله روحه الى وادي السلام قلت واين وادي السلام؟ قال: ظهر الكوفة اما كأني بهم حلقا حلقا.

(سابقة (٥) ... (توجيه وصية علي (ع) باخفاء قبره)

ويعود المعترض على الشيعة في نقل اجسام الموتى الى الغري فيقول:

على انهم يروون ان الجوار من ... تقى لغاو لا يفيد بمقبر

وان لمن ماتوا ملائك تنقل الـشـقـي لنار والسعيد لكوثر

فأي انتفاع من جوار اخي التقي لمن مات فسقا من قمار ومسكر
فان كان عند الموت يحضر حيدر فما وجه نقل الميتين لحيدر
على نفسه لم يأمن النبش من بني امية من قبر لصليب ومصهر
فكيف تراه يؤمن الغير من لظى ولما يؤمن نفسه او يبرر
وهل جاز عقلا ان يحرر غيره فتى نفسه من رقها لم يحرر

وقد اجابه المؤلف في القصيدة السابقة بقوله:

ودفن الورى عند الغري ليأمنوا بقرب علي من نكير ومنكر
ليثبته الذكر الحكيم فانما الولاء لطه والاله وحيدر

يعني بذلك قوله تعالى (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم راكعون. ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون)

فقد اجمع المفسرون ان المعني بالذين آمنوا في الآيتين هو علي بن ابي طالب (ع) وكان نزولها عندما سئل رسول الله عن الوصي من بعده فأجل الجواب الى نزول الوحي وبعد الصلوة نزل الوحي بأن وصى محمد من تصدق حال ركوعه في الصلوة (ويؤتون الزكوة وهم راكعون) فقد جعلت الصدقة حال الركوع علامة لمن يكون وصيا لسيد المرسلين بعد وفاته وليست السبب المؤهل له لتولي هذا المنصب كما يظن البعض من الناس.. والتعبير عنه بلفظ الجمع وهو مفرد للاجلال والاكبار او لان البشر كلهم نوع وهو بنفسه نوع آخر ولكن لم يوجد من هذا النوع الا هذا الفرد.

واذا ثبت بنص الآية ان عليا (ع) هو احد اركان الولاية والرياسة الالهية العامة فليس بعيدا على المولى والرئيس الاعلى ان يؤمن اولياءه واتباعه ومجاوريه مما

يستحقونه من العقاب. ولا بعيدا ان يقبل الله شفاعته فيهم ورحمته بهم وحنوه عليهم.

اما وصيته لابنائه باخفاء قبره ان لا تقع به بنو امية فلا يدل على انه يخاف ان ينبشوه بل ان ينبش من حوله او ينبش ميت فيزعمون انه هو فيمثل به وهو غير الذي يقصدون كما وقع ذلك للمسيح عيسى (ع) قال تعالى (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) فالذي رفع عيسى وانجاه من ما اراد به اليهود لحري ان يرفع ويحجب جثمان سيد الاوصياء عما يريد به القوم المبغضون.

وليكن هذا آخر الكلام والتحقيق في سيرة النبي يوسف الصديق (ع) وما تقتضيه من ملاحظات وتعليقات ذكرناها على سبيل الايجاز لمناسبتها المقام...

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

فهرس

		صفحة
مرفق ١	بيئة النبي يوسف (ع)	٦
سابقة (١)	ذكر النبي يعقوب (ع)	٦
سابقة (٢)	اسرة النبي يعقوب	٧
سابقة (٣)	وفاة يعقوب	٧
مرفق ٢	ترجمة النبي يوسف (ع)	٨
مرفق ٣	محبة الاباء للابناء	١٢
سابقة (١)	اسرار محبة يعقوب لابنه يوسف	١٤
مرفق ٤	حقيقة الحسد ,حكمه في الدين	١٧
سابقة (١)	في الحسد منافع للمحسود	١٩
سابقة (٢)	وقد يقضي الحسد على الحاسد	٢٢
مرفق ٥	العلاج والوقاية في الحسد	٢٤
مرفق ٦	العدل بين الاولاد	٣٠
مرفق ٧	ما قيل في سبب الاصابة	٣٣
مرفق ٨	ابتداء القصة بالرؤيا	٣٥
مرفق ٩	الخروج بيوسف الى الصحراء	٣٨
مرفق ١٠	ما كان لاخوة يوسف معه في المرعى	٤١
مرفق ١١	رجوع اخوة يوسف بدونه الى ابيه	٤٨
مرفق ١٢	خروج يوسف من الجب	٥٢

سابقة (١)	حول عصمة الانبياء	٥٦
مرفق ١٣	سير الركب بيوسف الى مصر	٥٩
مرفق ١٤	بكاء يعقوب وحزنه لفقد يوسف	٦٠
سابقة (١)	اقسام البكاء في حكم الشرع	٦٢
سابقة (٢)	دوافع يعقوب على البكاء	٦٤
سابقة (٣)	مبلغ حزن يعقوب	٦٧
مرفق ١٥	بيع يوسف في مصر	٦٩
سابقة (١)	الغاء الاسلام حكم التبنّي	٧١
مرفق ١٦	استلامه منصب النبوة	٧٤
مرفق ١٧	وراودته التي هو في بيتها	٧٨
سابقة (١)	دوافع راعيل على الاقدام	٧٨
سابقة (٢)	التمهيد لاستمالة قلب يوسف	٨٥
سابقة (٣)	التوسل بعرض المحاسن والاموال	٨٩
سابقة (٤)	عفة يوسف بين السلب والايجاب	٩٢
مرفق ١٨	فرار يوسف يدينه من المشاكل	٩٨
سابقة (١)	الاطفال الذين تكلموا في المهد	١٠٠
سابقة (٢)	نظائر مكر راعيل من النساء	١٠٣
مرفق ١٩	تعويض يوسف عما عف عنه	١٠٦
مرفق ٢٠	دعوة العواذل لمشاهدة الصديق	١١١
سابقة (١)	الاستدلال بالاية على فضل علي	١١٣
مرفق ٢١	الحكم بالسجن على يوسف	١١٩
مرفق ٢٢	دخول يوسف السجن	١٢٢
سابقة (١)	مهالك السجون	١٢٦
سابقة (٢)	بكاء يوسف في السجن	١٣٠

سابقة (٣)	النتائج التي خرج بها يوسف من السجن	١٣٢
سابقة (٤)	تفسيره الاحلام لاهل السجن	١٣٧
سابقة (٥)	تبرير التوسل بالخلق الى الله	١٣٩
مرفق ٢٣	تفسير يوسف رؤيا الملك	١٤٣
سابقة (١)	الشكوى من طول السجن	١٤٣
سابقة (٢)	الدعاء للخلاص من السجن	١٤٥
سابقة (٣)	رؤيا الملك للابقار والسنابل	١٤٥
مرفق ٢٤	حول تفسير الرؤيا	١٤٧
سابقة (١)	اسباب تنوع الرؤيا	١٤٧
سابقة (٢)	رؤيا الانبياء حق	١٤٨
سابقة (٣)	افضل ما تأول به الرؤيا	١٥٠
سابقة (٤)	اقسام تأويل الرؤيا	١٥١
سابقة (٥)	تأويل الرؤيا بآيات القرآن	١٥٥
مرفق ٢٥	خروج يوسف من السجن	١٥٦
سابقة (١)	طلب محاكمة النسوة	١٥٦
سابقة (٢)	اطلاق المسجونين معه	١٥٨
مرفق ٢٦	امارة يوسف على مصر	١٥٩
سابقة (١)	امارة يوسف تدل على جواز امور	١٦٣
مرفق ٢٧	اعمال يوسف في ايام الخصب	١٦٤
مرفق ٢٨	اعمال يوسف في زمان الجدب بمصر	١٦٧
سابقة (١)	دواعي الجدب والقحط	١٦٧
سابقة (٢)	المجاعة المصرية	١٦٩
مرفق ٢٩	زواجه بامرأة العزيز راعيل	١٧٤
سابقة (١)	ما كان لعزيز وامرأته ايام الجدب	١٧٤

سابقة (٢)	مقابلة راعيل ليوسف (ع)	١٧٦
سابقة (٣)	اختيار الدعوات الصائبة	١٧٩
سابقة (٤)	بناء يوسف بالسيدة راعيل	١٨٠
سابقة (٥)	ضمان الله بتعويض الاعفاء	١٨١
مرفق ٣٠	قدوم اخوة يوسف عليه	١٨٧
سابقة (١)	كيف عرفهم يوسف ولم يعرفوه	١٨٨
سابقة (٢)	حوارهم مع يوسف للمرة الاولى	١٩٠
مرفق ٣١	عودتهم لحمل بنيامين	١٩٢
سابقة (١)	حول الاصابة بالعين	١٩٤
مرفق ٣٢	عود الفتيان الى مصر للمرة الثانية	١٩٦
سابقة (١)	كيف تعارف الاخوان	١٩٨
سابقة (٢)	حديث يوسف وبنيامين	١٩٩
سابقة (٣)	اتهام بنيامين بالسرقة	٢٠٠
سابقة (٤)	السرقة المنسوبة ليوسف (ع)	٢٠٢
مرفق ٣٣	مباحث علمية في الآية	٢٠٤
سابقة (١)	حمل الغل والحقد في الصدر	٢٠٤
سابقة (٢)	الاتهام المفتعل	٢٠٥
سابقة (٣)	انتقال الصفات بالوراثة	٢٠٩
مرفق ٣٤	رجوع الفتية بدون بنيامين	٢١٤
سابقة (١)	تبرير بكاء يعقوب (ع)	٢١٥
سابقة (٢)	ابتداء دخول الفرج دار يعقوب	٢١٧
سابقة (٣)	تحريم اليأس من روح الله	٢١٩
مرفق ٣٥	قدوم الفتية بكتاب ابيهم الى يوسف	٢٢٣
سابقة (١)	شكواهم حال ابيهم الى يوسف	٢٢٣

سابقة (٢)	قالوا انك لانت يوسف؟	٢٢٤
سابقة (٣)	اقتداء النبي (ص) بيوسف	٢٢٥
مرفق ٣٦	تدارك حياة يعقوب بالبشارة	٢٢٨
سابقة (١)	من سار بالبشارة الى كنعان	٢٢٨
سابقة (٢)	القاه على وجهه فارتد بصيرا	٢٣٠
سابقة (٣)	اقمصة يوسف (ع)	٢٣٣
مرفق ٣٧	شرائط غفران الذنوب	٢٣٤
سابقة (١)	اقسام الذنوب والتوبة فيها	٢٣٨
سابقة (٢)	مغفرة مالا يتدارك من الذنوب	٢٤٢
سابقة (٣)	ما عمله يعقوب من الاستغفار لبنيه	٢٤٣
مرفق ٣٨	اجتماع آلـ يعقوب بمصر	٢٤٤
مرفق ٣٩	ما كان لآل يعقوب في مصر	٢٤٩
مرفق ٤٠	وفاة يوسف ومثواه (ع)	٢٥٣
سابقة (١)	وصية يوسف عند وفاته	٢٥٥
سابقة (٢)	مواراة يوسف ونقل جثمانه	٢٥٦
مرفق ٤١	حكم نقل الموتى في الاسلام	٢٥٨
سابقة (١)	شرائط جواز نقل الموتى	٢٥٩
سابقة (٢)	فضل نقل الميت لجوار اهل البيت (ع)	٢٦٢
سابقة (٣)	اثبات قبر علي (ع) في النجف	٢٦٥
سابقة (٤)	وادي السلام مقر ارواح المؤمنين	٢٦٧
سابقة (٥)	توجيه وصية علي (ع) باخفاء قبره	٢٦٩

